

لغات الهند

قوبال هالدر

ترجمة: د. بكيل علي الولص

لغات الهند

قوبال هالدر

ترجمة: د. بكيل علي الولص

مراجعة: عمر الأيوبي

الطبعة الأولى 1433هـ 2012م

لغات الهند
قوبال هالدر
PK121 .H3512 2012
Haldar, Gopal, 1902-
[Languages of India]
لغات الهند / تأليف قوبال هالدر؛ ترجمة بكيل علي الولص. -أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، 2012.
ص 322 ؛ 14×21 سم.
ترجمة كتاب: Languages of India
تدمك: 978-9948-17-111-9
1 - الهند-اللغات-تاريخ. أ-ولص، بكيل علي. Bhāratera bhāshā.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنجليزي:
Gopal Haldar
Languages of India



www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 451 6515 2 971+ فاكس: 127 6433 2 971+



هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة
ABU DHABI TOURISM & CULTURE AUTHORITY

المحتويات

مقدمة الطبعة الثانية

كتاب «لغات الهند» Bharater Bhasha بعد أن تم نشره لأول مرة في عام 1967، يصدر مرة أخرى في طبعة جديدة. توجد دائماً أشياء جديدة للحديث عنها. وتظهر أيضاً في علوم اللغة من دون انقطاع، كما في بقية العلوم، آفاق جديدة ومناهج وأساليب بحثية حديثة. علاوة على أن هناك إمكانية لتطور اللغة مستقبلاً إلى نوع من الدراسة الرسمية عبر الوسائط الحاسوبية. وكما هي الحال في الطبعة الأولى، فقد سعيت إلى طرح عدد يسير وبسيط من الأمور المبنية على المعرفة والحس العام. ونتيجة لذلك سينشأ مقدار معين من الفهم العام فقط عن لغات الهند المختلفة. فهذا الكتاب ليس للمتخصص أساساً، بل كُتب للقارئ العام، ذلك أن اللغة موضوع يثير دهشة عظيمة. ففي شبه قارة جنوب آسيا وفي وقتنا الحاضر، يتداخل عدد من اللغات، ولكن لكل لغة، على حدة، مرحلة نشوء مبتكرة. كما أن هذه المراحل مرتبطة بجماعات أساسية قليلة من البشر. لقد اجتازت هذه اللغات جميعاً، طرقاً من الهدم والبناء، وطرقاً لهجرات قامت بها تلك الأعراق المختلفة أثناء بحثها عن الطعام وجاءت للاستقرار في شبه قارة جنوب آسيا. إنها في الأصل لغات على شفير الانقراض للشعب الزنجاني [شبيه بالزنوج]، ولغة المجموعة الأستراليانية Australoid ولغات الدراويديين، واللغات الهندية –الآرية المشتقة أو

المستخلصة من عائلة اللغة الهندية-الأوروبية، وعائلة اللغة التيبتية-الصينية الخاصة بالمجتمع المنغولي Mongoloid. وقد ظهرت منذ عام 1967، بضعة آراء تراجع ما يتعلق بنشأة، وتصنيف هذه اللغات، وتبين أن اللغة الأندامانية البدائية Proto-Andamanese واللغة النيكوبارية البدائية Proto-Nicobarese ارتبطتا بصلة قربى باللغة المالاغاسية Malagasy في جزيرة مدغشقر. كما أن فرع اللغة الدراويدية — المرحلة الدراويدية البدئية Proto-Dravidian — يعتبر هذه الأيام على علاقة نسب باللغة البراهورية Brahur في إقليم بلوشستان وباللغة المكتشفة في موهنجو-دارو Mohenjo-Daro. وتعتبر اللغة الدراويدية أيضاً ضمن مجموعة اللغات المجرية واللغات الفنلندية-الأوغرية، إلى جانب اللغة الكورية، وهو ما يُثير الكثير من الدهشة. تُوضَع مجموعة اللغات الأمريكية-الهندية جنباً إلى جنب مع اللغة المنغولية (وهو فرع مميز في العائلة الأورالية-الطائية)، واللغة الصينية، واللغة التيبتية واللغة البورمية. ومن المسلم به أن مجموعة اللغات الأسترالياني، ومجموعات لغات الجزر الأندونيسية والبولينيزية والمالانيزية والتاهيتية تنتمي إلى العائلة نفسها.

كل هذا النقاش إلى حد بعيد مبني على أساس تاريخي.. أي على المنهج التاريخي العمودي diachronic [متلازم طولي]. ومن جانب آخر تحظى دراسة اللغة بمنهج آخر واسع القبول هو المنهج

التاريخي الأفقي synchronic [متزامن مقطعي]، وهو منهج يركز على فترة زمنية مختارة، ويختلف تماماً عن سابقه. تم الاستغناء عن كل هذا الجدل في هذا الكتاب، ولكن الغرض من تأليفه لم يتغير ويتمثّل في إيجاد أرضية، بسيطة ونقية، لمعرفة اللغات في عصر يتسم «باللغوية» Linguism أو «التعصب اللغوي». لقد ثبت أن لكل لغة صيغة أولى، وشكلاً عضوياً أو «بدائياً»، وتظهر في المرحلة الثانية لهذه اللغات، الصوتيات والقواعد والمعاني (المفردات). ويجد الفرد في المرحلة الثالثة أن الأدب مصاغ في رموز اللغة في الحقب المختلفة للوجود الإنساني. وتتجلى هذه المراحل الثلاث في طيات الكتاب. لقد حاولت جاهداً أن أبين مجموعة من الحقائق: تتضمن المواقع المشتركة لمجمل هذه اللغات والموجودة في الهند، والعلاقات (الداخلية) المشتركة في ما بينها. على سبيل المثال، لو أخذنا كلمة «باني» bani في البنقالية «أُجرة الحِرفَة» لتبيّن لنا أن استعمالها يرتبط بالذهب وصائغي الذهب. وهذه الكلمة أتت من «بنارق» banarig، وهي كلمة يستخدمها جيراننا الناطقون باللغة الهندية. اللغات السامية والحامية —المُستَقاة عبر المحيط اللغوي للأوردية والعربية والفارسية— هي بالمقارنة لغات دخيلة حديثة العهد في هذا البلد. وعلى الرغم من ذلك، تحتل هذه اللغات مكاناً مميزاً في أوساط اللغات الهندية المعاصرة، ويرجع ذلك إلى ألف عام من الحكم، وحتى قبل ذلك، إذا رجعنا بذاكرتنا التجارة والتبادل التجاري. كما تم تلقي

كلماتٍ لا حصر لها، وصيغ لغوية مشوّهة، لأن زيارات المجموعات المختلفة للتجار الأوروبيين وجدت لها حيزاً في هذا المكان أيضاً.

وفي اعتقادي إن المعرفة قوة. فالمعرفة هي المصدر الرئيسي لقوة الفرد وعزته. أما الصراع المحتمل على الجبهة اللغوية، والذي يكون غامضاً حيناً وواضحاً أحياناً، فيمكن حله وتلطيفه بالمعرفة. وقد ظل هذا النوع من الصراع — أي الكفاح لإحراز الاعتراف الرسمي بها في الدستور— في تزايد منذ عام 1967 بأحد المعاني فقط. ومن جانب آخر، هناك مساعٍ لتقديم الرعاية لكل لغة. ولا تزال المحاولات الأدبية تتلقّى التشجيع في كل ولاية هندية من «المَجْمَع الأدبي» Sahitya Akademi سواءً في المكافآت أو الاعتماد[1]. ولا نجافي الحقيقة أيضاً إذا قلنا: لا يمكن اجتثاث هذا الصراع وحالة عدم الرضاء بهذا النوع من المكافآت. لذا فإن ما يتوجب علينا السعي من أجله هو التفاهم، وقدر زهيد من التآخي المتبادل والنية الصادقة تجاه هذا الغرض المنشود. وكمؤلف لهذا الكتاب، كان لدي ولا يزال، هدف محدد من تأليفه. لا يوجد كتاب ناجح في مُجمله، في شتى الطرق

(1) «ساهيتيا أكادمي»، أي المجمع الأدبي، مؤسسة هندية مستقلة تدعمها الحكومة المركزية الهندية. تأسس في 1954، ويعنى بالآداب الهندية الصادرة باللغات التي يدعمها ويعترف بها المجمع، سواءً على مستوى الدولة أم الولاية والتي تبلغ اثنتين وعشرين لغة في الوقت الحاضر. يصدر الكتب والدوريات وله «موسوعة الآداب الهندية»، كما يرعى العديد من الأنشطة ومنها جائزة سنوية لكل لغة، كما يضم واحدة من أكبر المكتبات متعددة اللغات. [المترجم]

الممكنة، وهذه هي حال هذا الكتاب، وهي ليست بالمجهولة عندي. إذا أثار شيئاً من الاهتمام لدى بعض الناس، فإن جهودي تكون قد آتت ثمارها.

في الطبعة الأولى استعنت بتقرير الإحصاء السكاني لعام 1961، وفي هذه الطبعة تم إدراج المقتطفات ذات الصلة، والمأخوذة من تقارير الإحصاءات السكانية للأعوام 1971، و1981 و1991 كملاحق، واضعاً نصب عيني فائدتها للعديد من البشر. فهي تقدم فكرة عن عدد اللغات الرئيسة، واللغات الأم، واللهجات المرتبطة بجماعات لغوية بعينها. لقد أدرجناها جميعها في هذه الطبعة، لأنها تستحق الذكر، بغض النظر عن اللغات المعتمدة رسمياً في الدستور، بل إن وضع مسميات [لهذه اللغات] مفيد لذاته، ففي اعتقادي إن القارئ المُهتّم بهذه الأسماء سينظر إلى اللغات المنطوقة في محيطه الجغرافي الخاص بمفهوم جديد، كما أن من سيأتون بعدي، سيتمكنون من التقدم إلى الأمام في مواصلة البحث العلمي بشأن هذه اللغات. وبهذه الطريقة تكون جهودي المتواضعة قد آتت أُكُلها.

أخيراً، تلازمني سعادة غامرة، وأنا أعبّر عن شكري، وأرسم مساراً غير مضنٍ في رحلتي هذه، وأقر بامتناني على مسار هذا الحقل الواسع. كثير من الناس الذين شجعوني على إخراج طبعة الكتاب

الأولى لا وجود لهم الآن. فأستاذي الموقر وصديقي أنيل كانجيلال Anil Kanjilal لم يعد موجوداً أيضاً، وهناك الدكتور مهاديف براساد ساها Mahadevprasad Saha والعالم تشيتارانجان بانديوبادهيي Chittaranjan Bandyopadhyay، اللذان أمداني بالتشجيع والمساعدة. سأظل شديد الامتنان لدار «مانيشا قرانثاليا برايفت لتد» Manisha Granthalaya Private Ltd ولصديقي السيد ماني سانيال Mani Sanyal الناشر في هذه المؤسسة على حكمه الميمون، وعلى طبعة هذا الكتاب. فأنا ما كنت لأتمكن من إعادة طبع هذا الكتاب، من دون تلك المساعدة، خصوصاً وأنني ناهزت التسعين من عمري وفي حالة بدنية واهية. إنني لأعبّر عن شكري الخاص، من كل قلبي، للسيد سونيل ميترا Sunil Mitra الذي يكاد يكون ابناً لي. فصحبة هذا الرجل المتألق والمجتهد والمشهور، فضلاً عن كونه عاملاً هادئاً في دار مانيشا قرانثاليا، مصدر سعادة لنا. فما كانت طباعة هذا الكتاب وتحريره، ممكنين من دون جهوده التي لا تكل، وتعاونه الأصيل، ونيته الحسنة. أتمنى له كل الخير، وتمنياتي الصادقة لهم، هو ودار مانيشا قرانثاليا، على وفائهم والتزامهم بالواجب الفكري الذي نذروا أنفسهم له.

وإلى جانب تقريري التعداد السكاني لعامي 1971 و1981، زودني السيد سونيل سين شارما Sunil Sen Sharma (المدير السابق لـ «مسح

الهند الجغرافي») بملخص عن تقرير عام 1991 للتعداد السكاني. إنه كالابن من حيث عاطفتي نحوه، وقربي منه. إن مساعدته إضافة لا تقدر بثمن في هذا المقام الراهن.

هناك دين لشخص آخر يتوجب أن نقر له بالثناء من دون نقصان. ونظراً لحالات ضعفي العقلية والجسدية، فقد ظلت السيدة أرونا هالدر Arona Halder ناسخة المسودات الطباعية للكثير من الحالات على مدى سنين عدة. فالملحق الذي يحمل اسم «أنظمة الكتابة في اللغات الهندية»، كان برمته من صنيعها. لا يمكن تحديد مؤازرتها الكبيرة بكلمات الشكر والثناء، وعليه تظل تلك المؤازرة ديناً لا نقدر على سداده.

بينما كنت أمعن التفكير في ما يتوجب عليّ فعله إزاء مراجعة أعداد الناطقين باللغات الهندية المختلفة، كما تم تدوينها في طبعة عام 1967 لهذا الكتاب، أتت المساعدة كالرسالة الربانية من شخصية هندية مميّزة ومتنوّرة جداً. إنه السيد المميز أشوك ميترا Ashock Mitra («مسح التعداد السكاني للهند» ICS) المدير السابق لتقرير التعداد السكاني للعام 1961. لقد جعلني إلى الأبد، مديناً له بمواصلته الشخصية مبادرته الأولى وإرساله تقريري التعداد السكاني لعامي 1971 و 1981 عبر اثنين من المسؤولين

العاملين معه سابقاً. وقد ألحق هذان التقريران حرفياً بهذا الكتاب. السيد أشوك ميترا، والسيد سوكومار سنها Sukumar Senha (مدير العمليات المشتركة للتعداد السكاني) والدكتور ب. بي ماهبترا B.P. Mahapatra (نائب المحرر العام، شعبة اللغات)، لكل هؤلاء الثلاثة أدين بدين لا يمكن الإيفاء به على الإطلاق. إنني على قناعة بأن مشاركتهم القيمة جداً — كما حواها هذا الكتاب— لا يمكن تجاهلها من قبل المهتمين والمثمنين للمعرفة. عندما يكون تعاون الناس، الفرصة السانحة، فمن المُحال التعبير عن قيمة ذلك التعاون بأي وسيلة كانت. كما أن المساعدة مطلوبة من جهات متفرقة، ومن العاملين المعنيين بوسائل متعددة في إصدار أي كتاب. فهنا ومن دون أي تردد، أسجل امتناني وعرفاني لمثل هؤلاء العاملين الذين كانوا وراء هذا الإصدار على جهودهم من دون قيد ومساعدتهم من دون شرط. أخيراً، إنها لفرحة شخصية أن أشهد نشر هذا الكتاب، وقد عمّرت تسعين عاماً.. شكراً للجميع، شكراً للجهود الفردية والجماعية. بما أنني وليد البنقال الشرقية سابقاً من البنقال المقسّم، فإن اللغة البنقالية كالماء الذي يطفئ عطشي. وإلى جانب هذا، وكأحد سكان العصر الحديث، فأنا أعلم أن من واجبي أيضاً اكتساب أكبر قدر من المعرفة عن مجموعات لغات الهند، ولغات العالم أيضاً، المرتبطة

باللغة البنقالية[1]. ما هذا الكتاب إلا تعبير صغير، قريب من عدم الكمال، عن هذه الرغبة. إنني أطلب من القارئ اللبيب اللطف والمسامحة، وأن يصحح الأخطاء المحتملة ويقوّم الاعوجاج في هذا الكتاب.

قوبال هالدر Gopal Halder

كلكتا Calcutta

16أغسطس 1992

(1) Bangla هو الاسم الأصلي للغة البنقالية، كما ينطقه أهلها الأصليون، بينما هي Bengali في اللغة الإنجليزية، والكتاب يورد الصيغة الأولى كدليل على اعتزاز الكاتب بلغته وثقافته. [المترجم]

مقدمة الطبعة الأولى

لا نهاية في الهند المعاصرة للجدل الدائر بشأن اللغة، إلى درجة أن هذا الجدل أفضى إلى الصراع، وإراقة الدم في بعض الأوقات. فالهند بلد واسع.. بلد لنحو أربعمائة وخمسين مليون نسمة مؤلفين من الحشود الهائلة متعددة الألسن[1]. ليس مستغرباً أن نجد مشكلات اللغة في بلد كالهند، وتتعقد هذه الإشكالات أبعد من ذلك نتيجة فهمنا العام والمحدود للغات الموجودة في هذا البلد. بل إننا نختلق مشكلات جديدة حتى في غياب المبررات الموجِبة. إن الغرض من كتابة «لغات الهند» هو تقديم الحقائق العامة المتعلقة بمجموع لغات الهند للقارئ العام الهندي، ولم يُكتب هذا الكتاب للمتخصص، إذ إنه ليس بالمادة المعرفية عن علوم اللغة كما أنه ليس بحثاً أو تحليلاً للمشكلات الراهنة. من الطبيعي أن نعمد إلى ذكر مثل هذه النظريات والمعضلات حيثما وجدت العلاقة. وتحديداً، فقد حاولت أن أمد القراء الهنود العاديين بحقائق مثبتة عن لغات الهند، وأن أثير لديهم النزر اليسير من الاهتمام بصيغ هذه اللغات المتفرقة وعلاقاتها البينية المتداخلة.

---

(1) هذا هو تعداد الهند عام 1967، ويظهر مكتب المراجع السكانية Population Reference Bureau أن عدد سكان الهند هو مليار ومائة وخمسون مليون نسمة في عام 2008 ويتوقع أن يرتفع إلى مليار وسبعمائة وخمسين مليون نسمة في عام 2050. [المترجم]

لقد حثّني مسؤولو نقابة الأدباء Sambay Lokhaak، وخصوصاً السيد تشيتار انجان، وشجّعوني على القيام بهذه المهمة. فقد ساعدني وزملاؤه وأصدقاؤه، بطرق شتّى في هذه المهمة، من أمثال الدكتور مهاديفا ساها، والسيد أنيل كانجيلا. لكل أولئك جزيل الشكر. غامرت في إنجاز المهمة من دون تفكير بمؤهلاتي لأنني ببساطة اعتبرت ذلك عملاً مفيداً. وقد شق الطريق في هذا الاتجاه علماء مغمورون من أمثال اللغوي المبجل السيد سونيتي كومار شتَرجي، والبروفيسور سوكومار سين. وحسبي أنني سعيد بنقل ما قالوه إلى عموم الجمهور الهندي/البنقالي، فأنا لم أقل شيئاً أصلياً أو أمتلك القدرة على ابتداعه. ربما ما هو أصيل هنا، هو أخطائي ومزالقي المتفرقة بسبب اللامبالاة، وأطلب من القارئ الكريم الصفح والمسامحة عن كل ذلك.

قوبال هالدر

كلكتا

25 يونيو 1967

مفتاح الاختصارات

السابقون في هذا الحقل، والذين رجعنا إلى أعمالهم خلال تأليف هذا الكتاب، تم ذكرهم بالاسم إلى جانب عناوين مؤلفاتهم في متن هذا الكتاب. وقد ورد ذكر عدد من الأسماء على هيئة اختصارات، وهي ما يلي:

LSI: Linguistic Survey of India, survey conducted and edited by Sir George A. Grierson

(Census 1961, (i) India Part II, (ii

S.K. Catterji: Suniti Kumar Chatterji

S. Sen: Sukumar Sen

ODBL: Origin and Development of the Bangla .Language, 2 vols., by Suniti Kumar Chatterji, 1926

LLKI: Languages and Literatures of Modern India, by .Suniti Kumar Chatterji, 1963

IAH: Indo-Aryan and Hindi, by Suniti Kumar Chatterji, .1960

-1-

ملاحظات عامة

الهند أرض للعديد من اللغات، وليس في هذا ما يثير الاستغراب. فهناك أمم متعددة اللغات في العالم، مثلما هناك بقاع أرضية عديدة متعددة اللغات[1].. إن مصطلحي «أمم» و «بلدان» ليسا مترادفين، وبالتأكيد قد تعيش أمم عِدة في منطقة جغرافية واحدة: تضم منطقة «البهاراتافارشا» Bharatavarsha، أي «شبه قارة جنوب آسيا» أو شِبه القارة الهندية، الهند وباكستان والنيبال وما إلى ذلك. ومن الشواهد على هذا في الوقت الحاضر بلدان كألمانيا وكوريا وفيتنام، كما يمكن لأمة واحدة أن تمتد على أكثر من مساحة جغرافية: ومن أمثلة ذلك، الاتحاد السوفييتي سابقاً، والمملكة المتحدة أو الجزر البريطانية.

بقاع متعددة اللغات

هناك العديد من بقاع العالم التي تتكلم أكثر من لغة، ومن هذه البلدان ما هو صغير الحجم وما هو كبير. تندرج الصين والمكسيك وكندا وغيرها ضمن البلدان الكبيرة، ونكتفي بذكر أسماء مثل سريلانكا وسويسرا ضمن البقاع الصغيرة. إذا أخذنا بريطانيا

(1) مصطلح «متعدد اللغات multilingua » يعني امتلاك أكثر من لغة أو التكلم بأكثر من واحدة.

باعتبارها بقعة أرض واحدة وجدنا فيها لغتين أُخريين، إلى جانب الإنجليزية، هما: اللغة الويلزية واللغة الاسكتلندية. بل إن لهجات الأقاليم في الصين هي في حقيقتها لغات حية مستقلة. ومع أن «الكوان هوا» quan hua، وهي لغة شمالي الصين، معترف بها في كل مكان على العموم، إلا أنها ليست اللغة المنطوقة الوحيدة في بلاد الصين. وإذا أخذ المرء في الاعتبار «الصين الكبرى» فعليه أن يفصل أمماً عدة كالتيبت[1] Tibet ومنشوريا وسيانكياغ وسواها. كل فرد يعلم يقيناً أن هذه الأمصار تتباين مع الصين في المادة اللغوية. وهذا ينطبق في حقيقة الأمر على العديد من بقاع الأرض، حيث لا يتكلّم كل أفراد أو مواطني تلك البقاع اللغة نفسها بالضرورة.

اتساع وتنوع شبه قارة جنوب آسيا

من الطبيعي أن تتعدّد اللغات في بقعة أرضية كبيرة في الحجم وكثيرة السكان. وإذا كانت، بالإضافة إلى ذلك، بلاداً قديمة وأرضاً لشعوب متعددة، فمن المستحيل أن تكون تلك الأرض بلاداً أحادية اللغة. تضم شبه قارة جنوب آسيا لغات عديدة، لذا فإن رضوخها للقوانين الطبيعية يُعَد تعبيراً عن تاريخها إلى حد بعيد. يشكّل جنوب آسيا شبه قارة تقريباً، ويتنوع في تضاريسه الجغرافية، وهو يسمى «العالم الصغير». هناك أيضاً تقسيمات وتقسيمات فرعية في

(1) تم الآن إلحاق التيبت بجمهورية الصين الشعبية.

تكوينها الجيولوجي: لا نهاية لتنوّعها في نباتاتها وحيواناتها وفي كل الأشياء الأخرى. وإلى جانب ذلك، إن شبه قارة جنوب آسيا أرض لحضارة قديمة، وهذه الحضارة لم تنقطع البتة. وتمتاز أيضاً بخاصية فريدة أخرى: اعتادت على القبول والاستيعاب أكثر من قدرتها على النبذ والطرح جانباً. وهكذا فإن بعض الجنسيات التي قدمت إلى شبه القارة، ومعها لغاتها المتباينة، وجدت لنفسها مكاناً فيها. وقد طرأت عليها تحوّلات في مناطق مختلفة في هذه الرقعة الواسعة وفي أزمنة متفرقة، ولكنها حافظت على بعض الخصائص المميّزة لكل منها. بل ربما ولدت لغة أصلية ما، «كاللغات الهندية-الآرية»، لغات جديدة بهذه الطريقة. لذا فإن تنوّع اللغات أمر طبيعي في هذه البقاع الشاسعة، لكن المستغرب أن الجمع الهائل لهذا الشعب مرتبط معاً برابط عام من القربى.

الوحدة في التنوّع

يجب إدراك هذا الرابط أيضاً. فشبه قارة جنوب آسيا تقارب في مساحتها قارة أوروبا (من دون روسيا) بل هي أكبر منها من حيث السكان. لكن هل هناك لغة أو اثنتان في البلاد الأوروبية، وهل التنوّع في تلك البلاد الأوروبية أقل من نواحٍ أخرى أيضاً؟ الحضارة المنتصرة في الأزمنة الحديثة تعمل على تقريب كافة المجتمعات الأوروبية من بعضها بعضاً في أمور الطعام والملبس وعادات أخرى غيرها. ونتيجة

لذلك فإنهم يقتربون تدريجياً من بعضهم بعضاً «كأوروبيين». لكن من يجرؤ على تسمية أوروبا بالبلد الواحد؟[1]. ومن جانب آخر، إن شبه قارة جنوب آسيا تحظى بالقبول كأرض واحدة. لقد ظهرت الفرقة والخلافات السياسية في أوقات عديدة في شبه قارة جنوب آسيا، ولكن هذا لم يقطع بكل تأكيد روابط الوحدة بين شعوب جنوب آسيا. حدث تقسيمان جديدان في شبه القارة الحديثة (منذ 15 أغسطس/آب 1947): بين الهند وباكستان، وبعد ذلك بين باكستان وبنقلادش. وهذان الانقسامان من الحقائق الصارخة في الوقت الحاضر. لكن الجغرافيا لم تتأثر تماماً بكل ذلك. ولا يزال الغموض يكتنف مقدار ما سيحدثه ذلك من تغيّر في التاريخ مستقبلاً، بيد أن ما يعد حقيقة ناصعة في شتى الوجوه هو ما يلي: أن هذه الأمم الثلاث جزء من شبه قارة جنوب آسيا. وشبه قارة جنوب آسيا واحدة رغم تقسيماتها الجغرافية، وهذا الجمع من الشعب متحد، حتى بعد الأحداث المأسوية صعوداً وهبوطاً في مجرى تاريخها. فجميع المناطق موحدة في التوزيع الاقتصادي، وهم أقارب من وجهة النظر الأنثروبولوجية، وجميعهم شركاء متساوون في ثقافة جنوب آسيا. وهكذا فإن عبارة «الوحدة في التنوّع» تنصهر في حياة شبه قارة جنوب آسيا. وما دام المرء مقيماً في شبه قارة جنوب آسيا، فسيلاحظ

(1) منذ سنة 1992 (مع توقيع اتفاقية ماسترخت) تتجه أوروبا نحو وحدة دولها المختلفة في اتحاد أوروبي سياسي.

المزيد من تقسيماتها وتنوّعها. وعندما يغادر المرء شبه القارة، يدرك أن الآسيويين الجنوبيين متشابهون إذا ما قورنوا بغيرهم، سواءً في المظهر، أو التركيبة العقلية، أو المشاعر، أو حتى في اللغة.

صلات القربى اللغوية بين الهند وباكستان

في ما يخص اللغة على الأقل، لا توجد حدود فاصلة بين الهند وباكستان وبنقلادش. فلغات هذه الأمم الثلاث، تنتمي إلى مجموعة لغات شبه القارة. دعونا نأخذ باكستان مثالاً: لغتها الرئيسية هي الأوردية Urdu، إحدى اللغات الجنوب-آسيوية في شبه القارة. وقد يثار التساؤل عن اللغة البلوشية Baluchi في إقليم بلوشستان، ولغة الباشتون Pashto المستخدمة في الإقليم الشمالي الغربي من الحدود الباكستانية: هل لغة الباختون Pakhtun أو الباشتو العائلة الفرعية الهندية-الآرية تأثرت باللغة الأنجلو-آرية، (أي الفروع الأوروبية للغة الهندية-أوروبية)؟ أم أنها من العائلة الفرعية الأنجلو-آرية (الأوروبية) وتأثرت بالعائلة الفرعية الهندية-الآرية؟ ولو وضعنا هذا السؤال جانباً، فالواقع يظل على حقيقته وهو أن اللغات الرئيسية للباكستانيين والهنود والبنقال تنتمي جميعاً إلى المجموعة اللغوية نفسها لشبه القارة. في روايتنا عن لغات الهند، علينا تقديم تفسير للغات الأمة الهندية في المقام الأول، ولكن لغات الأمة الباكستانية ستؤخذ بالحسبان أيضاً في المسار الطبيعي لذلك، على الرغم من أننا

سنأتي على ذكر نقاط الاختلاف إن وجدت وعندما تقتضي الحاجة. على العموم يجب ألاّ يظهر موضوع التقسيمات بحسب الدولة عند الحديث عن لغات شبه القارة، أي أننا سوف ندرج كل لغات هذه الأرض الواسعة. وينطبق الأمر نفسه على لغة النيبال باعتبارها إحدى لغات مجموعة شبه القارة، كما هي الحال مع اللغة السيلانية Sinhala في سريلانكا.

تتشابه الهند وباكستان في جانب آخر، وهو أن الأمتين كلتيهما متعددتا اللغات. وقد تبيّن لنا سابقاً أنه لا غرابة في ذلك. وفي الوقت الحاضر تتكون كل البلدان تقريباً من أمة واحدة. الدولة القومية، أو الاتحاد الوطني، هي اليوم المعيار العام في العالم، على الرغم من وجود استثناءات غير قليلة العدد، أيضاً. هناك أمتان في أيرلندا، وبعد الحرب الأخيرة (أي الحرب العالمية الثانية) انقسمت ألمانيا إلى بلدين (وبقيت على تلك الحال حتى توحدت في عام 1991)، وتضم كوريا قُطرين، كما انقسمت شبه قارة جنوب آسيا إلى الهند وباكستان، وهذه التقسيمات ما هي إلا نتاج لمكائد المستعمرين، ولكن ذلك موضوع سياسي. وفي ما يخص موضوع اللغة، نعلم أنه حتى في حال انفصال البلدين تظل اللغة موحدة ولا يسهل تشعيبها لأكثر من واحدة. لم يستطع الألمان القضاء على اللغة الفرنسية في إقليم الإلزاس واللورين Alsace–Lorraine رغم جهودهم بين عامي

1871 و1914.[1] ومن جانب آخر العكس صحيح، وقد رأينا ذلك في البداية حيث يتم استعمال أكثر من لغة في البلد الواحد نفسه.

اللغة القومية والأمة متعددة اللغات

ندرك جميعاً أن هناك الكثير من الامتيازات للبلاد ذات اللغة الواحدة. عندما يعتمد مواطنو البلد الواحد لغة واحدة كلغة قومية لهم، فإن هذا المنهج سيكون عوناً للدولة أو البلد، على الأقل على مستوى الشؤون الوطنية، حتى وإن تكلموا بلغات مختلفة. رأينا ذلك في بريطانيا، حيث يتم التحدّث بثلاث لغات، ولكن الإنجليزية هي اللغة الرئيسية وهي اللغة الوحيدة المستخدمة في شؤون الدولة. الأمة ذات اللغة الأحادية محظوظة بمعنى واحد، ولكن الأمة متعددة اللغات لا تواجه أية مشاكل إذا تمكنت من اعتماد لغة وطنية واحدة. ومع ذلك، إن كثيراً من الأمم — ولا تزال— مكوّنة من مجتمعات من المواطنين الذين يتكلمون لغتين أو أكثر، مثل جمهورية الصين الشعبية والاتحاد السوفيتي سابقاً. بل توجد بلدان لا تمتلك حتى لغة وطنية واحدة. إننا نعرف هذه الأمم: غالباً ما نسمع عنها في سياق الحوارات الساخنة عن القضية المتعلقة بلغتنا الوطنية. على سبيل المثال، سويسرا بلد صغير نسبياً ولكن لديه أربع لغات

(1) في الحقيقة حتى عام 1919، واسترجاع فرنسا هذا الإقليم فإن اللهجة الألمانية المستخدمة هناك لا تتساوى في الحقوق مع اللغة الفرنسية. [المترجم]

قومية: الألمانية، والفرنسية، والإيطالية، والراكتورومانية[1]. من جهة أخرى، إن كندا بلد ضخم المساحة ومع ذلك فإن الإنجليزية والفرنسية هما اللغتان القوميتان فيه. الاتحاد السوفييتي سابقاً لم يتخذ بصفة قانونية لغة واحدة بحد ذاتها كلغة وطنية، وبخلاف ذلك أصدر قانوناً ساري المفعول، يقضي بأن جميع لغات مواطنيه متساوية، وكانت هناك أكثر من خمسين لغة في ذلك الاتحاد. الدول الأعضاء، كأزبكستان وجورجيا، وأرمينيا..إلخ، تعودت على تسيير شؤون الدولة باللغات الخاصة بها، وتم اعتماد اللغة الروسية إلى جانب تلك اللغات، ولكن المعاملات الرسمية للدولة المركزية السوفييتية كانت تجرى بالروسية، على أن اللغات الأخرى لم تكن غير مقبولة أيضاً. ولم يعد من الضروري أيضاً أن نذكر بلداناً اشتراكية (سابقة) مثل تشيكوسلوفاكيا (سابقاً) ويوغسلافيا (سابقاً)..إلخ. وبالطبع فالمكسيك والسويد بلدان غير اشتراكيين، ومع ذلك ثمة لغتان وطنيتان أو أكثر مقبولتان في كلا البلدين. وفي أفغانستان أيضاً، هناك لغتان مقبولتان بالتساوي حتى يومنا هذا، هما الفارسية والباشتو.

موضوع لغتنا الوطنية ليس موضوعاً للنقاش هنا. من المتعارف

(1) Rhactoroman وتسمى أيضاً الرومانش Romansch [وهو الشائع] أو اللادين Ladin، وهي فرع من العائلة الايطالية من اللغات الهندية-الأوروبية. اللغات الأخرى في هذا الفرع هي اللاتينية، والأوسكان-أومبرية Oscan-Ombrian، ولغات الرومانس (الفرنسية، الايطالية، البرتغالية، الإسبانية وعدد قليل غيرها).

عليه حقاً أن وجود لغة وطنية واحدة فقط يساعد البلاد، وإذا كانت هناك لغتان فلن تنشأ العديد من المشكلات. كلما كثرت اللغات المتداولة، ازداد الوضع إزعاجاً، لكن دولة مثل سويسرا، لا تضعف أمتها بوجود أربع لغات (وطنية). من الطبيعي للبلدان الأكبر بالتأكيد أن تمتلك موارد مادية وفيرة، وإذا لزم الأمر فباستطاعة هذه البلدان أن تعتمد لغات أكثر عدداً كلغات قومية. القضية في الأساس، إجراءات وظروف سياسية، وهي ثانوية بالنسبة للغة والثقافة. إذا كانت النوايا السياسية حسنة، فلن يتعذّر حل القضية. لكن يتوجب فهم أمرين بسيطين: أولاً، من المرغوب أن تدار الشؤون الوطنية بلغات يفهمها كل من في الوطن، وثانياً، إن جميع اللغات في البلد متعدد اللغات يجب أن تحصل على حقوق/ مراتب متساوية وفرص للنمو عبر القنوات الطبيعية. هذا على الأقل ما سيقبل به كل فرد، وتحديداً، يجب أن تتاح لكل فرد فرصة ممارسة لغته الأم وإتقانها، فكل فرد متعلم في الوطن، يجب أيضاً أن يمتلك المفهوم العام عن اللغات البارزة في البلاد، وعن الطبيعة الخاصة لكل منها وإلى أي مدى تتشابه أو تتباين مع بعضها بعضاً. ومن دون ذلك، تبقى معرفة المرء لبلاده ووطنه غير مكتملة، ولا يمكن أن يؤتي تعليم المرء ثماره حقاً.

الفرق بين اللغة والكتابة

الموضوع السابق هو ما سنعنى به بالفعل. وقبل أن نخوض فيه

من الأفضل ذكر نقطة أو اثنتين. اللغة المنطوقة ولغة الكتابة[1] ليستا بالشيء نفسه. فمثلاً الهندية والماراثية ولغات قليلة أخرى تكتب بالحرف الناقري Nagari، وبالرغم من ذلك فالهندية والماراثية لغتان مختلفتان، وليست هناك أي لغة تدعى ناقرية، ومن السخافة أن نسمي الهندية، في بعض الأوقات، لغة ناقرية. وثمة مصطلح آخر، رغم أنه ليس غير صحيح تماماً، متأصل إلى حدّ ما في سوء الفهم، وهو «لغة الآلهة» devabhasha. في شمال الهند، كانت تكتب بالحرف الناقري، وفي جنوب الهند بكتابات لغات الأقاليم، وفي البنقال بالحرف البنقالي، وفي أوريسا Orissa بالكتابة الأورية. بمعنى أنها كتبت في كل منطقة بالحرف الكتابي للغة الإقليم. في القرن التاسع عشر، عندما شرع ماكس مولر Max Muller في طباعة الفيدا Veda[2]، واجه المشكلة التالية: بأي حرف يجب أن تُنضّد طباعته؟ في النهاية اعتمد كتابة معلّمي البناراس Benaras وتلك هي الناقرية. لذا بدأت كتب اللغة السنسكريتية تظهر مطبوعة بالحرف الناقري

(1) الكتابة هنا ترجمة لكلمة script، ويمكن أن نقول أيضاً: «الحرف (الكتابي)»، و«الرمز الكتابي»،أو «الحروف الهجائية»، ولإزالة الالتباس، تدل جميعاً على نظام الكتابة، ولا يُقصد بذلك «الخط». انظر الحاشية المتعلقة بهذا في الملحق رقم 1. [المترجم]

(2) الفيدا هو الكتاب المقدس الرئيسي لدى الهندوس (ربما قبل 1500 ق.م). تضم الفيدا، إلى جانب المقدمة والخاتمة، أربعة كتب رئيسية: Rigveda «معرفة الترانيم»، Yagur veda «معرفة الصيغ بالقرابين»، Sama Veda «معرفة الأنغام»، وأخيراً Athra Veda «معرفة الرقى السحرية». ويأتي بعد الفيدا «البراهمان» Brahamans أي قواعد الطقوس والدعاء 800 ق.م.، و«الأوبانيشاد» Upanishads وهي المحاورات السرية التي تتضمن التأملات اللاهوتية التي سادت ذلك العصر 500 ق.م. [المترجم]

في الخارج أيضاً، وحذت جامعة كلكتا حذو المبجل فيدياساقر Vidyasagar واستخدمت الحرف الناقري في طباعة السنسكريتية، على الرغم من استمرار استخدام الحرف البنقالي في الكتابة اليدوية (المتواصلة/ المتشابكة). وفي الوقت المناسب، منذ طباعة «لغة الآلهة» بذلك الحرف، اكتسب الخط الناقري الاسم «ديفناقري» devanagari [أي الحرف المقدس]. لا يوجد دليل ملموس على أن الآلهة (الهندوسية) كانت تتحدث بالسنسكريتية[1]، لكن لا مبرر للشك في أنهم لم يكتبوا بالحرف الديفناقري. وإذا وضعنا الحرف الناقري جانباً، فإن السنسكريتية تظل هي السنسكريتية، حتى وإن كتبت بالحرف الروماني. وعلى نفس المنوال، الهندية ستبقى الهندية والبنقالية ستظل البنقالية. وبنفس الطريقة: الأوردية تكتب بالحرف العربي—الفارسي، ولكن الأوردية لغة هندية ولم تصبح لغة من المنطقة العربية أو المنطقة الفارسية. يمكننا أن نناقش موضوع الحروف بصورة مستقلة في مرحلة لاحقة، لكن يكفي الآن أن نعرف ما يلي: منطقة شبه قارة جنوب آسيا ليست بلاداً للغات كثيرة فحسب، بل أيضاً لأنظمة كتابية لغوية مختلفة. وقد أضاف تعدّد نُظم الكتابة، مزيداً من

(1) يمكن القول عن الهندوسية إنها ثقافة اجتماعية دينية أكثر منها عقيدة تعبدية، نظراً للمرونة القائمة بداخلها. تشتمل على الكثير من الطقوس، كما يمكن تقسيمها إلى مرحلتين: المرحلة البرهمية البدائية وهي الأكثر تشدداً في أمور العبادات، والمرحلة الحديثة التي هي أكثر انفتاحاً وتأخذ من المصلحين وتعاليمهم. نصوصهم المقدسة تتمثل في الفيدا والملاحم الشعرية التعبدية. الأقانيم الرئيسة هم الأرباب فشنو وشيفا والآلهة ديفي ولها اسماء مثل كالي وشاكتي. [المترجم]

التعقيد القائم. ثانياً، من المهم معرفة بأي حرف كتابي تُكتب أي لغة، ولكن اللغة ليست فقط شيئاً يمكن كتابته بالقلم والورقة، بل إنها على العكس من ذلك، تتألف أساساً من تعابير منطوقة تلفظ شفهياً بواسطة أصوات الكلام.

عندما يُسأل اللغويون عن ماهية اللغة، يعرّفونها كما يلي: «اللغة هي مجموعة/ منظومة من الكلمات التي تنتجها الأصوات الملفوظة بأعضاء الكلام، وتستخدمها جماعة معينة، وتوضع مستقلة بذاتها أو تستخدم في الجمل وتستعمل للتعبير عن الفكر» (Suniti Kumar Chatterji, Bhasha-Prakas Bamla Byamkarao). وبكلمات عامة أكثر تبسيطاً، يمكننا القول: إن الكلمات المنطوقة التي نلفظها للتعبير عن أفكارنا هي التي تصنع اللغة، وفي الكتابة أيضاً نرمز إليها بالحروف بمزيد من الاهتمام. لذا فإن حروف الكتابة في الأساس مجموعة من الرموز المرئية، التي تمثل الأصوات — أي التعبير بالرموز المرئية عن الأشياء السمعية (الصوتية) الأصلية. بمساعدة الكتابة تتضاعف فرص تبادل الأفكار مرات عدة، وتحرز اللغة حالة من الديمومة والثبات. هذه اللغة التي نعبّر عنها بالرموز الكتابية، تصبح محفورة في رؤانا الذهنية وتدريجياً تحتل مساحتنا العقلية، وبذلك تحمل الفرد على نسيان الصيغة السمعية الأصلية للغة. في سياق نقاشنا للحروف الكتابية، نعرف أن الكتابة لم تكن سائدة ولم تحظ

بالاهتمام في شبه القارة في الأزمنة الغابرة[1]. (الفيدا) ونصوص الفيدانقا Vedangas كانت تتلى شفاهاً وتصاغ من أصوات الكلام، وكان تعلمها شفاهياً، عبر الأجيال المتعاقبة التي حفظتها في ذاكرتها، ولم تهجر مهارة الحفظ هذه إطلاقاً حتى في أوساط معلمي الديانة في الوقت الحاضر.

غابة من اللغات

من نافلة القول: إن منطقة شبه القارة الآسيوية غابة (فعلية) للغات. ففي «المسح اللغوي» الذي أجري خلال الحقبة البريطانية، تم التوصّل إلى أن هناك 179 لغة و 544 لهجة في هذه المنطقة (Linguistic Survey of India، 1903—1928). كان تقديرهم غير دقيق إلى حد ما، ولكننا على الرغم من ذلك لا يمكننا الاستخفاف بمسحهم. الحسنة الكبرى لهذا العمل المرموق تكمن في رئيس تحريره السير جورج أ. قريرسن Grierson، ففي مسحه للغات الهندية الحديثة قام بتصنيفها إلى عائلات لغوية على مسارات تاريخية (مقارنة). وخلال التعداد السكاني للعام 1961 (المنشور في عام 1965)، أجرت الحكومة الهندية تقييماً آخر للغات شعب الأمة الهندية (1961 Census Vol 1، Part II، India

(1) توجد تباينات في الآراء بشأن ما إذا كانت الكتابة موجودة في جنوب آسيا في الأزمنة الغابرة. بعض العلماء مع الرأي القائل إن هناك احتمالاً كبيراً لوجود الكتابة في تلك الأزمنة، ولكنها أندثرت بدمار المادة المستخدمة لكتابتها عليها.

(C II، Language Tables by Ashok Mitra)[1]، يضم مختلف الأفراد، وأعداد هذه اللغات الأم، وأعداد الناطقين بتلك اللغات الأم. كما يضم أيضاً أعداد الأفراد الناطقين بلغة ما، وحقائق (أرقام فعلية) عن أعداد الأفراد، من بين هؤلاء، الذين يعرفون أنهم يتكلمون لغة ثانية غير لغتهم الأم. (سجل نحو 11،121،000 رجل وامرأة بأنهم على دراية باللغة الإنجليزية). هذا العدد من الذين يستخدمون اللغة الأم، لا يجعله مسحاً شاملاً للغات، لكنه مؤشر موثوق به في هذين الموضوعين المهمين. لا يمكننا أيضاً في بلد نصف سكانه تقريباً أميون، أن نتوقع منهم بطبيعة الحال الإبلاغ عن لغاتهم الأم بصورة مثلى. فقد ذكر عدد من الناس طبقاتهم الاجتماعية باعتبارها لغاتهم الأم، وأعطى آخرون أسماء قراهم أو مسميات لمناطق غيرها. يصل هذا الرقم إلى ما مجموعه 1652 لغة أم، بالرغم من أن 530 منها تظهر عدم انتمائها لأي مجموعة لغوية، إضافة إلى أن 105 لغات غير هندية. هذا الحصر الجديد يتعلق بأعداد الناطقين بهذه اللغات الأم، أي البشر، وهو ليس وصفاً لتلك اللغات. ولم يهتم المؤلفون بتقييم العلل، ولماذا تم الحكم باختلاف لغة شخص ما عن لغة شخص آخر: قبلوا بكل بساطة بما أبلغهم به الفرد أنه لغته أو لغته الأم، واستطاعوا أخيراً تحديد أرقام المتكلمين (8a) باللغات الـ 15 الوطنية الرئيسية والمعتمدة في الدستور الهندي (الملحق الثامن)، وما يتصل بذلك من أعداد الناطقين بلهجات/ لغات «إقليمية»

(1) تم الرجوع للتعداد السكاني إلى أقصى درجة ممكنة حتى 1981. انظر الملحق.

رئيسية مندرجة تحت تلك اللغات الرئيسية/ الوطنية. تحت الهندية مثلاً: الأوادية، والباغلية (الخاندية Khandi) والشاتيسغرية Chathisgarhi، وقد بحثوا لغات كالميثيلية، والبهوجبورية، والمقاهية وغيرها، الموجودة في ولاية بيهار، وذكروا أعداد الناطقين بكل منها. إضافة إلى ذلك، حددوا مجموعة يسيرة من اللغات البارزة غير الخمس عشرة لغة الملحقة بالدستور، كاللغة الراجستانية Rajastani والسنتالية Santhali وغيرهما، وأعداد المتكلمين بكل منها، كما ذكروا أيضاً القليل من «اللغات الأم» الصغيرة نسبياً، وطرحوا وجهات نظرهم حول المجموعات المحتملة أو اللغات التي من المحتمل، أن تنتمي إليها تلك اللغات. يوجد في مقدمة المسح اللغوي بحث علمي مقنع وقوي عن لغات الهند، حيث أسهب المؤلفون في رؤيتهم لمصطلحات مثل «اللغة»، و«اللهجة» (أي اللهجة الجغرافية)، و«صيغ الكلام»، و«كلام محلي»، وغير ذلك.

على كل حال، إذا ما ألقى المرء نظرة عاجلة على المسح القديم وعلى الإحصائيات الحديثة عن اللغة الأم، فسيبدو للناظر كما لو أن شبه قارة جنوب آسيا غابة من اللغات.

إحصائيات متعلقة باللغة الأم

B(i) Part—a4 وفقاً للتعداد السكاني الهندي عام 1981.

عدد المتكلمين وفقاً للغة المذكورة في التقرير أو اللغة الأم (Table C—7، India).

Part-A: المتكلمون باللغات وفقاً لملحق الدستور VIII Schedule (التقسيمات الفرعية مدرجة). (انظر ملحقات 1971، 1981، 1991).

اللغة[1]	عدد المتكلمين
الأسامية Assamese	79،950
البنقالية Bangali	51،298،319
القوجراتية Gujrati	33،063،267
الهندية Hindi	264،514،117
الكنادا Kanada	25،697،146
الكشميرية Kashmiri	3،176،975
الماليالام Malyalam	25،700،705
الماراثية Marathi	49،452،922
الأورية Orya	23،021،528
البنجابية Punjabi	19،611،199
السنسكريتية Sanskrit	6،106
السندية Sindhi	2،044،389

(1) الملاحظ أن أعدادها لا تقترب من سكان الهند، ولكن كما قال الكاتب في الصفحات السابقة إنها مجرد مؤشر فقط. تأتي سبع من هذه اللغات ضمن العشرين لغة الأكثر تداولاً على مستوى العالم وهي: الهندية، والبنقالية، والبنجابية، والتيلوقو، والماراثية، والتاميلية، والأوردية. (المترجم)

التاميلية Tamil	3،802،995
التيلوقو Telugu	50،624،611
الأوردية Urdu	34،941،435

6،106 نسمة يتكلمون بالسنسكريتية Sanskrit، 2،093،557 يتكلمون بالراجستانية، 6،121،922 يتكلمون بالميثيلية Maithili، 1،434،564 يتكلمون بالبهوجبورية Bhojpuri، 6،638،495 يتكلمون بالمقاذية Maghadhi أو المقاهية Magahi، 4،332،571 يتكلمون بالسنتالية. (المرجع تقرير التعداد السكاني 1981، وملخص 1991)[1].

ملاحظات

1- ربما ارتبطت اللغات الراجستانية إلى حد ما بمجموعة الهينفيور-الهنديكية Hinvior-Hindki الموضوعة من البراكريتية الشوراسنية Sauraseni Prakrit. وقد تأثرت في الإقليم الشمالي باللغة «الأوديسية» Udici أي « البراكريتية الشمالية».

2- بما أن هذه اللغات تنحدِر من البراكريتية الشرقية Pracya (البراسيا)، أو «البراكريتية المقاذية»، فإن الميثيلية والمقاهية

(1) اللغات الراجستانية والميثيلية والبهوجبورية والمقاهية المذكورة في الجدول أعلاه غير واردة في تقارير التعداد السكانية لعامي 1971 و 1981. ونحن نرى أن أسباب استثناء مجموعة اللغات الراجستانية يستحق التحقيق فيه. وجدت الأرقام المتعلقة بالميثيلية والمقاهية والبهوجبورية إضافة إلى الراجستانية، في ملخص تقرير التعداد السكاني لعام 1991.

والبهوجبورية أخوات للبنقالية والأسامية والأورية.

3- السنتالية -هي لغة من العائلة الأسترالية الآسيوية Austric (أو الأستراكية Austrakai) هي بنت عم الأسترالية-الآسيوية للغات الأسترونيسية Austronesian من حيث السلالة العرقية. فالسنتاليون من الأصل نفسه مثل عائلة الكوليين Kols والهوويين Hos والهوريين Hor(o)s والموندريين Munda(ri)s والأورانيين Oraons والخونديين Khonds والقونديين Gonds والخاسيين Khasis والمالطويين Maltos. من الجانب اللغوي، تأثرت لغات قبائل من أمثال الأوران والخاند والقوند والخاس والمالطو باللغات الدراويدية. وكل جماعة/ قبيلة لها نواهيها الخاصة بالزواج ودور عبادتها المحظورة على أفراد بقية الجماعات. غير أن المسيحيين هم الاستثناء في هذا الشأن.

اللغة واللهجة (الجغرافية)

المسائل المتعلقة «باللغة» و«اللهجة» (الجغرافية) واردة في هذا السياق، إلا أنه من غير الممكن ومن غير الضروري، إجراء بحث علمي حول اللغة، أو خصائصها التعريفية، مقابل اللهجة أو الكلام، أو غير ذلك. في ما يتعلق بهذا الجانب، يمكننا إجمالاً أن نختار التصنيفات المُتعارف عليها للغات الهندية، فذلك يعطي صورة مبسطة وفاعلة. على سبيل المثال، نعرف أن هناك اختلافات عدة بين اللغتين الشائعتين تشيتاقونغ Chittagong

(شرق بنقلادش) ومانبوم Manbhum (غرب البنقال الغربية)، ولكننا عندما نمعن النظر، سرعان ما نكتشف أن هذه الاختلافات ما هي إلا فروق صوتية مبهرة (أي تباينات في الأصوات المستخدمة)، وليست اختلافات في الصرف اللغوي (أي بنية الكلمات المستخدمة). وذلك يعني، من وجهة نظر القواعد، وجوانب مهمة أخرى للصيغ اللغوية، أن نقاط الشبه في لهجتي هاتين المنطقتين جوهرية. كما أن سكان الإقليمين سيقولون بكل بساطة إن لغتهم الأم هي «البنقالية»، وسيتمكّنون من فهم كلام بعضهم بعضاً إلى حد ما حتى وإن لم يقولوا ذلك. وعليه فإنها حقاً اللغة نفسها. هذه هي إحدى الخواص الأساسية للغة، والسبب في وجود مثل هذا التنوع في إطار اللغة الواحدة يعود في الغالب إلى البُعد الجغرافي، وربما كان هناك سبب آخر غيره. هذا يعلل وجود اللهجات داخل اللغة الواحدة[1].

(1) بعبارة عامة، استخدم السيد سونيتي كومار شترجي مصطلح «لغة إقليمية» pradesikkhs مقابل المصطلح الإنجليزي «اللهجة»، ولكن هناك مصطلحاً شائعاً آخر لها هو upabhasha «اللغة الفرعية». وعليه، فإننا سنطلق على لغات القبائل upajatis مصطلح «اللغة القبائلية»– upajatik bhasha فهذا قد يدل، أو لا يدل، على لغة مكتملة كاللغة السنتالية. ومن ثم، يمكن وصف صيغة لغة القبيلة «بالقبائلية». في البنقالية، مثلاً، توجد ثلاثة أنواع للهجات القبائلية: الشاكما Chakma صيغة البنقالية المنطوقة في جبال الشيتاقونغ، والموياتق أو البشنوبورية Moyang/Bishnupuriya المنطوقة في سيلهيت وكاشار Cachar، والهاجونغ Hajong المنطوقة في جبال القارو Garo. تعتبر هذه من اللهجات الفرعية للغة البنقالية، وهي ما سنسميها «البنقالية القبائلية» upajatik barhta. عموماً، نستخدم كلمة bol «كلام» لتقابل المصطلح الإنجليزي speech «لهجة، حديث»، وshamisrabh اللغة المخلوطة المبهمة مقابل jargon أي «الرطانة»، و«اللغة الفرعية» لتدل على patois أي «اللهجات العامية»، وهلم جراً.

«اللهجات».. جزء لا يتجزأ من «اللغة». فمن الممكن وجود لهجات عديدة في إطار لغة ما، ومن الممكن القول: إن تشعب (اللهجات) أمر لا مهرب منه في الأزمنة السابقة، عندما كان التواصل نائياً وبعيداً. وبالرغم من ذلك، نجد تشابهات في الخصائص البارزة للهجات (أو اللغات المحلية) المتجاورة جغرافياً. أضف إلى ذلك، إمكانية تنظيمها في مجموعات كبرى بناءً على تلك التشابهات. على سبيل المثال، يمكن تنظيم لهجات البنقالية إلى خمس مجموعات كبرى، وهذه المجموعات:

1- البنقالية الغربية الوسطى (إقليم رارهيا Rarhiya)

2- المجموعة الجنوبية الغربية (إقليم رارهيا الغربي)

3- المجموعة البنقالية الشمالية (إقليم بارندرا Barendra)

4- المجموعة الشرقية الوسطى (إقليم البنقال أو السمتات Samatat)

5- المجموعة الجنوبية الشرقية (إقليم تشيتاقونغ وسلهيت وكاشار.. إلخ)

وبالإمكان أيضاً اعتماد تقسيمات أخرى، ونضرب مثالاً بالبنقالية على الحدود الغربية (أي حدود مناطق البانكورا Bankura والبوروليا Purulia ومدينبور Medinipur) وإمكانية تسميتها بالجاركندية[1].

(1) تُستخدم مجموعة من اللغات القبائلية (دراويدية وأسترالية-آسيوية) في الإقليم المحدد بجاركند Jharkhand، ولكن البنقالية «الجاركندية» المشار إليها في النص تختلف كثيراً عن هذه المجموعة الدراويدية.

ومن جهة أخرى، اندمجت هاتان المجموعتان من اللهجات في مناطق معينة، ومن ذلك أن منطقتي جسور Jessore وكولنا Khulna (في بنقلادش) تشكلان منطقة وسطية ذات حديث وسطي بين «البنقالية الجنوبية-الغربية» و«البنقالية الشرقية-الوسطى». عموماً، يطغى تأثير «اللغة العامية الفصيحة» Standard Colloquial على تأثير اللهجات في أنحاء البلاد، بسبب التوسع في التعليم، وإلى حد ما، التسهيلات الحاصلة في الاتصال عبر الإذاعة والتلفزيون والمسرح وما إليها. ثانياً، تُصنّف اللهجات تحت اللغة الرئيسية: فهي فروع اللغة، ولا داعي أن نحسبها بصورة منفصلة عن اللغة الأساس. في هذه الحالة، التعبير القائل إن هناك «179 لغة و 544 لهجة» منطوقة في الهند هو تعبير مضلِّل في الواقع، لأن الـ544 لهجة مدرجة أيضاً ضمن الـ 179 لغة. من الضروري بمكان الحديث عن «اللهجات» من وجهة نظر علمية، ومن غير العلمي لا بل من الخطأ أيضاً بالمنظار العام احتساب عدد اللهجات مرة ثانية بصورة منفصلة عن اللغة الرئيسية.

اللغات الكبرى عددها 15 [1]

لدينا القليل لنقوله في هذا الموضوع. يتوجب احتساب هذه اللغات الـ179 في الدراسات اللغوية والقبول بها (في غياب الدليل

(1) منذ إصدار الطبعة الثانية للنسخة الأصلية، تمت إضافة ثلاث لغات أخرى إلى كشف اللغات بالملحق الثامن للدستور الهندي، وبالتحديد: النيبالية والكونكانية والمانيبورية.

المستقل) كحقيقة من قبل عامة المتعلمين. لكن ما هو الوضع القائم في شبه قارة جنوب آسيا في الممارسة العملية؟ هناك عدد من هذه الـ179 موجود بالفعل ولكنه ليس بالأهمية نفسها.

من بين ما يسمى 179 لغة، هناك 116 لغة قبائلية متفرقة من العائلة الصينية-التيبتية، والتي نجد أنفسنا ملزمين بتسميتها «باللهجات الفرعية»، وسيتم احتسابها بالطبع. لكن هذه اللغات صغيرة جداً من حيث عدد المتكلمين، وللأغراض التجارية والثقافية، بحيث تعتبر عملياً عديمة الأهمية في مجرى النشاط العام في مجتمع الهند الواسع المترامي. وهناك أيضاً قرابة 24 أو 25 لغة أخرى تنتمي إلى العائلات الدراويدية والأسترالية- الآسيوية. وهي تعتبر قليلة الأهمية عملياً لنفس الأسباب المذكورة. بعض هذه اللغات تحظى بأهمية في أقاليمها بلا ريب، مثل السنتالية. فليس من المستحيل أن تكتسب أهمية أكبر كلما ازدادت تطوراً، ومن الضروري أن تحظى بهذه الفرصة. لكنها لدى الحكم عليها على أساس كثير من العوامل، لا يبدو أن ظهورها في الوقت الحاضر سيكون أمراً يسيراً[1]. يتوزّع المتكلمون بمثل هذه اللغات بين الولايات، مثل بيهار، والبنقال (الغربي)، وأوريسا..إلخ. لا يستطيع المرء أن يتدبّر أموره من دون أن يتحدث أو يتعلم لغة رئيسة أخرى في ولايته المعنية أو ولاية أخرى مجاورة. ويستحيل معرفة ما

(1) السنتالية من أكثر اللغات الأسترالية الآسيوية ازدهاراً في الوقت الحاضر، فهي معترف بها في الإذاعة وتظهر في المطبوعات بصورة منتظمة.

كان سيحدث لو أن ولاية سنتالية مستقلة ظهرت إلى الوجود. لذا مهما تكن حسابات اللغويين، فإن عدد اللغات في شبه القارة على العموم ليس كبيراً جداً في الواقع.

يعترف دستور الهند بسبع عشرة لغة إلى جانب الإنجليزية والسنسكريتية، وهي: الأسامية، والبنقالية، والقوجراتية، والهندية، والكنادا، والكشميرية، والكونكانية، والمالايالام، والمانيبورية، والماراثية، والنيبالية، والأورية، والبنجابية، والتاميلية، والتيلوقو، والأوردية وأخيراً السندية (في 1996). السنسكريتية هي إحدى لغات شبه القارة، ولكن من يتكلمون بها في الوقت الحاضر قليلون جداً. أما الإنجليزية فهي اللغة الأم لكثير من الشعب وكذلك الصينية، لكن الإنجليزية والصينية ليستا لغتين هنديتي المنشأ[1]. إلا أنه يمكن الاعتراف بالإنجليزية «كلغة عالمية كبرى» إلى جانب اللغات الأربع عشره المعتمدة (سابقاً) في الدستور، ويجب احتساب عدد قليل من اللغات الهندية الأخرى كالنيبالية[2] والميثيلية. فقد تم تأليف الأدب بهاتين اللغتين، كما أن هناك الأدب الشعبي الزاخر في اللغة البهوجبورية، فهل يمكننا إقصاؤها؟ تم قبول الميثيلية في نظام التعليم في ولاية بيهار، ولكن لم يتم قبول البهوجبورية. «الراجستانية» أيضاً لم تحظ بالاعتراف الكافي حتى الآن، رغم أنها تحتل مكاناً في

(1) وعلى الرغم من أن الدستور الهندي لا يعترف بالإنجليزية لغة «وطنية» في الهند إلاّ أنها لا تزال تؤثر بمرتبة اللغة الرسمية المساعدة لأغراض إدارية.

(2) أدرجت النيبالية الآن (أي منذ عام 1993) في الملحق الثامن للدستور الهندي.

النقاش المتعلق باللغات الهندية. وتحتل اللهجات ولغات القبائل أيضاً حيزاً في هذا النقاش بطبيعة الحال. وسيتم الاعتراف بلغات شعوب القارو، الميزو، السنتالي، والأورون. ولكن البروفيسور الراحل سونيتي كومار شتَرجي كان يرى أن هناك فعلاً خمس عشرة لغة كبرى في الهند، ومن ضمنها السندية والنيبالية. هذه حقيقة نستطيع الاعتراف بها، حتى ولو وضع الفرد نصب عينيه الصورة الكاملة للغات الموجودة في الهند. لكن أيا كان عدد اللغات واللهجات، أو أياً كانت إفادة الأفراد عن لغاتهم الأم، فإن على المتعلمين أن يعرفوا بشكل عام، الصورة الكُلية وكذلك ماهية صيغ وطبائع هذه اللغات الكبرى.

-2-

بلاد ذات أربعة أصول لغوية

عائلات اللغات الأساسية

يتفق الجميع على ملاحظة أن لغات شبه قارة جنوب آسيا، نشأت في الأساس من أربع عائلات لغوية. كما أن عدد اللغات الواقعة خارج هذه العائلات صغير نسبياً، وأقل شاناً. وأسماء هذه العائلات هي: (1) العائلة الأوسترية (الأسترالية–الآسيوية) أو العائلة «الشرقية»، (2) العائلة الصينية–التيبتية (التي يتحدثها الشعب المنغولي)، (3) العائلة الدراويدية، (4) العائلة الهندية–الآرية.

في التعداد السكاني لعام 1961 كان الرقم الإجمالي للمتكلمين الأصليين باللغات الهندية 432 مليون ونصف المليون، من بينهم نحو 43 مليوناً و140 ألفاً حددوا لغتهم الأم كلغة تتبع هذه العائلات اللغوية الأربع، ونحو 750 ألف نسمة يتكلمون بلغة من عائلات لغوية أخرى.

تمت تسمية عائلات اللغات الهندية تبعاً لأسماء المجموعات العرقية [الإثنية]. (لاحظ أن مصطلح «مجموعة عرقية» غير مستخدم هنا بالمعنى العلمي). في الأساس، تعرف كل لغة باسم الفصيل المتصل بالمجموعة العرقية التي تتكلّمها — أي أن اللغة فرع من تلك المجموعة. وذلك، بطبيعة الأمر، مبني على اعتبارات تاريخية، لكن

يبدو من غير المحتمل أن تشكّل «الهندية-الآرية» عرقاً متميزاً. أضف إلى ذلك، أنه لا توجد أساساً مجموعة عرقية نقية في العالم، والحقيقة المسلم بها هي أنه ليس كل الناطقين باللغات الهندية-الآرية في الوقت الحاضر، في أقل تقدير، أفراداً من العرق «الهندي-الآري». هل جميع الناطقين بالإنجليزية، باعتبارها لغتهم الأم، أنجليزيون؟ كما أنه من غير الصحيح علمياً أن من تكلموا باللغات «الآرية» في الماضي، كانوا من الناحية الأنثروبولوجية، من أصل إثني نقي واحد. ويحتمل أن تتخلى بعض المجموعات الإثنية عن اللغة الخاصة بها، وأن تتبنى لغة من عائلة أخرى لأسباب تاريخية مختلفة، وتصبح هذه اللغة المحتضنة حديثاً لغتها الأم. لذلك لا تصبح مثل هذه المجموعة الإثنية فرعاً إثنياً من العائلة اللغوية الجديدة.

يمكننا أن نطرح بعض الملاحظات باختصار عن المجموعات الإثنية الأساسية لشبه قارة جنوب آسيا، ما دامت لذلك صلة هنا. من هم السكان الأصليون لشبه القارة؟ يبدو أنه لا وجود على الإطلاق لأصل إثني متميز من الجنس البشري ممن نشأوا في شبه القارة. فقد جاء البشر إلى هنا من خارج البلاد فحسب، وجلبوا معهم لغاتهم. لغاتنا الكبرى في زماننا الحاضر متحدرة من تلك اللغات، وتنتمي لذات الأفراد القادمين من الخارج. في هذا السياق يجب أن نأخذ في الحسبان أن هذه البلاد ما آوت إلا النزر الضئيل من البشر منذ نحو 5 آلاف أو سبعة آلاف سنة. فقد كانت الأرض مغطاة في معظمها

بالأنهار والجبال والهضاب والغابات، ومهما كانت الحياة البشرية آنذاك، فقد تشكلت من آدميين يعيشون في مجموعات تتراوح بين 10 و 12 فرداً، في الغابات وأودية الأنهار، حيث كان بالإمكان جمع الثمار والخضر الجذرية وأنواع أخرى من الغذاء. تعلم هذا الإنسان البدائي، تدريجياً، ممارسة الزراعة وتربية الماشية/الحيوانات. وعندما أصبحت الزراعة الوسيلة الأساسية للعيش، تأسست قرى / مستوطنات يقطنها ما يتراوح بين 20 و 25 ساكناً، ونما عدد قليل من المدن الصغيرة، لكنها كانت مبعثرة. كما كان سكان تلك المدن قليلاً في كل مكان تقريباً. هذه الصورة لحياة ما قبل التاريخ تنطبق أيضاً على حال هذه البلاد.

المجموعة الإثنية من الجنس البشري، التي يحتمل أنها كانت أول القادمين إلى شبه القارة الآسيوية، هي الشعوب الزنجانية Negritos (شبيهة بالأقزام الزنوج) من أفريقيا. وقد تم اقتفاء أثر بعض المتحدّرين منها في جنوب الهند، وفي شرق الهند (في الأنقامي-ناقاس Angami-Nagas) وفي بعض قبائل جزر الأندامان Andamans — أو هذا ما يبدو عليه الأمر من خلال قياسات أخذها علماء الأنثروبولوجيا الطبيعية[1]. إلا أنه لا يوجد أي أثر لأي من اللغات الزنجانية في أي بقعة من هذه البلاد في زماننا الحاضر. وفقاً للعلماء فإن كلمة «بادور» badur (خفاش) البنقالية هي الوحيدة فقط التي

(1) أي المهتمون بالتقاطيع والبنية البشرية والأطوال والأحجام. [المترجم]

تُعزى في تقفيها للزنجانية. على أي حال، لا توجد لغة لهذه السلالة في جنوب آسيا.

المجموعة الثانية من البشر التي يحتمل أنها قدمت هي الأوستريون، أو الشعب الأسترالياني البدائي. فقد كانوا منتشرين على طول ميانمار Myanmar (بورما سابقاً) والهند – الصينية حتى أستراليا وبولينيزيا: من المتحدّرين من هذا الشعب، الجماعات المعروفة جيداً عندنا وهي الكولية والموندية وغيرهما. ولا تزال لغات هذه العائلة تنبض بالحياة في شبه القارة، مثل الكولية والموندرية والسنتالية، إلى درجة أننا ورثنا منها كلمات بعض المواد الأساسية الموجودة في هذا الوطن (مثلاً chaul «الأرز»، kala «الموز، tetal «التمر هندي»)..إلخ)، وربما ورثنا أيضاً منهم بعض العادات والتقاليد الجديدة. ولعل من كانوا يعرفون بـ «النيشادا Nishadas هم من المتحدّرين من الشعب «الأوستري»»[1].

أما الجماعة الدراويدية فقد كانت القادم الثالث إلى شبه القارة الآسيوية. وهؤلاء يحتمل أن مجيئهم كان منذ 5000 عام تقريباً، وهم العائلة الأساسية للشعب في أنحاء جنوب الهند. هناك أربع لغات دراويدية كبرى: التاميلية، والتيلوقو، والماليالام، والكنادا، وهذه اللغات معتمدة أيضاً في الدستور، كما يوجد للغات الدراويدية عدد

(1) النيشادا، هم أولئك الذين أقاموا عدداً من الممالك المندثرة، وهم قبائل متفرقة عاشت قديماً في ما يعرف اليوم بولاية راجستان. وقد تم وصفهم في المهابهاراتا والرامايانا كصيادين. [المترجم]

من التفرعات القبلية الصغرى.

ورابع القادمين، كان المجموعة الصينية–التيبتية (أو التيبتية–الصينية)، التي أُطلقت عليها تسمية «المنغوليين» Mongloids. فقد دخل هؤلاء إلى البلاد، منذ البدايات الأولى للتاريخ، على طول سفوح جبال الهملايا، وعلى طول حدود أسام والبنقال من جهة الشرق. السلالة المنغولية جماعة ضخمة وما الصينيون (الخان) Khan إلا فرع واحد منها، والقادمون من أوساطهم إلى شبه القارة، ويدعون بالتيبتيين–البورميين Tibeto–Burman، فرع من هذه السلالة. وربما كان هؤلاء من أشير إليهم «بالكيراتا» Kirata. وقد شق كثير منهم الطريق عبر المرتفعات والغابات وهبطوا إلى السهول، واكتسبوا لغة أصحاب السهول. وليست هناك أي لغة تيبتية–بورمية بين اللغات الكبرى بالهند[1]. لقد تم اعتبارها لغات صغيرة نسبياً ذات أهمية أدنى.

المجموعة الخامسة يحتمل أن تكون للناطقين بالهندية–الأوروبية، الذين دخلوا شبه قارة جنوب آسيا منذ ثلاثة آلاف وخمسمئة سنة. كان القادمون الجدد يتكلمون بلغة «مصدرية» Root ولهذا أطلق عليها ماكس مولر «الآرية»، وهو مصطلح لاقى رواجاً في ما بعد. كما أن هذا الاسم يطلق على متكلميها

(1) لا صحة لهذا بعد الآن. المانيبورية أدرجت في الملحق الثامن للدستور الهندي، وهي لغة تيبتية–بورمية. كما أن عدداً قليلاً آخر من اللغات التيبتية–البورمية (مثلا الانقامية–ناقا والميزوية) هي في طريق الاعتراف بها كلغات على مستوى الولاية.

أيضاً. لكن مما لا شك فيه، من وجهة نظر أنثروبولوجية، أن هؤلاء المتكلمين لم يكونوا من العرق نفسه. انتشر هؤلاء المتكلمون بالآرية في أوساط تلك المجتمعات الآرية آنذاك: مع مستطيلي الجماجم dolichocephalic ويعرفون أيضاً «بالنورديين» Nordic، ومع مستديري الجماجم brachycephalic ويعرفون أيضاً «بالألبيين» Alpine [1]. ونحن نعرف أن القادمين إلى الهند، الذين تكلموا إحدى اللغات الآرية، هم أناس ينتمون إلى الفئة الناطقة «بالهندية-الأوروبية»، وسنسميهم بمتكلمي «الهندية الآرية» Indo-Aryan. وهؤلاء مع أولاد عمومتهم، الذين قطنوا إيران ذات يوم، يُطلق عليهم المتكلمون «بالهندية-الإيرانية» Indo-Irani، وسنسميهم بمصطلح يتساوى مع سابقه[2]. يسود في الوقت الحاضر متكلمو اللغات الهندية-الأوروبية أرجاء العالم، وفي العصور القديمة صنعوا حضارات متقدمة، وثقافات متطورة في اليونان وروما وفي شبه قارة جنوب آسيا. ومن بين الهنود-الأوروبيين، تحديداً، يوجد صنّاع الحضارات الحديثة الرئيسيون وناقلوها.

منذ قدوم «الهنود-الآريين» إلى الهند، أتت من بعدهم شعوب مختلفة وعديدة ناطقة بلغات متفرقة، من الساكا (السكايثيين) Sakas (Scythians) والهونيين، ومن البتان (الأفغان) Pathans والمغول،

(1) النورديون هم الشعوب الجرمانية وخصوصاً الإسكندنافية والقوقازية، والألبيون هم المنتسبون لجبال الألب. [المترجم]

(2) المصطلح الذي استخدمه الكاتب في اللغة البنقالية هو Hindi-Iranian «هندي-إيراني».

حتى مجيء البريطانيين والبرتغاليين والهولنديين. يعيش في هذه البلاد بشر كثيرون من جماعات إثنية كبيرة العدد، ولكن لا ترد كل لغاتهم ضمن اللغات الهندية. وتشكل اللغات «الهندية-الآرية»، العائلة اللغوية الأحدث تاريخياً القادمة إلى الهند. نشأت اللغات الكبرى للهند المعاصرة في الفترة «الهندية-الآرية» أو في الحقبة الدراويدية (لاحظ أن المانيبورية هي تيبتية-بورمية)، ومع هذا، لم تكتسب أهمية العائلات «الأوسترية» و«التيبتية-البورمية»[1] نفسها.

والآن نتحرك قُدماً لنأخذ عائلات هذه اللغات فرادى، وبموجب ذلك نتعرف على لغات الهند بصفة عامة. قد يكون من الضروري أن نتعرف على اللغات الكبرى بشيء من التفصيل، إذ إن على أصحاب اللغات الصغرى تعلم اللغات الكبرى. فمن المستحيل عليهم بخلاف ذلك، التنقل والعيش في مناطق تختلف عن مناطقهم أو مجتمعاتهم. هذا هو التعليل في التقاطهم غالباً اللغة الكبرى المجاورة فحسب. في حال تلقيهم شيئاً من التعليم، لربما تعلموا اللغة الرئيسية للولاية المعنية. وإذا تلقوا مزيداً من التعليم، فإنهم سيتعلمون (شيئاً من) الإنجليزية لا محالة. بعد عام 1971، أصبح من العسير، إن لم يكن من المستحيل، معرفة عدد الناطقين بأي من اللغات الهندية. تم علاج هذه المعضلة بشكل كبير: حصر اللغات الأم في التعداد السكاني هو بكل تأكيد

(1) السنتالية، من اللغات التيبتية-البورمية التي يتزايد الاعتراف بها، وهي لغة أسترالية-آسيوية، تستخدم في التدريس والبث الإذاعي في ولاية البنقال الغربية. هناك مطالبة متزايدة بالاعتراف بعدد إضافي من اللغات الأسترالية- الآسيوية في إقليم جاركند.

موضع ثقة فعلية، وهو ما حصلنا عليه ومنه سنقتبس الأرقام عند الضرورة وبحسب الحاجة.

-3-

لغات (النيشادا) أو الأسترالية-الآسيوية

تمتد عائلة اللغة (الأوسترية) على مساحة ضخمة. وقد ذكرنا سابقاً أنها غير محصورة في شبه قارة جنوب آسيا بمفردها. ومن وجهة نظر علماء اللغة، فإن اللغات الأوسترية تُصنّف في فرعين أساسيين:

1- الفرع الأسترالي الآسيوي Austro-Asiatic [1]: تتناثر لغات هذا الفرع عبر شبه القارة، وجزر نيكوبار، وميانمار، والهند الصينية («خمير» كمبوديا Khmer و «شام» الكوشين تشاينا Cochinchina) وبلدان أخرى. لذا فإننا نود التعرف، عن كثب، على القليل من لغات هذا الفرع من أمثال السنتالية والخاسية.

2- يسمى الفرع الثاني الفرع الأسترونيسي[2]. مجموعات اللغات الكبرى في هذا الفرع هي:

1- لغات متفرقة بأندونيسيا، واللغة «الملايية» Malay هي الأكثر تداولاً وهي اللغة الوطنية لشبه جزيرة الملايو وجمهورية أندونيسيا. وتسمى «البهاسا» أو «بهاسا أندونيسيا» Bhasa في أندونيسيا. «بهاسا» كلمة مستعارة من شبه قارة جنوب

(1) كلمة Austro هي في الأصل كلمة لاتينية وتعني حرفياً «الجنوب»، لكننا ترجمناها إلى «الأسترالي» تبعاً للسياق السابق الذي تطرق له المؤلف. [المترجم]

(2) تعرف هذه اللغات أيضاً باسم المالي-بولينيزية Malay-Polynesian. [المترجم]

آسيا خلال الأزمنة الماضية، عندما أسس المستعمرون الهنود الثقافة والحكم الهندي في جزيرتي جاوا Java وسومطرة Sumatra وفي أعالي البحار في ما وراء هذه الجزر[1]. وثمة كلمات أخرى مشابهة، ومسميات لأفكار وأشياء عديدة أيضاً، لا تزال موجودة في أندونيسيا حتى اليوم. (ننصح القارئ المستطلع بالرجوع إلى المحاضرة المصورة لسونيتي كومار شترجي: Kabi–SangameK: Dvipamay Bharat o Indochin) (في صحبة الشاعر: الهند الجزيرية والهند الصينية)[2]. وإلى جانب اللغة الملايية، هناك بعض اللغات الصغيرة المتجانسة والمتداولة في كافة هذه الجزر. بصرف النظر عن هذه اللغات، توجد ثلاث[3] شعب أخرى للعائلة الأسترونيسية خارج أندونيسيا أيضاً.

2- الميلانيسية Melanesian: توجد اللغات الصغرى لهذه المجموعة في جزر مثل الفيجي Fiji.

3- الميكرونيسية Micronesian: اللغات الموجودة في جزر الكارولين Caroline.

(1) كما رأينا سابقاً فكلمة «بهاشا» في الهندية تعني «لغة»، ومعظم الهنود ينطقون الصوت «ش» كالصوت «س»، إضافة إلى أن الصوت «ش» لا يوجد إطلاقا في بعض اللغات الهندية، كالتاميلية مثلاً. [المترجم]

(2) العنوان الفعلي هو: Rabindra-Sangame Dvipamay Bhrat Syamdes «في صحبة رابيندرانات طاغور: الهند الجزائرية وسيام».

(3) في الكتاب الأصلي «أثنتان» محل «ثلاث»، ولكنه يورد ثلاث شعب فرعية.

4- البولينيسية Polynesian: تسمية تطلق على مجموعة معينة للغات السكان الأصليين في جزر عدة مثل الساموا Samoa وتاهيتي Tahiti وهاواي Hawaii.

لن نتوقف كثيراً أمام هذه اللغات في هذا الكتاب، ولكن الأمر يتطلب امتلاك الفكرة المتاحة عن المدى الذي وصل إليه أبناء عمومتنا من العائلة الأوسترية، فهم فوق ذلك في نطاق أواصر القربى. من الطبيعي امتلاك الفهم العميق وبصورة خاصة لمتكلمي الأوسترية في شبه قارة جنوب آسيا.

اللغة الموندية أو الكولية

من اللغات الرئيسية، ضمن اللغات «الأوسترية» في شبه القارة لغات «الكولية» Kol أو الموندية Munda (ومن بينها لغتان بارزتان هما: السنتالية والخاسية). كلا الاسمين قيد الاستعمال.. أي الكولية والموندية، ولكن الأخير يشير في مدلوله إلى مجموعة إثنية في مقاطعة رانتشي Ranchi بولاية بيهار، ولغة هذه المجموعة هي «الموندارية» Mundari. أطلق المبشرون الغربيون هذا الاسم على كل لغات هذه الجماعة الإثنية، التي كان المبشرون أول من احتك بها. كلمة «كول» kol هي الأقدم: توجد في السنسكريتية باسم «كولا» kolla منذ ما يقرب من ألف وخمسمائة عام، ومعناها في جميع تلك اللغات هو «الإنسان». لا يزال هذا المعنى قائماً، وقيد الاستخدام في كلمة

«هور» hor في السنتالية وفي الموندارية، ولكن متكلمي هذه اللغات يعترضون في الغالب على الاسم الحالي: الكولية. ولهذا السبب يفضل البروفيسور سونيتي كومار شترجي أن يسميها الكوليائين Kolyas (وكوليانيون و كولاريانيون). دعوني أضع نهاية لموضوع آخر في هذا السياق، وهو الادعاء الذي يطرقه العالم المجري فيلموس هيفاسي Vilmos Hevassy بمقولته إن لغاتنا الكولية أو الموندارية لم تكن لغات من العائلة الأوسترية، ولكنها، عوضاً عن ذلك، كانت من أبناء العمومة البعيدين لفرع الفنلندية–الأوغرية Finno–Ugrian (أي أنها عموماً من لغات كالفنلندية Finnish والمجرية Hungarian) المتفرعة من العائلة الأورالية–الطائية Uralo–Altaic. بيد أن هذا الادعاء لم يجد القبول إذ إن هيفاسي ومعه علماء قليلون آخرون، يعتبرون أن اللغات الدراويدية فروع بعيدة لنفس العائلة الأورالية–الطائية، وهذه النظرية أكثر تعقيداً ولم تلق القبول حتى الآن، ولكنها تحتمل القبول ذات يوم بعد تقصٍ لغوي عميق.

الممثّل الرئيسي لهذه العائلة الأوسترية في شبه قارة جنوب آسيا اليوم هو (1) اللغات «الكولارية» Kolarian، (2) اللغة الخاسية في إقليم خاسي وهضاب جانتيا Jantia، (3) اللغات النيكوبارية Nicobarese في جزر النيكوبار[1] (مع أنها لم تعط أهمية كبرى

(1) تشكل جزر الاندامان والنيكوبار معاً، مقاطعة اتحادية تتبع جمهورية الهند، وتقع هذه الجزر في خليج البنقال. تتألف هذه الجزر من 24 جزيرة صغيرة، بعضها غير مأهولة، بمساحة تزيد على 8000 كم/مربع، ويسكنها أقل من نصف مليون نسمة. أهميتها تكمن

حتى الآن). بعد أن توزع شعب المجموعة الأوسترية ذات يوم في جيوب جغرافية معزولة في كافة أنحاء الهند، وقد أُجبروا على التراجع التدريجي تحت التهديد القادم من الدراويديين. وربما رحل بعض هؤلاء الناس قسراً تحت الضغط الآتي من التيبتيين–البورميين في الشمال، وفي إقليم الشمال الشرقي. تبعاً لذلك، وبعد قدوم «الآريين»، اتجهوا كغيرهم إلى أبعد من ذلك. ما نعرفه الآن، هو أنهم يعيشون أساساً في التضاريس الجبلية ومناطق الغابات في شرق ووسط الهند، وفي مناطق يصعب الوصول إليها، حيث إن جمع الطعام هو الوسيلة الوحيدة للعيش، وحيث إن إنتاج المحاصيل الغذائية شبه مستحيل. ولكن بعض هذه المجتمعات تقوم بالزراعة وتتلقى التعليم أيضاً، ولكن معظمهم أديفاسيون Adivasis وينتمون إلى قبائل متفرقة[1]، من أمثال القبائل القوندية، والخوندية والكاريائية Kharia والكوروائية Korwa. واللغة القوندية ترتبط لغوياً بالعائلة الدراويدية، وترتبط من بعيد بلغات مثل المالطو والأورانية، رغم أنها لغة تتحدث بها قبيلة أوسترية[2].

ومع ذلك، فإن هذه الجماعات الأوسترية غير متحضرة،

في علاقتها التاريخية بتاريخ شبه القارة في العصور الغابرة. [المترجم]

(1) مصطلح «الأديفاسيون»، يعني «المستوطنين الأوائل»، وهو يستخدم كمظلة للدلالة على جماعات عرقية غير متجانسة وعلى مجموعات قبائلية متفرقة. يعتقد أنهم أول من سكن شمال–شرق الهند، وهم يشكلون أقلية كبرى، ويعترف بهم الدستور الهندي في الملحق الخامس «القبائل المجدولة». [المترجم]

(2) اسم آخر للغة الأورانية هو «الكروخ» Kurukh

والاعتقاد المحتمل أن مصطلح «النيشاديين» عائد إلى البشر الذين اعتادوا صيد الطيور، والحيوانات البرية. إن جماعات السنتاليين البنقالية من ذريات هذه الشعوب ذاتها. يبدو جلياً أن من بين هذه الشعوب الأوسترية من عرف الزراعة أيضاً، فقد حرثوا الأراضي بالأخشاب ومارسوا الزراعات المختلفة، وكان المحصول الرئيسي هو الأرز، ومن ثم الكركم [الهُرُد]، والزنجبيل، والفلفل، والتمر الهندي، وثمار لسان الجدي (موز الجنة) وبذرة القوفَل وأوراقها [تعرف بـ «التُمبُل» في الجزيرة العربية]، وتعتبر مواد لا يستغنى عنها في المناسبات العديدة في أوساط الهندوس والبنقال.

من أبرزالنشاطات الشائعة في المؤسسات الاجتماعية الريفية، صيد الأسماك، واصطياد الطيور، وغزل خيوط القطن، ونسج الأقمشة، وكل هذا قد استقيناه على الدوام من هذه الشعوب في سهل القانقا على الأقل. وقد كان عليهم التراجع أمام المجتمعات الأخرى، ذلك أنهم شعب محب للسلام ومسالم إلى حد ما، وعلى ما يبدو أن ميزة المرونة الطبيعية المكتسبة بالولادة تساعدهم على العيش والبقاء. فهم لا يزالون يعيشون، ومعهم لغاتهم، في مناطقهم الخاصة بهم. بعض كلمات وسِمات اللغات الأوسترية، يمكن الكشف عنها في لغات الجماعات الدراويدية والهندية-الآرية.

اللغة السنتالية

من بين اللغات الكولية، تعد اللغة السنتالية الأبرز في الوقت الحاضر من حيث عدد المتكلمين بها، ولكن لا يمكن إسقاط اللغة الخاسية ببساطة من حيث أهميتها، ولا من حيث عدد الناطقين بها. ويصل عدد الناطقين بالسنتالية في الهند إلى 3،247،358 نسمة، وهناك بضعة آلاف سنتالي موزعين في عموم مناطق ومقاطعات ديناجبور Dinajpur وباقورا Bagura في بنقلادش. لا غرابة، فهناك جماعات بأوريسا أقل منهم عدداً. كما أن الكشميرية هي اللغة الأم لنحو 1،800000 أو مليوني نسمة[1]. الأقاليم الرئيسية لموطن السنتاليين هي تشوتانغبور Chhotanagpur وسنتال برقاناس Santhal Parganas، وخصوصاً مناطق تعدين الفحم في بيهار والبنقال الغربية. وهم يشكلون القوة العاملة الرئيسية في هذه المناطق. لقد جاؤوا إلى المناطق الغربية في البنقال الغربية كعمال زراعيين، في مناطق مثل باناكورا، ومدينبور، وبيربوم Birbhum وبوردوان/ باردامان Burdwan/ Barddhaman. كما انتقلوا إلى جالبيغوري Jalpaiguri ودارجيلنغ[2] Darjeeling للعمل في مزارع الشاي، حتى أنهم تمازجوا مع متكلمي اللغات الأخرى في تلك المزارع الكثيرة والمتفرقة في ولاية أسام، وأضاعوا جزءاً كبيراً من لغتهم الأصلية. ويرجع ذلك من جانب،

(1) عدد الناطقين بالكشميرية في تعداد الهند السكاني عام 1981هو 3,2 مليون تقريباً.

(2) الأهمية التاريخية لدارجيلنغ تكمن في كونها سوقاً تاريخياً على مسار ما كان يعرف بطريق الحرير. [المترجم]

إلى أنهم وضعوا لغة أخرى– الأسامية في أغلب الأحيان– بمثابة لغة أم على الأوراق الرسمية، وتحت ضغط مجتمعات مستبدة (كما في أسام)، من جانب آخر.

ينتمي أفراد الموندا إلى مقاطعة رانتشي أساساً. أما شعب «الها» Ha فهم سكان منطقة تشيباسا في سينقبوم Singhbhum، ويتراوح عدد هؤلاء الهاوين في تشيباسا Chaibassa بين خمسمائة وستمائة ألف نسمة، في حين يتراوح عدد مونداريي رانتشي بين سبعمائة وثمانمئة ألف نسمة. وهناك قبائل أخرى متناثرة تنتمي إلى هذه العائلة، من أمثال «البهوميج» Bhumij (في بيهار)، و«الكوركو» Korku (في إقليم بيرار بولاية مهاراشترا) و«السافارا» أو «السورا» Savara/ Sora (بولاية أوريسا).

ومن ناحية ثانية، الخاسيون هم القاطنون في هضاب خاسي وجانتيا بولاية أسام[1]. ومن الناحية الإثنية، ربما كانت تجري في عروقهم نسبة عالية من الدم التيبتي–البورمي، أما من حيث اللغة فهم من العائلة الكولية[2]. وعلى الرغم من أعدادهم الصغيرة، إلا أن هناك مايتراوح بين مائتين وخمسين ومائتين وخمسة وسبعين ألف نسمة. وبفضل جهود المبشرين المسيحيين، أخذ الكثير منهم يتعلمون وهم متمدّنون بشكل ملحوظ في العادات والسلوك.

(1) هضاب جانتيا وخاسي تقع في حدود ولاية ميغالاي Meghalay.

(2) تنتمي اللغة الخاسية إلى عائلة اللغات الأسترالية–الآسيوية وعلى هذا فإنها تاريخياً ترتبط باللغات الكولية أو الموندرية.

كان المبشرون الأوروبيون، أول من بدأ دارسة لغات السنتاليين والمونداريين والخاسيين في القرن التاسع عشر. في بادئ الأمر، كانت تكتب اللغتان السنتالية والخاسية بالحرف البنقالي، وكتبت اللغة الموندارية بالحرف الناقري[1]. هذه الأيام تكتب الخاسية والسنتالية بالأحرف الرومانية. عادة ما يحيي السنتاليون أعيادهم بالرقص والموسيقى، ولهذا نجد كثيراً من الأغاني المغناة بالسنتالية، وهناك أيضاً القصص الشعبية التي طبعها المبشرون ونشروها. ولعل مساهمات المبشر النرويجي ب. و. بودنغ Bodding لا تجارى في هذا الجانب. وهناك ثلة من البنقاليين، الذين عملوا دراسات عن السنتاليين، أحدهم (أو اثنان منهم) كتب عنهم بشغف (انظر مثلاً Charu Lal Mukhopadhyay's The Santhal). بما أن السنتاليين قد تأثروا بمُثُل الليبرالية في مدينة سانتينيكيتان، وبالأديب الشاعر رابندرانات طاغور Rabindranath Tagore، فقد تعزّز الإحساس بالارتباط بالسنتاليين في أوساط الفنون الجميلة، كما طورت اللغة السنتالية، حالة من الود والاحترام للسنتاليين. اعتمدت جامعة كلكتا السنتالية لغة في التعليم المدرسي، وهكذا وجدت هذه اللغة لها مكاناً في الحقل التربوي. لكن، وعلى الرغم من أن اللغة القوركالية Gurkhali مقبولة في المعاملات الرسمية في شؤون الولاية في الأقاليم

(1) تكتب السنتالية الآن بحروف خاصة بها تسمى الأولشيكي Olchiki وقد طورها المعلم راقونات مومو Raghunath Momo بالاضافة إلى أن السنتالية تكتب أيضاً بالحروف البنقالية والديوانقرية والرومانية.

ذات الأغلبية القوركية بالبنقال الغربية، إلا أن اللغة السنتالية لم تحظ بالموافقة كلغة بديلة في مناطق البانكورا وآسانسول وبيربوم، حيث يهيمن السنتاليون. أصبح السنتاليون متعلمين، لكنهم، نظراً إلى أنهم موزعون على ولايات مختلفة مثل البنقال الغربية وبيهار..إلخ، ليست لديهم فرصة لبناء الوحدة السنتالية (ولا أقصد بهذا الحكم الذاتي للسنتاليين)، فلا يزال على السنتالية الارتقاء في المراتب كلغة.

اللغة الخاسية

لا يمكن قول الشيء نفسه عن اللغة الخاسية. فقد صاغ المبشرون الكتاب المقدس بهذه اللغة، وجمعوا الحقائق المتعلقة بالقصص الخرافية الخاسية، وقصص الحكمة، والدين، والعادات والمعتقدات، والأغاني وغير ذلك ونشروها كما عملوا على تشجيع التعليم باللغة الإنجليزية. نتيجة لكل ذلك، يدرك الخاسيون الآن هويتهم الخاصة بهم، ولغتهم معتمدة في امتحانات درجة البكالوريوس في الجامعة. بإمكانهم أن يتقدموا في أي حقل ممكن إذا ما أرادوا ذلك.

اللغة الموندارية

اللغة الموندارية أيضاً استطاعت أن تجد لنفسها مكاناً، نتيجة لجهود المبشرين. الأب هوفمان Hoffmann قام بالعجائب في شأن هذه اللغة، فقد ألف الموسوعة الموندارية Encyclopedia

Mundarica (1930–1941) في ثلاثة عشر جزءاً (لم تكتمل بعد). وتكتب هذه اللغة بالحروف الناقرية بسبب تأثير ولاية بيهار. أصبح إقليم رانتشي إقليماً صناعياً بارزاً، واتجهت إليه الحشود البشرية من جميع المجتمعات واللغات. ولهذا السبب أصبح مشكوكاً في طول الفترة التي ستعيشها اللغات المحلية كالموندارية على المدى الطويل. فاللهجة المعروفة بـ «البازار الهندية» Bazar Hindi، والتي تكتسب شعبيتها بسهولة ويسر في الأقاليم الصناعية، ستكتسب شعبيتها في منطقة رانتشي أيضاً.

يوجد فضول بيننا نحن البنقاليين لكشف أسرار اللغة السنتالية. هناك حس بالانتماء إلى السنتاليين، ولكن لغتهم تنتمي إلى عائلة مختلفة تماماً وعليه فمن الصعب علينا تعلمها، ناهيك عن وجود ما يكفي من الفروق العويصة في نطق الأصوات. هل يحتاج ذلك للإيضاح بالأمثلة؟ جذور الكلمات أو جذور الأفعال في السنتالية، تتألف من مقطعين أو أكثر، وتصاغ الكلمات الصرفية بإضافة البوادئ والمزيدات واللواحق في بداية الجذور، وفي وسطها، ومن بعدها. في المناطق التي شهدت تواصلاً بين متكلمي اللغات الأوسترية، ومتحدثي اللغات الصينية-التيبتية، تميل الكلمات الأوسترية في لغاتها إلى أن تصبح أحادية المقاطع (ربما نتيجة لتأثير اللغات الصينية-التيبتية). وللمقارنة يمكن للقارئ التمعن في جملة مأخوذة من الكتاب المقدس، مقتبسة

من «المسح» الشهير لقريرسن[1] (انظر Chatterji's LLMI pp. 86-87). رغم ذلك، لا يمكن تحديد النطق بدقة عندما نكتبه بالحرف البنقالي. الجملة تقول: «رجل كان له ولدان».

في البنقالية العامية:

aek–jon lok–er duti chele chilo «شخص لرجل اثنين ولد كانوا»

في الهورية أو السنتالية:

mit' horo-ren bore'a kor-hapan-kin tahekan-ta'e-a

في الخاسية:

la-don u-vei u-briv, u-ba; la-don ar-ggut ki-khun jyn-rang uba

نكتفي بهذه الأمثلة، ولا حاجة إلى المزيد.

(1) الجملة المقت[illegible]ذة من «حكاية ابن المبذر» في كتاب الإنجيل.

-4-

اللغات «الكيراتية» أو التيبتية-البورمية

العرق المنغولي ضخم جداً. وقد استقرّ في كل أرجاء شرق وجنوب آسيا الوسطى. الجماعة الإثنية الصينية هو الفرع الأكبر فيه. مجتمع «الهان» Han أو «الخان» في شمال الصين هو العائلة الرئيسية للشعب الصيني، وبلادهم على وجه التحديد هو الصين. بيد أن فرع هذا العرق الذي دخل الهند، قَدم من التيبت في الشمال، والميانمار/بورما (شام) في الشرق. هؤلاء هم شعب الجماعة الصينية– التيبتية، وبدقة أكبر هم الفرع التيبتي–البورمي، وهم مميزون نوعاً ما عن الأصل «الهاني» أو الصيني. ومثل الإيرانيين، والهنود (الشماليين).. الهنود الآريون جماعات عرقية مختلفة على الرغم من انتمائهم إلى العائلة الهندية – الأوروبية نفسها (كالروس والألمان الذين يُعدّون جماعات إثنية متمايزة، ويشكلون فروعاً مختلفة).

التيبتيون والبورميون، يختلفون عن الصينيين كما أن التيبتيين البورميين في الهند أكثر بعداً. إذا كان «الهان»، يعتبرون أنفسهم الأوصياء السياسيين على كل الشعوب المنغولية في الأرض التي هم فيها الأكثر عدداً ومدنيةً، فسيكون من المضلّل التَوَجُه نحو تأسيس «أمة كبرى» يمكن مقارنتها بجهود الشعب الألماني في إقامة السيادة

على المجتمعات الهندية-الأوروبية. باتباع مثل هذه المبادئ، لماذا فعلاً لا ندعي نحن الهنود أننا وحدنا «الأوصياء» على كل الناطقين باللغات الآرية في آسيا وأوروبا وأمريكا، ما دمنا الأكثر عدداً بين المتحدّرين من «الآريين»؟ كان عليّ أن أذكر مثل هذه الادعاءات السخيفة، بسبب كتب الأطلس التي نشرها مؤخّراً (1960) حكام الصين. الشعب التيبتي-البورمي القاطن في الهند هم «هنود منغوليون»، لذا فإنهم «هنود» ولغاتهم أيضاً هندية. لا يوجد شك في هذا الشأن.

ربما واصل التيبتيون-البورميون، دخول الهند منذ ما قبل قدوم الهنود-الآريين إلى الهند. ملامح الشعب المنغولي تم الإبلاغ عن كشفها حتى في البقايا البشرية في حفريات موهنجو-دارو[1]. وقد تناثروا على طول سفوح الهملايا وفي أسام والبنقال واندمجوا إلى درجة كبيرة مع البنقاليين والأساميين. كما أنه من المحتمل أن تكون بعض مساهماتهم قد انصهرت في أسلوب وحياة البنقاليين والأساميين ولغاتهم وسماتهم الثقافية. لكن أغلبية التيبتيين-البورميين لم يرغبوا في النزول إلى السهول ولا يزالون. بل على العكس، أصحاب السهول هم من ذهبوا إلى المرتفعات ومناطق يستعصي الوصول إليها وبسطوا نفوذهم عليها، وبسبب عدم معرفتهم لغتهم، عبروا عن

(1) تعتبر مدينتا موهنجو-دارو وهارابا (حالياً في باكستان) أهم مدينتين في تاريخ شبه قارة جنوب آسيا. تقعان على نهر الأندوس ويعتقد أنهما أنشئتا في القرن الثالث قبل الميلاد، على طريقة متقدمة في البناء والأسواق والشوارع المرصوفة. [المترجم]

ازدرائهم لهم. وهنا يجب أن نلاحظ أن التيبتيين-البورميين دخلوا في المقام الأول لا كغزاة، بل كشعبٍ بلا مأوى باحث عن الحماية بسبب الحاجة إلى الطعام والغطاء. والتاريخ يتذكر الغزاة فقط، ولا يطبع غيرهم في ذاكرته.

من حيث اللغة، هناك جماعتان كبيرتان في أوساط لغات الهنود التيبتيين-البورميين: التيبتية-البورمية والسيامية Siamese (أو التايلندية-الصينية). وربما يوجد مصدر مشترك للصينية، وبقية هذه اللغات، في مكان ما في غرب الصين. لكن اللغة الصينية ازدهرت بحد ذاتها كوعاء لحضارة عظيمة مستقلة بقيادة سلالة «الهان» الحاكمة في شمال الصين، قرابة ألفي عام قبل ميلاد المسيح. ولم تتطور باقي لغات القبائل الأخرى كاللغة التيبتية-البورمية بنفس الطريقة. لكن لا شك أنها تأثرت باللغة الصينية إلى درجة كبيرة بتأثير من الحضارة الصينية. كما وقعت هذه اللغات تحت التأثير الهندي. لم يكن تأثير البوذية على الصين نفسها بالأمر الهين. بدأت التيبت تتحول إلى البوذية منذ منتصف القرن التاسع وما بعده: والكتابة الهندية (حروف «الشارادا» Sharada) السائدة في ذلك الوقت في كشمير تم استخدامها في كتابة اللغة التيبتية، وظهر الأدب التيبتي إلى الوجود تحت تأثير البوذية[1]. ولا تزال البوذية الدين الرئيسي

(1) البوذية أحد الأديان العالمية الكبرى. أسسها قوتاما سيذارثا في الهند في القرن الخامس قبل الميلاد. يلقب بالبوذا، وتعني «الأمير»، ويعتقد في الهندوسية أنه تجسيد للإله فشنو. [المترجم]

في ميانمار/بورما وسيام وتايلاند. ومنذُ القرن السابع الميلادي دأب البورميون على كتابة لغتهم بحروف هندية مأخوذة من الهند (أندرا Andhra) بواسطة شعب «الموه» Moh في وسط بورما. ينتمي شعب سيام/ تايلاند إلى مجتمع «التاي» أو «الداي» Dai. وهم أيضاً يكتبون اللغة التايلندية بحروف هندية أخذوها من «الخمير» أو الشعب الكمبودي (الكامبي Kambiya) منذُ القرن الثالث عشر. ويلاحظ الإلهام والتأثير الهندي في آداب كلتا اللغتين. وللشعب التيبتي-البورمي، الذي جاء إلى الهند، علاقات بهذه البلدان والشعوب والثقافات.

المجموعة اللغوية التيبتية-البورمية في الهملايا

التقسيمات الأربع الكبرى في عائلة اللغة التيبتية-البورمية في الهند هي كالتالي: (1) مجموعة الهملايا، (2) مجموعة شمال أسام، (3) المجموعة الأسامية البورمية، و(4) المجموعة التيبتية. تضم مجموعة الهملايا بدورها شعبتين رئيستين: الأولى، المجموعة الفرعية للغة «الضميرية» pronominalised [1] أو الفرع «الغربي»، ولغة الباتشوا Pachhua هي من هذا الفرع. أما الشعبة الثانية فهي الفرع الشرقي، وهي الأكثر عدداً، حيث تقارب المائة ألف فرد. وهؤلاء هم الذين تواصلوا بالشعب الأوستري، وهم من تقبل

(1) أي تستخدم الضمائر في بناء الجملة، كما في العربية مثلاً. [المترجم]

المفردات الكثيرة من اللغات الأوسترية.

اللغة النيوارية

المجموعة الفرعية الثانية هي النيوارية Newari وهي نوع مختلف. «النيوارية» هي حقاً الفصيل الأساسي في هذه المجموعة، وهناك ثلاثة أو أربعة فروع أخرى صغيرة لهذه المجموعة الفرعية في النيبال. ومن المهم أن نعرف شيئاً عن «النيوارية» ذاتها.

«القوركالية» Gorkhali — أو «النيبالية»— ليست اللغة الأصلية للنيبال، إنما وصلت إلى النيبال لاحقاً، عندما احتل النيبال القوركيون (الناطقون بالهندية الآرية) في عام 1768. اللغة الأقدم في النيبال هي «النيوارية»، ويطلق على متكلميها «النيواريين» Newars. منذُ زمن الفتح القوركي (عام 1768) وما تلاه، بدأ تهميش اللغة النيوارية والشعب النيواري أكثر فأكثر. وخلال العشر سنوات الماضية بدؤوا بفرض أنفسهم مرة أخرى. بيد أن كتابة النيوارية بأحرف هجائية هندية، بدأت على الأغلب قبل الألف الميلادي الأول، وبعد ذلك اعتنق النيواريون البوذية المهايانا Mahayana [1]، واعتادوا تأليف الأدب المكتوب بلغتهم. كما أنهم درسوا اللغة السنسكريتية. بعد الفتح التركي، لجأ كثير من العلماء التقليديين في القاودا Gauda والمقادا Magadha إلى النيبال (من المحتمل منذ عام 1202 وما بعده).

(1) «المهايانا» كلمة سنسكريتية تعني «الناقل الأكبر» وهي الشعبة الرئيسية الثانية في البوذية. أما الشعبة الأولى فهي «الثيرافادا» Theravada وتعني «الناقل الأصغر»، أو مدرسة الراشدين. [المترجم]

وقد كان النيواريون من حافظ في ذلك الوقت على كتبنا التراثية مثل «التشاريابادا» Caryapada و«الدوهاكوشا» Dohakosha وغيرهما. هناك أيضاً تم تمثيل المسرحيات القديمة المكتوبة بالبنقالية (القديمة)، كما تم العثور على بعض هذه المسرحيات هناك. حلّ الهلاك على النيواريين من حقد ملوك القوركيين المنتصرين بعد عام 1768 فبدأت كتب هذه اللغة ومخطوطاتها تختفي، وتحبس على الدوام. لكن الدوريات والأدب النيواري، في الوقت الحاضر، يطبعان مجدداً بالحروف الناقرية من فارانسي Varanasi ودارجيلينغ، وعلى ما يبدو أيضاً أن الحكومة النيبالية سترفع حظرها عن هذه اللغة، وستقيم الترتيبات للتدريس بهذه اللغة في المدارس. ورغم ذلك، فإن متكلمي «النيبالية» هم أغلبية قوركية كبيرة وعنيدة، ما يثير المخاوف بشأن استطاعة «النيوارية» أن تصبح أكثر من لغة من الدرجة الثانية، إلى جانب اللغة النيبالية.

المجموعة الفرعية الثانية، بعد مجموعة الهملايا الفرعية، في المجموعة التيبتية-البورمية هي «شمال أسام» (أروناشال برادش الحديثة Arunachal Pradesh. وتندرج تحت هذه المجموعة الفرعية لغات القبائل من أمثال الآكا Aka، والأبورمير Abor–miri، والدافلا Dafla، وأخريات. ولكن المجموعة الفرعية الثالثة أي «الأسامية-البورمية»، تضم قسمين:

قسم «البودو-ناقا» Bodo–Naga. ذات يوم امتد انتشار

البودويين إلى أسام، والبنقال الشرقية (بنغلاديش حالياً) وربما حتى إلى ميثيلا Mithila. وتعتبر لهجات القبائل — من أمثال الكوتش Koch والميتش Mech والرابها Rabha في أسام وشمال البنقال— لغات لفروع/ فصائل مختلفة للبودويين. وكلام الجبالية Hill Speech — مثل لهجات الكشاري Cachari (القارو Garo)، والتيبورا Tipura، والمرونق Mrung وغيرها— لغات أخرى في تقسيم البودو-ناقا. العدد الإجمالي لمتكلمي اللغات في شعبة البودو، قد يتراوح بين مليون ومليون ومائتي ألف نسمة. أما لغات الناقا، فهي أقارب وثيقة الصلة بها، ويحتمل أن تكون «اللبيها» إحدى اللهجات في تقسيم الناقا الفرعي. ولكن لهجات الناقا، مثل الأنقامي (تينيدي Tenyidie) والآو والسيما، مختلفة جداً عن بعضها بعضاً إلى درجة أن شعب الناقا لا يفهمون كلام بعضهم بعضاً، ناهيك عن فهم أي من لغات البودويين الأخرى. وقد عُرف حديثاً أن ثمة لغة (اتصال) — خليط من الأسامية مع (عناصر من) الناقا— بدأت في الظهور في ولاية ناقَلاند Nagaland (ومعظم باقي الشمال-الشرقي)، وأطلق على هذه اللغة «الناقامية»Nagamese.

اللغة المانيبورية

لغات التقسيم الآخر في فصيل «الأسامية البورمية» هي الكوكي Kuki (الكوكي-تشن Kuki–Chin) ولغات من الكاشين Kachin

واللوشاي (الميزو) Lushai. ومن اللغات الرئيسية في شعبة الكوكي-شين لغات مثل المانيبورية أو الميثيلية. والمانيبورية هي اللغة الأم لنحو 636،430 نسمة، والمانيبوريون شعب متعلم وأصحاب وعي ثقافي. منذ الخمسمائة عام الأخيرة اعتنقوا معتقد الفاشنافا البنقالي Vaishnava [1] وصنعوا أدباً ثرياً وثقافة تأسر الألباب. كما أن أدبهم الشعبي الأصيل يعد شيئاً جميلاً.. داوموا على كتابة لغتهم بالحروف الأسامية أو البنقالية[2] ويعد المجلس المانيبوري للأدب Parishad Sahitya مؤسسة نشيطة، وجديرة بالملاحظة تلك الإنجازات الأدبية للأستاذين أتومبابو فيديور Vidyura Atombapu وهيزوم أنانقال سنغ Hizum Anagal Singh (توفي عام 1944) وآخرين. المسرح المانيبوري أيضاً كيان متألق حي، ولولا أن المانيبورية تُواجه بهيمنة غير مُنصفة من الهندية والأسامية والبنقالية والنيبالية، لظل مركزها آمناً[3].

إنها مهمة المتخصص أن يسجل ويحافظ على ما يوثقه من اللهجات الصغرى لبقية المجموعات الفرعية. لكن يتوجب علينا أن نتذكر هنا اللغة الآهومية Ahom التابعة لفصيل الأسامية—البورمية. يرتبط الآهوميون بالشانيين Shans في ميانمار الشمالية، وينتمون إلى

(1) نسبة إلى «فيشنو»، وهو أحد الأرباب الثلاثة الرئيسية في الهندوسية، ويعني «الحافظ»، والآخران هما «شيفا» و«كالي»، أي الخالق والمدمر على التوالي. [المترجم]

(2) بدأ الناطقون بالمانيبورية باستخدام الحروف الرومانية حديثاً.

(3) إدراج المانيبورية في الملحق الثامن للدستور الهندي ضمن لها البقاء. انظر الحاشية رقم 4 في الفصل الثاني.

تقسيم الداي (التايلاندي) الفرعي. استوطنوا أسام في عام 1228، والرأي المطروح حديثاً هو أن لغات «الداي» تأثرت أساساً بالصينية، ولكنها تنتمي إلى عائلة لغوية في الهندية—الصينية تسمى «الكادائية» Kadai. مهما يكن فقد حافظ الآهوميون على لغتهم، بل حتى على حرفها الكتابي لزمن طويل في أسام، كما احتفظوا بسجلات منسوخة لتاريخهم أيضاً «بالبورانجية» Buranji وأصبحوا أكثر ميلاً للآريين وتبنوا الأخذ باللغة الأسامية، وعليه تحوّلوا إلى الشعب الأسامي. وتنتمي اللغة الأسامية من وجهة نظر لغوية إلى العائلة الهندية—الآرية، لا العائلة التيبتية—البورمية.

من حيث عدد المتكلمين باللغات الأم، إن العدد الإجمالي للمتحدثين بالتيبتية—البورمية يبلغ ثلاثة ملايين ومائة ألف نسمة، وهو رقم أعلى من الناطقين بالأوسترية، ولكن عدد اللغات الأم في التيبتية—البورمية يبلغ 226 لغة. لم تعتمد أي من لغات هاتين العائلتين دستورياً كلغة وطنية[1]، ومع ذلك، فإن لغات مثل النيوارية والميثية Meithei في عائلات التيبتية—البورمية، تجد بعض الاهتمام. ما الذي تبدو عليه هذه اللغات؟. أستشهد بمثالين مختصرين من التيبتية—البورمية، وكما فعلت سابقاً مع العائلة الأوسترية (انظر، Chatterji LLMI pp. 87-92). كتبت هاتين اللغتين كلتيهما بالحروف البنقالية، وأعطيت الترجمة

(1) انظر الحاشية رقم 4 في الفصل الثاني والملاحظة في الحاشية رقم 7 بعاليه.

الحرفية العربية تحت كل سطر.

في النيوارية:

cha–mha manucchaya ka e m–ca

طفل ولد لرجل شخص

ni–mha da saya co na

كانا قد اثنان

في الميثية:

Mi amagi mca

لشخص رجل أولاده

Nipa ani lairamni

كانا ذكران اثنان

ليس من الممكن أن تستنتج شيئاً من عينات صغيرة كهذه، ولا ننصح بذلك أيضاً. ما نحتاج إلى معرفته إجمالاً هو: اللغات التيبتية-البورمية لغات أحادية المقاطع عموماً، وتشبه كثيراً ما يمكن للفرد سماعه في الصينية. وعلى هذا الأساس، طرأت أنواع مختلفة من الإزادة affixation إلى حد ما على هذه اللغات، وإضافة إلى ذلك إن هذه اللغات تكتب بالحروف الهندية[1].

(1) تكتب حالياً اللغات التيبتية-البورمية بالخط الروماني أيضاً مع إضافة علامات التشكيل الصوتية بحسب الحاجة في كل لغة بمفردها.

-5-

عائلة اللغة الدراويدية

يتكلم أكثر من 107 ملايين نسمة في الهند، إحدى لغات العائلة الدراويدية كلغة أم. وعلى الرغم من الاعتراف بـ 153 لغة في هذه العائلة كلغة أم، فإن هناك أربع لغات كبرى في هذه المجموعة. يوجد أدناه أعداد المتكلمين بكل من هذه اللغات الأربع وفقاً للتعداد السكاني لعام 1981.

اللغة	عدد المتكلمين
التاميلية	3,802,995
التيلوقو	50,624,611
الكنادا	25,697,146
الماليالام	25,700,705

كان يتوجب إسقاط متكلمي التاميلية من هذا الجدول، لأن كامل جزء المشروع الواقع تحت العينات (أ) لولاية التاميل نادو قد ضاع بسبب الفيضانات. وقد تم ذكرها هنا لأنها أدرجت في تقرير التعداد السكاني.

ملاحظة

توجد هذه اللغات الأربع في شبه جزيرة الهند، وكل واحدة منها مدعومة بقوة، ومهما كانت الأسباب، ثرية بالمفردات السنسكريتية. الانثناء الخلفي (للأصوات الصامتة) عالٍ في اللغات الأربع[1]. وإلى جانب هذه اللغات الهندية، يعتقد أن متكلمي البراهوية في إقليم بلوشستان ينتمون إلى هذه العائلة الدراويدية. لا نملك حتى الآن الدليل المادي على ذلك، لنستدل إذا كانت قد استعملت هذه اللغات في شمال الهند، أو إذا اتصلت ببراكريتية الشمال الغربي في العصور القديمة. لكن لا تزال الترجمة السنسكريتية Brhatkathasarit Sagara (البحر العظيم لمجرى القصة) موجودة. وفيها قيل عن النحوي البراكريتي كاتيايانا katyayana إنه هجر «أقوال الحكمة في الثلاث اللغات» Tribhash Sutras (يقصد بالثلاث اللغات تحديداً، السنسكريتية، البراكريتية، والدراويدية) بسبب ملك من Satavahana الساتافاهانا، وتاه في مكان ما بالقرب من غابات فينديا Vindhya. في ذلك الوقت التقى بأحد ساكني الغابة المنتمين لمجموعة رابعة (أي غير المجموعات اللغوية الثلاث المذكورة) وكتب «برهات كاثا ساريت سقارا» بهذه اللغة الرابعة. لم يبق إلا جزء يسير من النص الأصلي، وكان المترجمان اللذان نقلاه إلى السنسكريتية كشميريين.

(1) أي نطق الصوت بعطف اللسان إلى الخلف كما لو كان المتكلم يحمل «القرَدَة» اللغوية. [المترجم]

ومع ذلك ركّزت الرواية بأكملها، التي يسردها كاتايانا، على حكام الساتافانا في الجنوب. يمكن القول عن هذه اللغات الدراويدية الأربع إنها تنتمي إلى عائلة اللغات الأورالية–الطائية نفسها (التي تنتمي إليها) الفنلندية والمجرية والكورية..إلخ.

نظرة عامة

كل الجنوب الهندي، أرض للغات الدراويدية. بيد أن متكلمي لغات القبائل من السلالة الدراويدية في شرق الهند ووسطها، ليسوا قليلين أيضاً، وهؤلاء الدراويديون مجبرون بشكل مستمر على استخدام لغات إضافية مثل الماراثية والأورية والبهوجبورية والبنقالية. المجتمع القوندي، قبيلة كبيرة ناطقة بالدراويدية، وهم مبعثرون في جيوب بوسط الهند، وأندرا برادش وتاميل نادو، ويحتمل أن تصل أعدادهم إلى مليونين أو مليونين ونصف المليون نسمة (التعداد السكاني 1961). في هذا الشأن، تعد هذه القبيلة القوندية الناطقة بالدراويدية مهمة، كما يعد السنتاليون الناطقون بالأوسترية. طبعاً، نحن البنقاليين نعلم أن قبيلة «الأوران» أو «الكورك» في بيهار/أوريسا، أفضل حالاً بين القبائل الناطقة بالدراويدية، ونعلم أيضاً، إلى حد ما، عن قبائل «المالطو» في هضاب راج محل Rajmahal. وعلى غرار القبائل الأخرى، فقد ذهب الأوران إلى مزارع الشاي في شمال البنقال وأسام كعمال متعاقدين، ويعيشون هناك بأعداد كبيرة، ولغتهم في

اندماج سريع مع خليط اللغات الأخرى هناك. وثمة مجموعة أخرى مهمة جداً ناطقة بالدراويدية، وهي ليست من الهند: إنها جماعة الشعب الأصلي لإقليم بلوشستان في باكستان، وتحديداً «البراهوية» Brahui. لا تقل أعداد المتكلمين بالبراهوية عن ثلاثة ملايين نسمة. هذه المجموعة المنفصلة، تشكل بحد ذاتها، دليلاً غير قابل للدحض بأن متكلمي الدراويدية، قد انتشروا في أرجاء غرب الهند أيضاً، قبل تدفق «الآريين». ويبدو أيضاً أن استيطانهم على طول مهاراشترا وقوجرات والسند وبلوشستان وحتى شرق إيران، لن يكون حقيقة مثيرة للغرابة.

النوع البنيوي الأساسي للغات الدراويدية هو من نوع الإلصاق، أو من العناصر المنظومة أو «المُغرّاة» معاً[1]. في هذه اللغات لا تُدمج العناصر، أو كلمات الربط، مع الكلمة الأساسية، وإنما تلصق بها فقط. وقد استنتج من ذلك بعض العلماء، أن هذه المجموعة، فرع قصي من عائلة الأورالية–الطائية لأن صياغة الكلمات بعملية الإلصاق ما هي إلا سمة مميزة خاصة بهذه المجموعة. اللغات الكبيرة الأخرى في هذه العائلة هي «المجرية» Magyar (الهنغارية)، و«الفنلندية»، و«الأستونية» Estonian ولغات أورالية أخرى، و«التركية»، و«المنغولية»، و«المانشوية» Manchu ولغات طائية أخرى. بطبيعة

(1) ترجمنا agglutination «بالإلصاق» عوضاً عن الترجمة الحرفية «التغرية» ومصدرها «غرا»، وهو يختلف عن «الإلحاق» المعروف في النحو العربي، والذي نقصد به زيادة حرف أو أكثر على المصدر سواءً في بداية الكلمة أو وسطها أو نهايتها. [المترجم]

الحال، فقد تغيرت اللغات الدراويدية كثيراً من خلال الاحتكاك والتواصل مع اللغات الهندية–الآرية في الهند. يرى سونيتي كومار شترجي وغيره أن الدليل المؤيد لوضع اللغات الدراويدية تحت العائلة الأورالية–الطائية غير كاف. وبدلاً من ذلك، ربما كان الدراويديون مجتمعاً من سلالة متوسطية: الاحتمال الأكبر أن حضارتي هارابا وموهنجو–دارو كانتا من صنيعهم (3250–2750 ق.م.)، وربما استخدم الهنود–الآريون لاحقاً الحروف الكتابية للموهنجو–دارو، وكتبوا لغاتهم بذلك الحرف، الذي قد يكون أصل الخط «البراهمي» Brahmi[1]. لم يتم حتى الآن وبصورة قاطعة، فك شفرة الجذاذات الصغيرة والقليلة للكتابات الموجودة على أختام موهنجو–دارو. وقد أصدر عالم روسي اسمه يوري كنوروزوفسكي Yuri Knorozovsky مؤخراً «تقريراً أولياً» مدعياً أنه قد فك شفرة تلك الكتابة. وبحسب قوله فإنه لا يوجد شيء قاطع يمكن استنتاجه من دليل شحيح في الكتابة، لكن من المحتمل أن تكون الكتابة دراويدية.

لا يوجد شك بأن الدراويديين قد استقروا في أجزاء متفرقة من شبه قارة جنوب آسيا حتى قبل قدوم (الهنود) الآريين. كانوا متقدمين، في أوجه عديدة، أكثر من الهنود–الآريين في ذلك الوقت. ولا يمكن تحديد الأنواع المختلفة لمساهمات الدراويديين في الحضارة

(1) الرأي الذي يثبته العلم اليوم هو أن الخط البراهمي والخط الخراصطي kharasthi فرعان للخط الآرامي في آسيا الغربية.

الهندوسية بالهند، ولغات المجموعة الهندية–الآرية على نحو شامل ووافٍ: طقوسنا في التعبّد، هي في الأساس نتيجة لمساهماتهم أيضاً. سنحاول، طبعاً، تقديم وصف دقيق لمساهمتهم في اللغات فقط، وليس أي شيء آخر. شهدت اللغة الدراويدية الأصلية (الدراميجا) Dramizha قدراً كبيراً من التَغيُّر، ومع ذلك، فمن الطبيعي أن نلمح شخصيتها الأساسية في اللغات الأربع الحديثة الكبرى، وتحديداً في التاميلية، والتيلوقو، والكنادا والماليالام؛ ولجميع هذه اللغات آدابها. والتاميلية، من بين هذه اللغات، هي التي حافظت على أكبر قدر من الانتساب للدراويدية القديمة. ولكن المتكلمين بالتاميلية نشطوا مؤخراً في محاولة لإحيائها وتعزيز التاميلية النقية، التي تخلو من الكلمات ذات الأصول السنسكريتية.

الطبيعة الأساسية للغات الدراويدية

من المفيد، تقديم تعريف عابر عن المظهر البنيوي للغات الدراويدية. دعونا نحاول تفهّم ذلك من خلال مصطلح بسيط — ماذا يقصد «بالإلصاق معاً» (التغرية) في هذا السياق؟ إنه يعني خلق أسماء وأفعال كاملة، من خلال إلحاق عنصر شبيه بكلمة، بجذع الاسم أو بجذر الفعل، بحيث لا يندمج العنصر أو ينصهر مع الجذر، بل يظل معلقاً عليه. في الكلمات السنسكريتية، تدمج العناصر الصرفية والاشتقاقية مع جذور الأفعال والأسماء. على

سبيل المثال، جذع الاسم nara «رجل» يأخذ صيغة الكلمة naraa في حال الجمع (المرفوع)، وnaran في حال المفرد المنصوب، و naraan في حال الجمع المنصوب، دعوني أقدم مثالاً من التاميلية: الجذع الأصلي هو palam [إنسان]، يتخذ الصيغة نفسها في المفرد، وpalangal في الجمع، وpalathai في المفرد المنصوب، وpalangala في صيغة الجمع المنصوب. ومن ناحية أخرى، في اللغات الهندية الحديثة نجد «الإلحاق» أو «الطريقة الدمجية» fusional method، كما هي موجودة في السنسكريتية [والعربية]. على سبيل المثال lok «رجل، إنسان» مقابل صيغة الجمع lokera «رجال، ناس»، في حالة النصب lokke «واقع على الشخص/ رجالاً»، وفي حالة الملكية أو النصب lokder «للناس/ عليهم» (مع العناصر المزادة –era –ru –ke إلخ). ومن جانب آخر، نجد أمثلة على طريقة «الإلصاق»، أو الجمع بالتغرية، كما هي موجودة في اللغات الدراويدية. فمثلاً اسم الجمع لكلمة chele «ولد» هو chele–guli (واللاحقة guli تأتي تاريخياً من الكلمة kul «كل»، والتي تدل على «المجموع»). بالمثل pakhi sab «طيور» pakhi (طائر+ sab جميع)، وjana–gang «الحشود» (من jana «شخص/ فرد»+gan مجموعة مجمّعة)، وهلم جراً. ربما تطورت هذه المعلومة الأخيرة في اللغات الهندية–الآرية الحديثة بتأثير من اللغات الدراويدية. (عن التشابهات بين الهندية–الآرية الحديثة واللغات الدراويدية، انظر ODBL، App. B، p. 170). نذكر في ما

يلي، عدداً قليلاً من السمات الرئيسية المميزة للغات الدراويدية:

1- في النطق أو الصوتيات:

1- فيض غزير مما نسميه «بالانثناء الخلفي» أو الصوامت الدماغية cerebral [1]، (وهي أصوات تنطق بواسطة ثني رأس اللسان إلى الأعلى وإلى الخلف باتجاه سقف الفم) أو صوامت -ta varga، أي «مسلسلة-t».

2- فصل صوتين صامتين متتاليين بإدخال صوت صائت بينهما. مثلاً sri في السنسكريتية لكنها tiru في التاميلية، وفي السنسكريتية krsna «أسود، كرشنا»، لكنها في التاميلية kiruttinan.

2- في السمات القواعدية أو الصرف اللغوي، النقاط الرئيسية هي:

1- صياغة الكلمات الاسمية بتصريفها (أي الأسماء والضمائر والصفات) بواسطة الإلصاق (كما في تصريف الكلمات بواسطة اللواحق أو «حروف الدفع» مثل gan، gula، sab وغيرها في البنقالية) وصيغ الفعل الصرفية من خلال إضافة صيغ الفعل غير المعرّف زمنه [أسماء الأفعال] كحروف جرٍ «تابعة» postpositions (نمط الصياغة في البنقالية hate من الأصل having been [لايزال]، أوdiye «بواسطة» من الأصل

(1) هكذا ورد المصطلح، والصوامت هي الأصوات الصامتة consonants وعكسها الصوائت أي الأصوات المتحركة vowels. [المترجم]

having given وغير ذلك).

2- صياغة «الفعل المركب»: صياغة ما يسمى «أفعال المجموعة»، أو «أفعال العبارة» phrasal verbs باللغة الإنجليزية (مثلاً sit down، put up)، التي يصيغها المتكلم في البنقالية بإضافة صيغة غير معرفة للفعل (مثلاً base paraa حرفياً «جلس يسقط»، kheye phlelaa حرفياً «أكل يلتهم»).

3- صياغة الكلمات بالإيحاء[1]، في البنقالية مثلاً: kut-kut وkat-kut وkhatakhat وكلمات بنقالية لا تحصى.

4- صياغة الكلمات بالرجع/الصدى echo-word formation[2] ومن أمثلة ذلك في البنقالية، kath-phat «حطب وحطباء» jal-tal «ماء وسقاء»

5- بناء الجملة شيء تسهل ملاحظته أيضاً. ويحتمل كثيراً أن النحو في اللغات الهندية-الآرية الحديثة قد تأثر عموماً بالنحو الدراويدي. تُعّد هذه السمات النحوية ذات دلالة خاصة في علوم اللغة، ومرد ذلك إلى أن الأصوات والصرف اللغوي يتغيران بسهولة، وشبيه بهذا أيضاً استخدام أو هجر المفردات.

(1) onomatopoeiaهي كلمات تعبر عن الانطباعات المرئية والمسموعة والحسية الأخرى: أمثلتها في الإنجليزية هي ding dong.bang. glitter, flash. في العربية: أزيز، حفيف، طنين، نعيق وغيرها. [المترجم]

(2) المصطلح الشائع هو «النسخ بالتضعيف» reduplication كما في العامية «هشك بشك»، و«حيص بيص»، لاحظوا تضعيف الحرف الأول وإبداله بحرف غيره في النصف الآخر من الكلمة. [المترجم]

ولكن طريقة المتكلم في التفكر، وتركيبته العقلية المُنعكسة في نمط الجملة اللغوية لا تتغيران بسهولة ويسر. دعونا نضرب مثالاً: تسمح البنقالية بجمل خبرية من دون أفعال كما في manush-tibhalo حرفياً «الرجل طيب الحال»، وتسمح التاميلية بجمل من هذا النوع mamida(n) nallava(n) حرفياً «الرجل جيد».

6- دخل عدد من الكلمات الأصلية «البلدي» desiya، التي تنتمي الآن إلى اللغات الهندية-الآرية، إلى معجمها منذ البداية من الدراويدية. غالباً ما تم التعرف على ذلك في السنسكريتية. كثير من هذه الكلمات، مساهمات من اللغات الدراويدية، بينما بعضها من لغات العائلة الأوسترية، وعدد قليل من الكلمات تم أخذها من اللغات الصينية-التيبتية. لكن حجم مساهمة اللغات الدراويدية كبير جداً. في ذلك نجد الإثبات على أن المجتمع الهندي-الآري، استعار مسميات لأشياء موجودة محلياً، وللكثير من العقائد والعادات والممارسات غير الآرية، وكل ذلك يشكل دليلاً قيماً في تاريخ الحضارة والثقافة.

دعوني الآن أفحص الشكل الفعلي الطبيعي، الذي ستأخذه جملة من الإنجليزية، في اللغات الدراويدية. الجملة هي A man had two

sons «رجل كان له ولدان»، وترجمتها الحرفية بالبنقالية dai putra (parapta hayechilla) ek manush chilla. في البنقالية العادية ستكون ek-jan manusher duti putra chilla ومعناها حرفياً «واحد شخص رجال لاثنين-فرد أولاد كانوا» (الفعل chilla «كان/كانوا» يأتي في نهاية الجملة)، أو يمكن أن تكون ek-jan-er dui chele ومعناها حرفياً «واحد-شخص له-اثنان ولد» (لا يعبّر عن الأفعال كما في ek raja tur dui rani ومعناها حرفياً «واحد ملك اثنتان ملكتان» بمعنى «كان هناك ملك وكانت لديه ملكتان»). سنرى أدناه صيغة الجملة في اللغات الدراويدية الحديثة.

1- (ا) التاميلية القديمة (مرحلة «السنكام» أو التاميلية الأولى قرابة 500 ميلادية):

orub tku irungar makkal

(ب) التاميلية (الأدبية) الحديثة:

oru manusan-ukku irandu kumarargal irundar-gal

2- المالايالام: oru manusyan-nu randu makkal

3- الكنادا: obba manusya-ni-ge ibbaru makkal

4- التيلوقو: (v)oka manusyu-ni-ki y-iddara kmaruu

حقائق أساسية

سنذكر عدداً آخر من الحقائق العامة عن هذه اللغات وسنقدم تعريفاً موجزاً بآداب هذه اللغات أيضاً.

التاميلية.. لغة قديمة جداً إلى الحد الذي بدأت كتابة الأدب بها منذُ ألفي عام على الأرجح، كما سيتبين لنا لاحقاً. بدأت التاميلية الحديثة منذ ما يتراوح بين 150و 200 عام فقط، ولديها صيغتان مختلفتان أيضاً: الصيغة المنطوقة، والصيغة المكتوبة. الصيغتان متباينتان إلى درجة تفوق الاختلاف الواقع في حالة اللغة البنقالية[1]. حتى نحن لا يمكننا أن نستوعب مثل هذه الفجوة العريضة. نقطة أخرى جديرة بالرصد: يمكن ملاحظة نوعين/ أسلوبين مختلفين اليوم حتى داخل (صيغة) اللغة الأدبية التاميلية، فالمثقفون الرفعاء Brahmins يكتبونها الآن من دون حذف الكلمات ذات الأصل السنسكريتي (مثل شاكرا فاتي راجا قوبالا شاري Chakravathi Rajagopalal Chari الذي كان صاحب أسلوب أدبي رفيع في التاميلية). في المثال المذكور أعلاه من التاميلية الحديثة، هناك كلمتان سنسكريتيتان، وأقصد mansuya و kumara ولكن الآخرين يميلون إلى إخلاء التاميلية من الكلمات السنسكريتية

(1) يوجد بالبنقالية أسلوبان أدبيان مختلفان منذ قرن ونصف القرن ويعرفان بـ «اللغة النقية» الفصيحة sadhu-bhasha و«اللغة العامية» الدارجة calit-bhasha. الأولى عتيقة في صيغتها الاسمية والفعلية وغالباً متأثرة بالسنسكريتية في مفرداتها أكثر من الثانية. في الوقت الحاضر، يستخدم نمط اللغة الأخيرة على نطاق أوسع، ولكنها قد توظف نسبة كبيرة من المفردات سنسكريتية المنشأ، كما في أسلوب اللغة الأولى في الكتابة كتقليد متبع.

(تعصب عقائدي يقارن بحذف العناصر «الأردية» من الهندية). الملاحظة التي نسجلها هنا أيضاً، هي أنه لا يمكن حتى للمثقفين المتكلمين بالتاميلية قراءة وفهم الأدب بتاميلية القرن الثامن عشر. ومن جانب آخر، التاميلية المنطوقة تمتلك لهجات إقليمية مختلفة، لا يزال دخولها إلى الأدب محظوراً.

تُكتب التاميلية بالحروف التاميلية، إلا أنه توجد فروق بين كتابتها ونطقها. وإذا وضعنا الاستثنائية في لفظ أصوات اللغة التاميلية جانباً، فإن قائمة الحروف التاميلية تفتقر إلى حروف هجائية معينة للصوامت الملفوظة المجهورة والمهموسة، مثل الأصوات «ق» gh و«ك» kh. كما أن التاميلية القديمة أيضاً لم تحتوِ على أي رموز كتابية بسيطة للصوامت المجهورة (على سبيل المثال، كانت مسلسلة–k تضم رموزاً لـ k أو n)[1]. لذا وِجد التعارض بين الكتابة والنطق، (حول ذلك، انظر بحثاً بالبنقالية Chatterji, <Kural> in Sanskrtiki, vol. 1, p. 47).

لغة التيلوقو هي ثاني اللغات الهندية الأم، ويبلغ عدد المتكلمين بها 50،624،611 نسمة. والدليل على قدِم التيلوقو موجود في النقوش الصخرية التي يعود تاريخها إلى القرن السادس أو السابع الميلادي تقريباً. ولكن كتابتها الأدبية لم تبدأ إلا في القرن الحادي عشر. متكلمو التيلوقو هم الأكثر عدداً بين الدراويديين، وقد

(1) الرمز الصوتي n يمثل نطق ng في الكلمة الإنجليزية sing.

تعرّضت التيلوقو ذات يوم لضغط من الناطقين بالتاميلية من جهة، وكذلك الأردية الفارسية «المُعرَبة» برعاية نظام الملك في المقاطعة التي يحكمها، من جهة أخرى. هذه الضغوط لا وجود لها في الوقت الحاضر، وخصوصاً بعد قيام ولاية أندرا برادش في عام 1956. لكن حضور الهندية أصبح بارزاً على إثر الأوردية في المدن والحواضر المدنية الكبرى، في ما عُرف سابقاً «إقليم نظام». ليس من الواضح ما إذا كانت ستواجه التيلوقو أي مقاومة بهذا الخصوص. تشبه التيلوقو البنقالية في أحد الأوجه، حيث استعارت عدداً هائلاً من الكلمات من السنسكريتية، ولا تزال مستمرة في القيام بذلك بشكل طبيعي.

الماليالام هي اللغة الأم لـ 25،700،000 نسمة، والمتكلمون بالماليالام الآن في مرحلة متقدمة، خصوصاً في مجالهم التعليمي ويسعون وراء أدبهم وثقافتهم الخاصة. الماليالام أساساً فرع متميز للتاميلية القديمة، ونموها بدأ في القرن الخامس عشر: وعليه فإن ميلاد الماليالام حدث منذ نحو خمسمائة عام. في حقبة زمنية معينة، كان تعليم الطبقات العليا في ولاية كيرالا Kerala يبدأ بتعلم السنسكريتية. لذا فإن متابعة الدراسات السنسكريتية كانت سائدة في هذا الإقليم، ومهما يكن حجم الكلمات السنسكريتية صغيراً في التاميلية، فإنه كبير في الماليالام. لا مجال للتخلص من تلك الكلمات، ومع ذلك، وبقليل من الجهد، يستطيع المتكلمون بالماليالام والتاميلية، فهم كلام بعضهم

بعضاً إلى درجة كبيرة.

الكنادا هي اللغة الأم لـ 146،697،25 نسمة. يمكن القول: إن الكنادا أيضاً، كانت ترتبط بالتاميلية منذ بداياتها الأولى تقريباً، كما تم تعقبها في الفترات الزمنية القديمة. بيد أن الكنادا الحديثة، لغة جديدة تقريباً بالمقارنة. الموسيقى الكارناتكية Karnatic [1] هي التقليد الموسيقي الكلاسيكي في جنوب الهند، كما يتم غالباً تلحين الأغاني الهندية الجنوبية بالكنادا، تماماً مثلما تؤلّف أغانينا في الشمال بالهندوستانية Hindustani. حرف الكنادا الكتابي يشبه حرف جارتها التيلوقو، وهو ليس مثل الحرف التاميلي، بالرغم من الروابط اللغوية الكبيرة للكنادا مع التاميلية.

عموماً: التاميل في الجنوب (أو المالايالون أو الكناديون) لا يفهمون التيلوقويين كما أن التيلوقيين لا يفهمون التاميل. لا توجد في الجنوب لغة دراويدية مشتركة، بعكس الهندوستانية العامية (في العائلة الهندية–الآرية) التي تستخدم لأغراض عملية في شمال الهند. لغتهم المتبادلة للتواصل هي السنسكريتية في أوساط العلماء التقليديين، أو الإنجليزية بين متعلمي اليوم. وهي الهندوستانية لبعض الناس (خصوصاً بسبب مساهمة حيدر أباد).

(1) نسبة إلى ولاية كارناتكا Karnataka بالجنوب الغربي في جمهورية الهند. [المترجم]

الأدب التاميلي

في الحقيقة، لسنا معنيين بالحديث عن الأدب، لكن هل بالإمكان إغفال الأدب إجمالاً، عند البحث في اللغة، خصوصاً وأننا نعطي أهمية كبرى للغة التي كُتبت بها الآداب؟ إذاً، على المرء أن يعترف بأهمية الأدب التاميلي. وقد قسّمت المراحل الزمنية للأدب التاميلي على النحو التالي:

1- مرحلة السانقام (Cankam): تمتد هذه المرحلة من القرن الخامس أو الرابع ق.م إلى 500 ب.م. وقد شجّعت عصبة «السانقا» التاميلية أو الجماعات الأدبية، شعراء التاميل نادو على الإبداع الأدبي والنقد منذ البدايات الأولى. حتى وإن لم تكن هذه العصبات دوماً بالقِدم الذي يدعون، فإنها قديمة على أي حال. من المحتمل أن يكون القرن الرابع أو الخامس ق.م هو فترة «السانقام» الثالثة: ويعود إلى هذه المرحلة تاريخ ظهور الأدب «التاميلي العتيق» أو Cen–Tamil (وتلفظ حديثاً «سنداميز»Sendhamiz). ويبدو أنه تم تدوينه بالكتابة التاميلية خلال الحقبة المسيحية/ القرن الأول للعهد المسيحي. يفترض أن تمتد فترة هذا الأدب التاميلي طوال حكم فترات التشولا Chola والبانديا Pandya والتشيرا Chera. التقليد ذاته تم اتباعه في المرحلة التي تلتها في التاميلية القديمة، ويستثنى من ذلك أن اللغة التاميلية كانت في ذلك الوقت قد تغيرت في نطقها. لغة المرحلة البدائية هذه تسمى «داميلا»

Damila، ويعرف الأدب بأدب «السانقام» أي «العصبة».

2- فترة «التاميلية القديمة»: من الناحية الأدبية، هي الفترة الممتدة من 500 إلى 1350م. كانت فترة مواصلة الموروث السنقامي خلال عهود حكم ملوك البالافا Pallava والشالوكيا Chalukya والتشولا، وغالباً ما يتم بحث فترتي الأدب هاتين معاً — أي «العتيقة» و«القديمة».

تزخر الآداب السنقامية للتاميلية بقصائد عن الحب، والحرب، والانتصار، والسلام، والأفعال البطولية. وهي جميعاً أصيلة في العبارة والوصف. وقد تم حفظ هذه القصائد في مجموعات مختارة إلى جانب مؤلفيها:Pattu–p–pattu (مجموعة العشر)، وEttuttokai (مجموعة الثماني)، وCilappatikaram (أغاني الخلخال الراقصة)، كتبها الشاعر الياني ايلانكوفان–أتيكال Ilankovan–Atikal، والمجموعة الشعريةMani–mekalai للشاعر البوذي شيتالي– ششتنار –Citalai ch–chattanar. كان هناك أيضاً مقدار معتدل من الشعر الغنائي في شعر الأوديانا Udayana والفاسافاداتا Vasavadatta في الكوشمبي Kausambi في شمال الهند، إلى جانب الشعر على عروش الرامايانا Ramayana والمهابهاراتا Mahabharata. ويجد المرء أدباً تعبّدياً باهراً لأشعار الشيفا Shiva والفاشنافا في التاميلية العتيقة، وهذا هو الاقتناء الثمين ومفخرة الأدب التاميلي[1].

(1) سيأتي المؤلف على ذكر الكثير من الكتب التراثية التي تتشابه في مسمياتها، وخصوصاً الدينية. تعتبر المهابهاراتا أعظم الملاحم وتعني حرفياً «بهاراتا العظيم»، وهي ملحمة مؤلفة من 90000 ستانزا وتحكي قصة سلالة آل بهاراتا وانتصاراتهم. ربما تم الانتهاء من

كان يطلق على المتعبدين المكرسين للشيفا اسم «النيانماريين» Nayanmars، ولاحقاً «الشيتاريين» Cittar أي «السيذا» Siddha [المقصود: الأتقياء والقديسون على التوالي]. من بين تراتيلهم إلى شيفا Shiva «قصيدة إلى شيفا» للمتعبد المشهور مانيكا فاشكر، Manika—Vacakar (القرن السابع—الثامن)، (الترنيمة الثامنة في Tirumurai)، التي يصعب بكل وضوح مجاراة جلالها الموقر في محيط الأدب العالمي. وكما هي حال «التيراموراي» لشيفا، فإن Nalayira—p—pirarpantan نص جليل لفاشنافا التاميل.. إنها الفيدا «الخامسة» لهم. هؤلاء المتعبدون/ القديسون يعرفون بـ «الواريين» أو «أجرار» Alvar/ Azhrar [أي «الأولياء»]، وأدبهم مقدس بأعمال «الأولياء الثمانية عشر»، ومن بينهم المرأة القديمة أندال Andal، التي كرست نفسها لحب كرشنا وأشعارها Tiruppavai (30 قصيدة في مجموعها)، كانت سلف كل الأدب البادافالي/ الفاشني Padavali، والذي جاء من بعدها، سواءً في التعبير أو التقوى أو الرفعة والسمو.

الأدب التاميلي العتيق [الكلاسيكي] مثير للإعجاب في جودته وأصالته وتعدد استعمالاته، ولا يمكن تقديم وصف موجز له في ثنايا عشر أو حتى عشرين صفحة. ومع ذلك، يجب أن نذكر هنا

تأليفها في صيغتها الحالية عام 300 ق.م. الملحمة الكبرى الثانية هي «البهاقافاد—قيتا» وتعني «أنشودة الرب للمباركين». تمثل المجلد السادس في المهابهاراتا، وملخصها أنها تركز على ثروات المنافسين لآل بهاراتا وتظهر القيم الأخلاقية والمسؤوليات الجماعية والفردية في الحضارة الهندية. الملحمة الثالثة هي الرامايانا وتعني حرفياً «طريق راما»، وتشتهر شخصياتها بتجسيد الفضيلة وقيم الثقافة الهندوسية. [المترجم]

الرامايانام Ramayanam لكامبان Kamban (ربما تم تأليفها في القرن الحادي عشر)، وتعد مفخرة اللغة التاميلية، ويذكر أن الشاعر الماهر بوكاجنتي Pukazhenti ألّف حكايات روائية عدة، مبنية على ملحمة المهابهاراتا. هناك الكثير من الحقائق الأخرى، التي أرى ضرورة معرفتها وتوجب على المهتم محاولة الإلمام بها أيضاً.

3- تاميلية القرون الوسطى (أو Itai—t—tamizh): تمتد هذه الفترة من 1350 إلى 1800 ميلادية. هذه المرحلة الوسطى استغرقت عهد حكام التشولا، ومملكة الفيجاياناقارا (Vijayanagara) والنيكاس المادوريين Nykas Madurai. وهي استمرار للتراث التقليدي السابق المتمثل في الشعر الرومانسي والتعبيري والملحمي/ البوراني[1]. وقد ترك العديد من المؤلفين بصماتهم في هذا المجال، لكن أياً منهم لم يستطع أن يحرز درجة المجد السابق. من القرن السادس عشر وما بعده، بدأ المبشرون المسيحيون الكاثوليك بالقدوم إلى المنطقة، واتخذوا كثيراً من عادات وأعراف اللغة التاميلية، وأنشأوا أول مطبعة في الهند في كوشين Cochin في عام 1574. في هذه الأثناء، بدأ التاميل الذين اعتنقوا الإسلام بتأليف الملحمة المحمدية في القرن الثامن عشر وتلك محاولات جديرة بالملاحظة.

التاميلية الحديثة بدأت تقدمها في الحقبة البريطانية، بعد عام 1800. بل إن الحقبة الحديثة ظهرت لأول مرة في الواقع في سنة

(1) Purana: البورانية هي قصيدة هندية طويلة تشبه الملحمة. [المترجم]

1857، عندما تأسست جامعة مَدْراس Madras (1). هيمنت المرحلة التقليدية الأولى على التاميلية حتى ذلك الوقت: مع ذلك بدأت تظهر تدريجياً الروايات والمسرحيات والنقد كتقليد للأدب الإنجليزي، إلا أن الشعراء استمروا في اقتفاء المبادئ القديمة. الاسم الأكثر احتراماً في أدب اللغة التاميلية الحديثة هو سوبرامانيا بهاراتي (1882–1921) Subramanya Bharathi. كان بهاراتي شاعراً ومفكراً قومياً استنهض نوعاً جديداً من الوعي في العقل التاميلي، من خلال أشعاره وأغانيه. وقد استلهم العهد السواديشي Swadeshi في البنقال (1905)، وكان من أتباع أفكار بانكيم، وشارا تشاندرا شترجي، والسيد أوروبيندو Aurobindo ورابندرانات طاغور، وأطلق العنان لتيار الصحوة القومية للحقبة الغاندية في شمال الهند بين التاميل. لا يوجد شحّ أو ندرة في الأدباء باللغة التاميلية، وبطبيعة الحال هناك أيضاً النساء الكاتبات. كما أن ترجمات أعمال بانكيم وطاغور وشارا تشاندرا شترجي تلقى استحساناً في التاميلية. يشتهر بعض شعراء التاميل باسم «راجا كافي» (الشاعر الملكي) Rajakavi، بينما يمنح بعضهم الآخر لقب التكريم «طاغور». كان كالكي Kalki (1899 –1954) أحد الصحفيين الكبار في زماننا، وكان أيضاً كاتباً هاجياً للقصص القصيرة والروايات، وقد ذكرنا في ما سبق السيد شاكرا فارتي راجا

(1) ما يعرف اليوم بـ«تشناي» Chennai حالياً. [المترجم]

قوبا لاشاري(1). إن عنفوان التاميلية وحيويتها الجديدة لا يحتاجان إلى بيان في وقتنا الحاضر. لكن يمكن أن يجرؤ المرء على الإشارة إلى أنه لم يعد من الممكن أن تحقق التاميلية الجديدة المجد عينه الذي أحرزته التاميلية القديمة.

للرامايانا، والمهابهاراتا، وقصيد البوران، والفكر الهندوسي والياني والبوذي، تأثير كبير في جميع آداب الهند، وموجود أيضاً في اللغات الدراويدية. لكن اللغة التاميلية تمتلك مصدراً للإلهام خاصاً بها، في حين امتلكت اللغات الدراويدية الأخرى مصادر مقارنة لا تنفصم عراها عن أفكار السنسكريتية ومعتقدات الهندوسية: فقد كان شانكرا ورامانوجا في النهاية من أبناء الشعب الدراويدي. لذا يجب أن نذكر الخصائص المميزة للتيلوقو، والكنادا، والمالايالام.

أدب التيلوقَو

يمكن رؤية نوع جديد من المحاولات والاهتمام في مجتمع التيلوقو وأدبهم اليوم، والتيلوقيون بصفة خاصة يعون تراثهم. ومن حيث السكان يأتون مباشرة بعد متكلمي الهندية في إطار الأمة الهندية، وهذا أمر غير هين. ظهرت بقوة منجزات وأمجاد ملوك الأندرا

(1) ما يميز الأسماء في اللغة التاميلية أنها تظهر طبقة الفرد ومذهبه ومنطقته ووظيفته وسلالته، وربما غير ذلك، ولهذا فهي من أطول أسماء العلم بين اللغات في العالم. [المترجم].

ساتفاهانا Satavahana قبل التقويم المسيحي بطبيعة الحال. واسم كارافيلا Karavela اسم مشهور، ومن المحتمل أنه اسم مركب من كلمتين في التيلوقو القديمة- كارا = «أسود» + فيلا = «رمح». على أية حال، التيلوقو القديمة بدأت في الظهور منذ القرن السابع الميلادي ولكن الدليل على ذلك، اقتصر على كتابات النقوش فقط ولا يمكن تسميتها أدباً.

تقسيمات المراحل الزمنية للأدب واللغة التيلوقوية تظهر في ما يلي:

1- التيلوقو القديمة: تقريباً من 700ب.م (؟)- 1000 ب.م

2- تيلوقو القرون الوسطى: تقريباً من 1000ب.م- 1500ب.م

أ- المرحلة القروسطية الأولى: (1000ب.م- 1350ب.م)

ب- المرحلة القروسطية الثانية: (1350ب.م- 1500ب.م)

ج- المرحلة القروسطية الثالثة: (1500ب.م- 1650ب.م)

د- المرحلة القروسطية الرابعة: (1650ب.م- 1800ب.م)

3- التيلوقو الحديثة: 1800- 1925 ميلادية وما بعدها.

لا يوجد دليل قائم على وجود أدب تيلوقوي في مرحلة التيلوقو القديمة. في المرحلة القروسطية الأولى نجد نانيا بهاتا Nannaya Bhata الذي ألّف ثلاثة فصول في المهابهاراتا بالتيلوقو، وهي تعد رصيداً ضخماً للأدب التيلوقوي. كان الأدب السنسكريتي دوماً المصدر الأصلي لأدب التيلوقو، وأجريت الكتابة آنذاك على أفكار رئيسية

(ثيمات themes) مستوحاة من الرامايانا والمهابهاراتا والهاريفامسا. لكن كان واضحاً، إلى جانب ذلك، تأثير أتباع الرامانيوجا ومجتمع الفيراشيفا Vera–Shiva، الذين استلهموا الأدب ودوّنوه. شمل عصر الإمبراطورية الفيجاينقَريه في الإقليم، الفترتين الثانية والثالثة، وحينها كان الأدب السنسكريتي والثقافة الهندوسية يُحكمان هيمنتهما في الجنوب. كان الملك كريشناديفا رايا نفسه Krishnadeva Raya شاعراً، وفي ذلك الوقت أيضاً ولد العديد من شعراء التيلوقو الجيدين، وخصوصاً الشعراء المشهورين الثمانية بشهرة «الأصطى ديقاجا» Astadiggaja. وعلى نحوهم أيضاً، يستحقّ الحكام المسلمون في قولكوندا Golconda من المملكة البهامانية (1518- 1619) ذكراً خاصاً. فقد سعوا إلى استعمال الفارسية و«الديكانية الهنداوية» Dekkani Hindavi من جانب، بينما شجعوا على متابعة تعلم التيلوقو والسنسكريتية من جانب آخر، مثلما فعل حكام قطب شاه Qutabshah على سبيل المثال. فقد كتبوا الشعر بالتيلوقو وحببوا رعاياهم بهم إلى جانب زوجاتهم ملكات التيلوقو. هناك قصة ممتعة لبهاقياماتي Bhagyamati وكولي قطب شاه Quli (حكم خلال الفترة 1580- 1612ب.م). بهاقياماتي كانت راقصة جميلة، وأغرم بها الملك أيام الشباب وتزوج بها لاحقاً، وأسس مدينة جديدة سماها «بهايانقار» باسمها، ولاحقاً أعاد تسميتها «حيدر محل»، وبعد ذلك أعيدت تسمية المدينة وأصبحت «حيدر أباد» التي هي اليوم عاصمة

ولاية أندرا براداش. وحديثاً (1964) كتبت مسرحية حول موضوع قصة الحب هذه. من المعلوم أن الموسيقي الكبير والقديس تياقاراجا Thyagaraja ينتمي إلى المرحلة الأخيرة من الفترة القروسطية، فقد وُلد في طناجور Tanjore Thanjarvur بإقليم التاميل، وتوفي في عام 1848. ويعد تياقاراجا «الأب الروحي» tansen للموسيقى الكرانتيكية وألحانه مغناة بالتيلوقو. وفي هذا الخصوص، تحظى التيلوقو بالثناء على عذوبتها في عالم موسيقى الجنوب. السمة الإجمالية لأدب التيلوقو في الفترة القروسطية هي أنها كانت ولا تزال معاقة بالتقيد بتقاليد السنسكريتية الشعرية.

البادئ المبادر للتيلوقو في الفترة الحديثة هو كاندوكري فيريسا لينقام بانتولو Kandukri Viresalingam Pantulu (1848– 1919). كان مصلحاً اجتماعياً برؤية حديثة، وكاتباً للكراريس، ومترجماً للسير، ومؤلفاً مسرحياً، ومحللاً لفنون الشعر. هجر الصور البلاغية التقليدية، ولهذا وهب نثر التيلوقو السلاسة والبساطة. انضمت إليه، في هذا الأسلوب، مجموعة من الأدباء تدريجياً. أخيراً، اكتسب الشهرة، كأدباء تيلوقويين، من أمثال كاتامانشو رايالينقا ريدي Kattnmanchu Rayalinga Reddy (ت. 1951) وبراكاسام Prakasam وآخرين. في تطوّر التيلوقو الحديثة، قدّم الأدب البنقالي و(الأخوية الجديدة) Brahmo Samaj «البراهمو ساماج» في البنقال،

الإلهام في المراحل الأولى[1]، وقدمت لها الإلهام أيضاً، حركة غاندي في مرحلة لاحقة. وكطلائع «الحركة الأدبية» Sahithya Samithi (1921)، استحدث الشاعر فيسواناشا ساتيانارايانا ومعاونوه واتباعه، رؤية وإبداعاً جديدين في أدب التيلوقو، ومنهم على سبيل المثال رايا برولوا سوبا رافو، ممن كانوا طلاباً في سانتينيكيتان. أثريت لغة التيلوقو بطرق مختلفة عدة في مرحلتها الحديثة، وهناك أدباء تيلوقويون كثيرون. شريشري Shri– Shri «كبير الأسياد» صاحب مجموعة «أبهيودايا» Abhyudaya، وهو معروف جيداً ككاتب يساري. كما أن هناك أيضاً كتاباً بارزين في المدرسة القديمة من أمثال السيد شري بادا كريشنا مورتي شاستري Shripadakrishnamurthi Shastri وآخرين، ويبدو أن التيلوقو متقدمة في كتابة القصص القصيرة أكثر مما هي عليه في كتابة الروايات، وهي متقدّمة جداً في المسرحيات أيضاً: يمكن لنا في هذا السياق أن نتذكر القاضي ب.ف. راجاموندا Rajamundal. وغني عن الذكر أن ترجمات القصص القصيرة والروايات ليانليما تشاندرا، وطاغور، وشارات تشاندرا، إلى التيلوقو تلقى تقديراً خاصاً.

(1) «البراهمو ساماج» تعرف أيضاً بجمعية البراهمة، وقد أسسها موهان روي في البنقال عام 1828، وكانت أول حركة إصلاحية في الهندوسية. جاء من بعدها تأسيس حركة «الآريا ساماج» على يد دايانندا سارسفاتي. [المترجم]

أدب الكنادا

يبلغ عمر الكنادا نحو 1500 عام أيضاً، على الرغم من أنه لا يوجد سوى عمل أدبي واحد يدل على ذلك، وهو رسالة في فنون الشعر vari—raja—marga لفيجايا (يعتقد أن تاريخها يعود إلى 840 ميلادية). كما أن الكنادا اتبعت أعراف وتقاليد الشعر السنسكريتي على وجه العموم.

تقسيمات المراحل الزمنية للغة الكنادا وآدابها نوضحها كما يلي:

1- الكنادا العتيقة Purraja—pada gannada — حتى 800 ميلادية.

2- الكنادا القديمة Hala gannada — من 800 إلى 1150 ميلادية.

3- كنادا القرون الوسطى Nadu gannada — من 1150 إلى 1800 ميلادية. وهذه الفترة تضم ثلاث مراحل: القروسطية الأولى (حتى 1350 ميلادية)، القروسطية المتوسطة (حتى 1500 ميلادية) والقروسطية الأخيرة (حتى 1800 ميلادية)

4- الكنادا الحديثة Hosa gannada أو Posa — من 1800 ميلادية وما يليها.

شكلت ملاحم الشعر — مثل الرامايانا، والمهابهاراتا، واليانية[1]

(1) Jainism مصلح يستخدم في اللغة الإنجليزية للدلالة على معتقد ديني في الهندوسية وربما يسبق البوذية. كان ظهورها الأول مع مهافيرا Mahavira وتعني «المحارب العظيم» وهناك مؤسسون آخرون لها غيره من طبقة المحاربين. أصل الكلمة في السنسكريتية هو Jina وتعني المنتصر وتنطق حالياً كما يوضح الكاتب «يينا». [المترجم]

وحكايات التيرثانكاراس Tirthankaras— مصادر رئيسية لمواضيع الكنادا القديمة، وكان أسلوب الإنشاء في الغالب كأسلوب «القافية الموزونة» compukavya في السنسكريتية، ولكن هذه اللغة تحولت مع حلول مرحلة القرون الوسطى، وصاحب ذلك ظهور الهندوسية البورانية مكان اليانية، وبرزت بقوة معتقدات مجتمع الفيراشيفا أو «اللينقائية» Lingayet. في ما يخص النثر (في القرن الثاني عشر)، كان الأديب فاسافا أبرز الجهابذة في هذا المنحى، كما كان هناك أيضاً كتاب يانيون في هذه الحقبة. ومع ذلك، ازداد بصفة واسعة تأثير الهندوسية البورانية/ الملحمية خلال حكم ملوك الفيجيانقار. وبالإضافة إلى ذلك، تم تأليف المهابهاراتا والرامايانا والبهاقافاتا باللغة الكنادية، ونشأ في هذه الحقبة أيضاً، مذهب «الداسا» Dasa الفيشنافي للدعاة البلغاء، الذين كانوا من أتباع الداعية راما نيوجا. غنائيات «الداسا»، هي أمثلة من نوع خاص لشعر الكنادا الشعبي. بعد ذلك، وخلال حكم ملوك الوديار Wodyar في النصف الثاني من القرن السابع عشر، تطوّر فرع جديد من أدب الكنادا، وتحديداً الأدب التاريخي. الأدب التاريخي غير موجود بصفة عامة في الهند، باستثناء لغة أو اثنتين كالأسامية. وفي هذه الفترة أيضاً، بدأ المبشرون المسيحيون اليسوعيون يتقدمون في دراسة الكنادا. ومع ذلك، فإن هذه المقاطعة الهندية كانت تقضي زمانها قائمة بذاتها إلى حد ما: فقد تم عزلها نوعاً ما بين مختلف المقاطعات الهندية. وتبعاً لذلك، كان

نصف القرن التاسع عشر قد انقضى عند وصول موجة الفترة الحديثة إلى الكنادا، وكان المبشرون الغربيون أول من أخذ بزمام المبادرة في هذا الاتجاه. استجاب الكناديون بمشاعر جياشة لترجمات أعمال بانكيم تشاندرا Bankhim chandra (في القرن العشرين) بهذه اللغة، وإلى جانب ذلك كان هناك تأثير أدب الماراثية أيضاً. وتدريجياً، بدأت تكتب الروايات والقصص القصيرة والمسرحيات بلغة الكنادا. وبعد جاقيردار Jagirdar وكارانت Karanth وأسماء شهيرة أخرى في أدب الكنادا، ظهرت أسماء جديدة من أمثال قوندابا Gundappa (توفي 1888)، د.ر بايندر Bindre، د.ك قوكيك Gokik، ر.س موقالي Mugali، ..إلخ، وهناك الكثير من الأدباء البارزين غيرهم.

أدب الماليالام

كانت التاميلية والماليالام اللغة نفسها ذات يوم. لكن ذلك كان في عهد التاميلية القديمة، وربما من هذه الفترة بدأت بعض آداب الأقاليم في الظهور في المناطق الجنوبية الغربية الناطقة بالتاميلية. ومع مرور الزمن، اكتسبت اللغة التاميلية هوية منفصلة على هذا الخط في إقليم مالابار. والمقطع «مالا» أو «مالاي» Mala/malui= «هضبة، جبل»، «آلام» Mlam= «وادٍ» وهكذا، فالماليالام «لغة الهضاب والوادي». «الماليالام القديمة» كانت اللغة التاميلية القديمة نفسها، أو لغة تشبهها كثيراً، ولا يوجد دليل حي على ذلك. عموماً، تقدر

مراحل الماليالام بفترتين:

1- الفترة الأولى، أو ماليالام القرون الوسطى: 1350- 1800 ميلادية (معاصرة للتاميلية الوسطى/ القروسطية)

2- الفترة الحديثة: 1800ميلادية حتى الوقت الحاضر.

كانت كيرلا مهد شانكارا شاريا / سامكارا /Shankaracharya Samkara، وهو براهمي نامبودري Namboodri.وهكذا فالتأثير الجلي للسنسكريتية على لغة الماليالام وآدابها ليس مستغرباً: ويحتمل أن يكون هنا، أشد من التأثير على التيلوقو أو الكنادا. والسبب في هذا أن طبقة النامبودريين (البراهمة) والنيريين (الكاشاتريه Kshatriya) اعتادت أن تبدأ تعليمها بالسنسكريتية وتواصل دراساتها بالسنسكريتية[1]. فقد كان ينظر إلى استعمالها ودراستها باعتبارهما على درجة من الأهمية كما هما مع الماليالام في دوائر المتعلمين. تقبلت لغة الماليالام أيضاً التعبيرات السنسكريتية «المنظومة معاً» وفق القواعد الدراويدية. وتسمى هذه الصيغة «السنسكريتية» للماليالام Maniprabalam prasthanam. هل اختفى تأثير التاميلية على الماليالام لهذا السبب؟ حتماً، لا. فقد وجدت أنواع متفرقة للماليالام، حيث كانت الأصول التاميلية واضحة على اللغة. منذ

(1) الإشارة هنا إلى الطبقات الموجودة في الهندوسية: البراهمة هي الطبقة الأولى (المفكرون)، والكشاترية هي طبقة المحاربين. أما الطبقة الثالثة فهي طبقة الفيشيين vaicyas أي أصحاب الحرف والمزارعين، والطبقة الرابعة هي الشودرا cudra أو الخدم. وهناك طبقات أخرى تنتج من خلال تركيبة خاصة لهذه الطبقات الرئيسية. [المترجم]

بداياتها الأولى امتلكت المالايالام نوعاً ثالثاً يسمى «الباكا مالايالام Pakka malyalam»، تماماً مثل الصيغة «البنقالية الفصيحة» في اللغة البنقالية. كيرالا منطقة مميّزة بأنها محبة للسنسكريتية بشكل غير عادي، ومنذ البداية لم تتردد بالترحيب بالمسيحيين السوريين، واليهود، وأخيراً المسلمين العرب.

أدب المالايالام واسع وكبير أيضاً، إذ لا يمكن وصفه بدقة واختصار حتى بعبارات عمومية. منذ العصور القديمة، نُظمت القصائد القصصية عن مواضيع مرتبطة بالأرباب والآلهة، وقصص الحب، والأعياد والطقوس، ومآدب طعام الأبطال خصوصاً، وأنشدت جميعها على طريقة «الباتوس» في التاميلية pathus (أساطير)، وكان الأفراد الذين يغنّونها يسمون «التشاكيار» chakiyar. كما مثّلت أيضاً المسرحيات التي تعرض الرقص، والمبارزات الثنائية بالأقنعة، وقد تطور ذلك إلى شكل رقص الكاتاكالي Kathakali (في القرن السابع عشر). ويشكّل ذلك الثقافة الشعبية، والتقاليد المحلية للمالايالام، وقد اعتاد على كل ذلك عامة الشعب والمسلمون والمسيحيون.

أول نص شعري مكتوب هو «راماتشاريترام» Ramacaritram، يعتقد بأنه كتب سنة 1300 ميلادية، وتم تأليفه على الطريقة التقليدية لشعر السنسكريتية. كما أن هناك أعمالاً شعرية أخرى على التقاليد السنسكريتية، وهناك شعراء لا يحصون في النظم الموزون. وما يستحق الذكر بالمقابل هو كتاب Krsnapattu «أسطورة كريشنا»

لتشيروشاري نابودري Cherushari Naboodri، وقد كتب هذا في بداية القرن الخامس عشر، وفيه يجد المرء دلالة على المالايالام الفصيحة. الشاعر الكبير الأول في المالايالام هو إيجاتوتشان Ezhattucchan، كما كان يعرف في الوسط الشعبي. عاش في القرن السابع عشر، وكان من المجتمع النيري Nair وملتزماً تجاه الدين، وقد كتب «الأدهياتما رامايانا» Adhyatma Ramayana و«المهابهاراتا» و«البهاقافاتا-بورانا» بالمالايالام.

ظهرت المالايالام الحديثة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان لها مركزان رئيسان: كرانقانور Kranganore في الشمال وثيروفاناثابورام Thiruvanathapuram في الجنوب. مهّد فيناماني نامبودي Venamani وابنه الطريق لمؤلفي مدرسة كرانقانور في الأدب الحديث، وكانت مدينة ثيروفاناثابورام محظوظة بالمهاراجا كيرالافارما فاليا كويل ثامبران (1845-1917)، وقد كان شخصية قيادية لمجموعة الكتاب هناك. كتب المهاراجا كيرالا فارما الأدب باللغتين السنسكريتية والمالايالام، ولكن تأثره بالسنسكريتية لا يخفّ حتى عندما يكتب بالمالايالام. ونتيجة لجهوده حققت ولاية كيرالا تقدماً في التربية والأدب وفي نواحٍ أخرى. ومع تواصل الترجمات من السنسكريتية والترجمات من الإنجليزية، وحتى من البنقالية إلى المالايالام، ترجمت السيدة كاليانياما Kalyaniyamma (السيدة تيلاكانو كريشنا مينون جوهرة إيرنا كولان Ernakulan)، كما

ترجمت أعمال بانكيم تشاندرا وراميش تشاندرا إلى المالايالام في بداية القرن العشرين، وهي حقيقة يجب أن يعيها البنقاليون. ومع ذلك فقد كان الشاعر الكبير فالاتول Vallatol أول من بدأ المرحلة الجديدة في اللغة المالايالام. وفي هذا فقد تسامى إلهامه عندما زار مدينة سانتينيكيتان عام 1925. وإلى جانب إنجازاته الأدبية، تشهد قصيدة «كيرلا كالا ماندالام» ورقصة «الكاتاكالي» على مساعيه الكبيرة. لم تعد المالايالام لصيقة بجلد السنسكريتية، فهي الآن لغة حية مستقلة بذاتها. وقد جعلها المفكرون بعيدو النظر، مثل ساردار بانيكر Sardar Panikker، طبيعية وغير مثقلة بالديون. الأسلوب الاشتراكي الحديث المرتكز على الفرد كرمز، وغير ذلك من الأساليب، تصاغ الآن وتصنع بالمالايالام. هناك سيطرة كبيرة للقصص القصيرة والروايات، ومن أشهر الأدباء المعروفين اليوم، الشاعر جي شانكار كورب Ji Sahnkar Kurup، والنقّاد جوزف منتيساري Muntessari، و ك.م جورج وآخرون. وهناك العديد من الكتاب الجيدين وعلى درجة عالية من التنظيم. على سبيل المثال، الجمعية التعاونية للنشر الأدبي (كوتايام Kottayam Sahitya Pravartaka Co-opertive Sociely) وهي جمعية تعاونية للكتّاب، لا تبارى في أوساط المجتمع الأدبي في أنحاء الهند، حيث يقومون بنشر ما لا يقل عن أربعة كتب جديدة أسبوعياً.

-6-

اللغات الهندية-الآرية: تاريخ المراحل الأولى

تهيمن الآن اللغات الهندية-الآرية على شمال الهند، وهي لغات مهمة في الهند وبنقلادش وباكستان في الوقت الحاضر. فلغات العائلة الهندية-الأوروبية[1] هي الأوسع انتشاراً والأقوى ثباتاً في عالم اليوم. لم تنتشر لغات مختلفة من هذه العائلة في جميع أنحاء آسيا وأوروبا فحسب، بل في أمريكا أيضاً. ومن الطبيعي أن لغات هذه العائلة متشعبة في فروع متفرقة وفصائل ومجموعات وأنساب.

إن فصيلة العائلة الفرعية الهندية-الإيرانية هي أحد فروع العائلة الهندية- الأوروبية كثيرة التشعبات. وقد عَبَرت مجموعة من الناس، الذين يتكلمون هذه اللغات جبال الهندوكوش Hindukush وقدمت للاستيطان في الإقليم الشمالي-الغربي من الهند، وتبعاً لذلك ترسخت لغاتهم بما (يعرف) باللغات

(1) مصطلح «الآرية» Aryan هو الترجمة الدقيقة للمصطلح البنقالي Arya (Bhasha) الذي يستخدمه المؤلف. وقد اكتسب إيحاء سلبياً في المحيط الأوسع في تاريخ العالم حديثاً، وبالأخص النازية والفاشية قرابة زمن الحرب العالمية الثانية. العائلة الكبرى للغات التي تنتمي إليها لغات المجموعة الهندية-الآرية ستترجم على هذا الأساس «بالهندية-الأوروبية»، وهو المصطلح المقبول في الأنجلو-سكسونية —وفي أحيان متفرقة «بالآرية» موضوعاً بين مزدوجي اقتباس. لمعرفة الاستعمال المحدد «للغات الآرية» Arya bhasha للمؤلف في بعض الحالات انظر الحاشية التالية أدناه.

«الآرية»[1] هذا ما سيقوله مختصر التاريخ.

لغات المجموعة «الآرية»/ الهندية-الأوروبية

لغات المجموعة الهندية-الآرية، بارزة بشكل جلي في شبه قارة جنوب آسيا (بما في ذلك سريلانكا أيضاً)، بينما في بلاد فارس — أي إيران— تبرز لغات المجموعة الهندية-الإيرانية[2]، مثل الفارسية وغيرها. ثمة لغة هندية-أوروبية أخرى في آسيا هي الأرمنية Arminian، وبعد ذلك الروسية Russian، وهي لغة من الفرع السلافي Slavic في العائلة الهندية-الأوروبية، وتحتل أجزاء كبيرة في آسيا وأوروبا. وإلى جانب الروسية، فإن التشيكية Czech والصربية-الكرواتية Serbo-Croation، متوطدتان بقوة في أوروبا الشرقية، ومن جيران هذه اللغات: لغات الفصيلة البلطيقية Baltic من (العائلة) الهندية-الأوروبية، مثل اللتوانية Lithuanian واللاتفية Latvian. بعد ذلك، هناك اللغة اليونانية Greek ولغة ألبانية Albanian معزولة في جنوب أوروبا الغربية؛ ولغات عائلة اللاتينية الفرعية، ولغات الرومانس Romance مثل الإيطالية، والرومانية Rumanian (في أوروبا الشرقية)، والفرنسية، والإسبانية، والبرتغالية. ومن العائلة

(1) يستخدم المؤلف مصطلح «اللغات الآرية» Arya bhasha بمعنى محدد كثيراً كالذي استخدمه على الأغلب فقهاء اللغة من قبله للدلالة على اللغات الهندية-الإيرانية (التي تتشعب تفرعاتها إلى الهندية-الآرية أو اللغات الهندية وإلى اللغات الإيرانية). (المصدر)

(2) تدعى بدقّة أكبر المجموعة الإيرانية.

الفرعية الجرمانية Germanic، تمتد اللغة الألمانية في وسط أوروبا، من شواطئ البحر الأبيض المتوسط إلى أوروبا الغربية. وتوجد أيضاً الدنماركية والسويدية والنرويجية في الشمال، وتمتد الإنجليزية حتى الجزر البريطانية. تعيش الشعوب الهندية-الأوروبية من العائلة الفرعية السلتية Celtic — مثل القيليين Gaelics والويلزيين والبريطانيين Bretons، والإيرلنديين،..إلخ— في مناطق معزولة بين هؤلاء جميعاً. في الحقيقة، إذا ما وضعنا جانباً ثلاث لغات من أوروبا، المجرية والفنلندية والاستونية Estonian، فإن أوروبا بأكملها يمكن أن تدعى ببلاد اللغات الهندية-الأوروبية. تقسم هذه إلى عائلات فرعية وفروع للغة (الأصلية) نفسها. الهندية-الإيرانية هي أحد هذه الفروع، وتضم تقسيمين فرعيين، وتحديداً الهندية-الآرية في الهند، والإيرانية في إيران. هناك صلة قربى عامة بين الهندية-الآرية في الهند، والإيرانية في إيران، والعائلات الفرعية اللغوية في أوروبا. بعبارات أكثر شمولاً، تتحدّر كل هذه اللغات من العائلة الهندية-الأوروبية. نجد المثال على العائلة الهندية-الأوروبية في سنسكريتية الفيدا، وفي شعر هومر Homer في اليونانية وفي المراحل الأولى للاتينية. لكن عُثر في الأزمنة الحديثة على دليل أقدم من ذلك على مراحل اللغات الهندية-الأوروبية. وسواء أكانت لغة نقوش البوغاز-كوي Boghaz-Koi اللغة الحيثية الهندية-الأوروبية الأولى Hittithe أم لغة هندية-أوروبية أقدم منها، فإن بعض أسماء

الآلهة التي تظهر كأسماء هندية-أوروبية، هي من ذكريات أرباب الفيدا. وبغض النظر عن ذلك، قام عالمان — مايكل فنتريس Vantris وجون شادويك Chadwick— بفك شفرة كتابة الميسرانية الأقدم Myceraean في جزيرة كريت Crete، وقد كشفا فيها عن الصيغة الأقدم للإغريقية، حوالي 1400 ق.م. تقدر فترة لغة الفيدا بقرابة 1000 ق.م ورغم ذلك فالكلمات الإغريقية، وأسماء العلم المنعزلة والجمل القصيرة ذات الكلمتين أو الثلاث، قد لا تصل عند جمعها إلى نحو مائتي كلمة، أو ما شابه. إن كل هذا لا يستحق المقارنة مع نصوص الفيدا، رغم أن ذلك في الحقيقة يمثل المرحلة الأقدم للهندية-الأوروبية. ويجري استنتاج بنية اللغة الهندية-الأوروبية البدائية وتخمينها وإعادة تركيبها، من أجزاء الأدلة القديمة بأكملها.

في هذا السياق، يمكن إيجاز تاريخ البحث عن مصدر مشترك بين اللغات الآرية. طرأت هذه الفكرة أولاً للسير ويليام جونز، المؤسس الرئيسي للجمعية الآسيوية (الملكية) بكلكتا (في عام 1784). ففي كلكتا تشجع عندما تعلم السنسكريتية: لاحظ أن في السنسكريتية مجموعة من التشابهات مع اللغات الأوروبية العتيدة، مثل الإغريقية، واللاتينية، والقوطية، والسلتيه. في عام 1786، وفي اجتماع للجمعية الآسيوية Asiatic Society طرح بكل جرأة ادعاءه التالي: هذه اللغات بالتأكيد لها مصدر مشترك، وهذا المصدر ارتبط أيضاً بالسنسكريتية. كانت هذه الواقعة بداية لدراسة فقه اللغة المقارن، وقد بدأ معها

البحث في المجتمع الناطق «بالآرية» وثقافتها: في المائة والخمسين سنة التالية، اختبر العلماء الصحة العلمية اللغوية لهذه اللغة، ومنذ ذلك الحين أعادوا تركيب الصيغة الأساسية لهذه اللغة. يبدو أن الاكتشافات الجديدة لن تنجح في تفعيل أي تبديلات جوهرية على هذه الصيغة. ربما تطرأ تغيُرات جزئية بالطبع، كما حدث في حالة مفهوم «الهندية-الحيثية».

في الجزء الأول من القرن العشرين، تم اكتشاف عدد من النقوش الصخرية والصناعات اليدوية القديمة في آسيا الصغرى، على بعد ثمانية أميال إلى الشرق من أنقرة في دولة تركيا في الوقت الحاضر. ظهرت اللغة التي وجد الدليل عليها كشكل ما من الهندية-الأوروبية البدائية نفسها، حيث كانت سابقاً عاصمة الإمبراطورية «الحاثية» Hattic أو «الحيثية» لذا ساد الاعتقاد في البداية بأن هذه اللغة هندية- أوروبية. لكن تم التوصّل لاحقاً، إلى أن هذه اللغة، أقدم من الهندية-الأوروبية (البدائية)، ومن الممكن أن تكون بمنزلة الأم للغة الهندية-الأوروبية البدائية. ولذلك أطلق على هذه اللغة اسم «الهندية-الحيثية» Indo-Hittite.

إذا كانت الهندية-الأوروبية البدائية، اللغة «الآرية» الأصلية، فإن هذه اللغة الأخيرة قد تدعى باللغة الجذرية الأصلية. وهكذا، فالعلاقة تقريباً كالتالي:

اللغة الجذرية الهندية–الحيثية الأصلية

الحيثية الأولية الهندية–الأوروبية البدائية

الحيثية الهندية–الأوروبية

(إيليريانية/ لويانية..إلخ) مجموعة «سنتوم» مجموعة «ساتم»)

(انظر:

S.K. Chatterji, *Indo-Aryan and Hindi*, Second Edition, Appendix1; and Sukumar Sen, *Bhashar Itibrtta* (The History of Language), 9th Edition, 1965, p. 72.)

طرق توسع اللغات «الآرية»

تم التيقن بصورة قاطعة أن اللغات «الآرية» لم تنشأ في الهند، بل قدم المتكلمون بهذه اللغات من خارج البلاد. لا يوجد سؤال أكثر إثارة للفضول من معرفة موطنهم الأصلي، وأيضاً متى وكيف وأي طريق سلكوا إلى الهند (تجد بحث ذلك في Chatterji, Indo-Aryan and Hindi). ينصبّ اهتمامنا هنا في الأساس على لغات الهند، أي على دخول اللغات «الآرية» وتوسعها. اللغة التي تسبق هذه ليست ذات أهمية قصوى في هذه الدراسة. لذلك يكفي أن تعرف أن السهول الواقعة عند نقطة التلاقي بين آسيا وأوروبا في جبال الأورال في روسيا، هي الموطن الأصلي الأول المحتمل للقبائل «الآرية»، وربما كان ذلك حول 3500–3000 ق.م، ومن هناك هاجروا

واستقروا في أجزاء مختلفة من آسيا وأوروبا. الناس الذين توجهوا إلى الهند، ربما سافروا عبر بلاد ما بين النهرين، ولكنهم قبل أن يدخلوا الهند استقروا بعض الوقت في إيران: اللغة التي تكلمتها هذه الشعوب كانت الهندية–الايرانية، والذين مكثوا منهم هناك تكلموا الايرانية (القديمة). ويمكن الحصول على فكرة عن صيغتها من لغة الأفيستان[1] Avestan واللغة الفارسية القديمة. بيد أن من قدموا إلى الهند من إيران عبر الشمال الغربي (تقريباً حوالي 1500–1200 ق.م) كانوا الهنود–الآرين، وهم أول متكلمي الهندية– «الآرية». لم يأتِ الهنود–الآريون إلى هنا متزامنين في مجموعة واحدة. وربما لم يكونوا من عائلة متجانسة واحدة. وعوضاً عن ذلك، كانوا أناساً من مجتمعات وقبائل مختلفة ومتفرقة، ومن المحتمل أيضاً، أنهم تكلموا لهجات (فرعية) مختلفة من الهندية–الأوروبية/الآرية البدائية. يرى علماء دراسة الإنسان (الانثروبولوجيون) نوعين على الأقل للهيئة الجسمانية بين الهنود–الآرين: إحداهما هي المجموعة «النوردية» أي ذوو الرؤوس الطويلة، والمجموعة الأخرى هي «الباني» أي ذوو الرؤوس المستديرة. يبدو أن مستطيلي الرؤوس استوطنوا البنجاب وحلوا به وطردوا مستديري الرؤوس إلى مناطق الحدود.. إلى السند وقوجرات في الغرب وإلى الجانب الآخر على طول نهر القانقا Ganga في الشرق. يؤيّد فقهاء/علماء اللغة، مثل هورنل Hoernle

(1) تعرف أيضاً بالأبستاق أو الأفيستا. [المترجم]

وغريرسن، نظرية أن لغات هذه المناطق الحدودية تختلف بشدة عن لغات مستوطني البنجاب والمقاطعات الشمالية، بينما كانت تتشابه بشدة لغات الولايات الشرقية، مثل البنقالية الأورية، مع لغات الأقاليم الغربية كالقوجراتية والماراثية. وفقاً لهذا الرأي، يمكن ملاحظة مجموعتين بين اللغات الهندية-الآرية: إحداهما المجموعة «الآرية الداخلية»، والأخرى هي المجموعة «الآرية الخارجية». ولكن لغويين مثل سونيتي كومار شترجي لا يتفقون (بصورة كاملة) مع هذه النظرية. (انظر:

ODBL, Appendix 1, 850; Sen, Bhashar Itibrtta, p. 130).

هناك مؤشر إلى نظرية أخرى عند أسفل «شجرة العائلة» المذكورة سابقاً، وهذه الآن حقيقة مقبولة. ولعله في العهد الغابر الأقدم — قبل مغادرة الهنود-الأوروبيين/الآريين موطنهم الأصلي— ظهرت مجموعتان فرعيتان بين الهنود-الأوروبيين، كانتا مجموعة لغات «السنتوم» Centum ومجموعة لغات «الساتم»[1]. الكلمة المألوفة لدينا «ساتا» Sata «مائة» (واحدة) نطقتها المجموعة الأولى مثل كنتوم (Kentum) (أي «ك» في الصوت الأول) بينما لفظتها المجموعة الثانية مثل ساتم Satem (أي بصوت «س» أو «ش») كما في السنسكريتية أو الهندية أو البنقالية). وهذا كان التقسيم العريض

(1) كلمة «سنتوم» Centum هي كلمة لاتينية لـ «مائة»، والكلمة «ساتم» Satem هي الكلمة الأفرتية Avertan المقابلة لـ «مائة». هذان المصطلحان مستخدمان للإشارة إلى مجموعتين فرعيتين واسعتين بين اللغات الهندية-الأوروبية كما يصفها النص.

الأول. ومما يثير الاهتمام أن اللغات البلطيقية-السلافية، والأرمنية، والألبانية واللغات الهندية- الإيرانية (أي الإيرانية مأخوذة مع الفصائل الهندية-الآرية)، جميعها فروع مختلفة لمجموعة «الساتم». بينما تندرج تحت مجموعة «السنتوم» الجارات الأوروبيات، أي اللغات الهندية-الأوروبية، الإغريقية، الإيطالية القديمة Italic[1] (أي اللاتينية ولغات الرومانس) والجرمانية، والسلتية...إلخ. هذا يعني أن مجموعة اللغات السلافية في جوانب معينة هي التي كانت تتشابه في الأصل مع لغات الهند وإيران، أما تشابهات اللغات السلافية والألبانية مع اليونانية والألمانية،..إلخ، فظهرت لاحقاً نتيجة للاحتكاك المتبادل.

قدوم الشعوب الآرية إلى الهند

ثانياً، ربما انتقل المتكلمون بمجموعة «الساتم» من الهندية-الأوروبية (أو ربما الهندية-الحيثية) من روسيا الجنوبية عبر أرمينيا باتجاه إيران، والهند في وقت لاحق، أو لعل فرعاً من مجموعة «الساتم» (أي السلافية) ذهب إلى روسيا، بينما توجّه الفرع الآخر إلى إيران والهند عبر أرمينيا نفسها. هذا الموضوع لا يزال محل جدل. وعلى الرغم من ذلك، فإن، ما نحتاج إلى معرفته هو دخول الآريين/ الهنود-الأوروبيين إلى الهند وتوسعهم. نستنتج من أدب الفيتا أن الآريين،

(1) نجد مصطلح «الايطالياقية» كترجمة للمصطلح الأجنبي Italic، وهذا تعريب من خلال نقل الحروف اللاتينية إلى العربية، والأولى بنا لو نترجمه بـ«الطليانية» لنميز الايطالية القديمة عن «الايطالية» الحديثة Italian. [المترجم]

عندما دخلوا الهند، تحاربوا مع الداسا Dasas (العبيد) أو الداسيوس Dasyus (قطاع الطرق). ومن المحتمل أن كلمة «داسا» كانت اسماً لمجموعة إثنية، وأن كلمة «داساتفا» Dasatva (عبودية) نشأت في أثناء حالة البؤس التي وصلت إليها هذه المجموعة بعد هزيمتها ومنذ ذلك الوقت وما يليه، ربما عانت فصائل أو مجموعات مهزومة أخرى من مصير مماثل، ومن ثمّ أطلق عليها النعت «داسا» (عبد). كانت وسائل نقل الآريين الرئيسية الحصان، والثور، والمِعْجَلة. لذا فقد اعتادوا السفر/ التحرك بسرعة. وبما أن تربية الحيوانات كانت الوسيلة الأساسية في العيش، لم يكن لديهم نقص في الطعام، سواء أكان عند النصر أم الهزيمة. ومن جانب آخر، بعض الناس الذين عاشوا في الهند آنذاك كانوا متحضرين ومدنيين ويعتمدون على الزراعة في العيش كما كانوا لا يعرفون كيفية ترويض الخيول ولهذا عانوا الهزيمة في الحروب، والسبب تحديداً أنهم كانوا معتمدين على الزراعة. وقد عاش كثير من الهنود الآخرين في الهضاب والغابات، وكانوا فقراء، ولم يكونوا على دراية بإنتاج الطعام، حيث وجدوا من السهل عليهم جمع الطعام في الغابات. لم يكن «الآريون» بالتأكيد تواقين إلى حرمان ساكني الغابات وجامعي الطعام هؤلاء من أماكن إقامتهم، بل إن المتحضرين أصحاب الزراعة المزدهرة هم الذين تم طردهم. استطاعت القبائل «الآرية» أن تقهر بسهولة المزارعين من خلال تحطيم مزارعهم ونظام الري. وقد اتخذ الآريون

الزراعة وسيلة للعيش، جنباً إلى جنب مع تربية الحيوانات (بحسب د. كوسامبي Kosambi). وقد أنشأ متكلمو «الآرية» على الأرجح مستوطناتهم في بداية الأمر عند الحدود الشمالية-الغربية، وبعد ذلك تقدموا شرقاً على السهول. كانت الغابات لا تزال تغطي معظم هذه المناطق، وكانت المساكن متناثرة. وبوسع المرء الافتراض بأن كل قرية احتوت على 20–25 شخصاً فقط. عندما بدأ الآريون التناثر في الأقاليم الجديدة والحديثة في مجموعة بعد أخرى، توسع تفاعلهم مع الشعوب الخاضعة لهم في هذا القطر، وصار التعارف معهم محبوباً شيئاً فشيئاً. جلب «الآريون» معهم المستوطنين الأوائل، المتحضرين والهمجيين، تحت ضغط مجتمعاتهم، وكان اختلاط الدم [بالزواج] شيئاً حتمياً. وقد فرضت اللغة المهيمنة للفئة المنتصرة والنافذة، نفسها بشكل كامل تقريباً على متكلمي اللغات الأخرى. وتدريجياً، بدأ الجميع، باستثناء الأديفاسيين (المستوطنون الأصليون) في شمال الهند، يتكلمون اللغة «الآرية». من الطبيعي أن اللغة الآرية المنتصرة لم تتمكن من تحصين نفسها من الاحتكاك بلغات المستوطنين الأقدم. ولعلها بعد ذلك قبلت، برضاها، المصطلحات الدارجة للفواكه والخضراوات، والحيوانات والصناعات اليدوية للحياة اليومية والتي كانت وطنية في هذه البلاد. ولاحقاً، اعتمدت بوعي أو بغير وعي، كثيراً من العادات والتقاليد، إلى جنب بعض مفردات اللغة، وبعض الأفكار القائمة أيضاً. وسيكون استقصاء التأثير الدراويدي وتأثير

المونديه على اللغات الهندية–الآرية وطريقة الحياة، مجالاً بحثياً مميزاً في اللغويات وفي الأنثروبولوجيا أيضاً.

عصر الهندية–الآرية القديمة

أمضى المتكلمون «بالآرية»، زمناً في تأسيس هوية جديدة لأنفسهم حتى بعد قدومهم إلى الهند. وقد شكل ذلك المرحلة التاريخية الأولى لبداية اللغة الهندية–الآرية القديمة. تقدر هذه الفترة تقريباً من 1000 ق.م إلى 500 ق.م. عندما بدأت (قرابة 1000 ق.م) كانت الفيدا لا تزال قيد التأليف. وعندما انتهت (قرابة 500 ق.م) لم يكن قد تم الانتهاء من تأليف الأوبانيشاد. الخط الجديد في الفكر والاستبطان والتصوف المرئي في الأوبانيشاد، لا يوجد له مقابل في الهندية–الآرية أو النصوص الهندية–الأوروبية السابقة له. ورغم التميز في الأفكار، فإن الأوبانيشاد كتبت بلغة القادمين الجدد من الهنود–الآريين فقط، ويستثنى من ذلك القليل من الكلمات والصيغ القواعدية. الصيغة الأقدم للغة الهنود–الآريين القدماء موجودة في نصوص الفيدا، وفي الأساس في ترانيم الريقفيدا Rgveda Suktas. والنقوش الميسينية الموجودة في بوغاز–كوي أقدم منها، ولكنها غير مهمة في كميتها أو مدلولها (التاريخي). وبدلاً من ذلك، فإن لغة الأفيستا في إيران هي أوثق أقارب اللغة الهندية–الآرية الفيدية. تقارن الأشعار الروائية، أو «القاؤوا» GaOa، للأفيستا بتلك الموجودة في

الريقفيدا. ويشغل المركز التالي بعد الأفيستا مباشرة دليل لاحق للغة «الآرية» الإيرانية»، التي تعرف بالفارسية القديمة، يوجد على النقوش الصخرية والمعدنية للأباطرة الأخمينيين. وللغة الأفيست واللغة الفارسية القديمة، عدد من التشابهات مع الهندية–الآرية القديمة، لأن هاتين الفصيلتين الفرعيتين (من الهندية–الإيرانية) ظهرتا إلى الوجود جنباً إلى جنب ذات يوم في إيران. وثمة اختلافات أيضاً، فعلى الرغم من أن الهنود–الإيرانيين تكلموا اللغة نفسها، فقد كانت هناك التقسيمات القَبَليّة في أوساطهم، حتى إن العلماء يعتقدون أن هؤلاء البشر «الآريين» قدموا إلى الهند في مجموعات متتالية بكل لهجات قبائلهم المختلفة. في ما يلي سبب ما يرونه:

1– بعض الآثار السامية لما أمكن للهنود–الآريين التقاطه على طريقهم (في بلاد ما بين النهرين) حتى قبل قدومهم إلى الهند، وهناك أيضاً دليل على ارتباطهم بالهنود–الإيرانيين. هذه لم تنشأ في الهند كما أنها ليست ابتكارات هندية.

2– آثار قليلة تقدم الشواهد على القبائل ولهجات القبائل في أوساط الهنود–الآريين.

3– هناك أيضاً علاقات كثيرة تعكس المحيط الطبيعي للبنجاب، بما في ذلك سماؤها، وهواؤها، وأنهارها، ومياهها، وسحابها. هذا يشير، في أقل تقدير، إلى أن تراكم، وممارسة الفكر الفيدي قد حدثا في جو/ مناخ هندي. ربما قد تحقق هذا

التراكم والتجميع/التشفير سنة 1000 ق.م، وقام باستكماله القديس العظيم كريشنا دفايبايانا Dvaipayana (فياساديفا Vyasadeva)، ابن براشار Parashar الناطق بالآرية، والبنت غير الناطقة بالآرية لصائد أسماك.

لغة نصوص الفيدا هي المثال النموذجي على الهندية-الآرية القديمة، وهي أقدم لغة معتمدة في الهند. مع مرور الزمن، تغيرت اللغة أكثر فأكثر، وبدأ الهندو-الآريون يوسعون نطاق تحرّكهم من الشمال Udici وحتى البنجاب، عبر الوسط Madhyadesa حتى وصولهم إلى الشرق Pracya. وهكذا أظهرت لغتهم السمات الإقليمية. وعليه، بعد 500 ق.م، يبدو أن الصيغة اللغوية للهندية-الآرية القديمة قد اضمحلت. لقد تغيرت اللغة. اللغة في أجزاء البراهمانا Brahamana، في نصوص الفيدا، هي من نوع مختلف قليلاً عن تلك التي في أجزاء السامهيتا Samhita، وربما يطلق عليها «مرحلة البراهمانا»[1] للغة الفيدية. لغة الأوبانيشاد، مرة أخرى، مختلفة أكثر بقليل. وبالأخذ بجميع الأشياء، فإن العهد الفيدي (1000- 500 ق.م) هو عهد الهندية-الآرية القديمة. يمكن أن نسمي

(1) اوضحنا أن الفيدا تتألف من أربعة نصوص كبرى: الريقفيدا، والياجور، والساما، والأثارفا. يتألف كل نص من أربعة أجزاء هي (1) المانترا أو السانهيتا، الابتهالات أو الترانيم الاستهلالية، (2) البراهمانا وهي مجموعة أقوال يتم جمعها عمن لهم إلمام بالبرهمان أو بالحقيقة النهائية وتهتم بالكثير من الطقوس والقرابين، (3) أرانياكا aranyaka أي نصوص الغابات التي يقدمها الرهبان المنعزلون في الغابات، وأخيراً، (4) الاوبنشاد التي تتعلق بالرقى والأسرار والأمور الروحانية المبهمة. [المترجم]

هذه اللغة الفيدية «السنسكريتية الفيدية» Vedic sanskrit بحسب لغة العامة، لكن يتوجب علينا أن نتذكر بأنها لم تكن «السنسكريتية» بالتحديد. من الكلمة «سامسكرتا» Samskrita «مثقف» «مصلح»، تسهل معرفة أن السنسكريتية (من سامسكرتا) الصيغة المتأنية المصفاة للغة. عندما رمّزت وثبّتت هذه الصيغة حوالي 500 ق.م، كانت قد تغيرت اللغة الفيدية، وبدأت تظهر مستويات إقليمية مختلفة. وعليه، كان الشعور بالحاجة إلى المحافظة على نقاء اللغة. في ذلك الوقت، اعتُبرت لغة المنطقة الشمالية (الأوديسية) الصيغة المثلى للغة. وقد تم إفسادها في الإقليم الشرقي، لذا جرت محاولة لتأسيس صيغة ملمعة ومصفاة (Samskrta) من الأوديسية (الشمالية). الشخص الذي أنجز هذه المهمة (حوالي 500 ق.م) كان بانيني Panini. ولد في شلاتورا Salatura، وهي قرية في مقاطعة الآتوك Attock في باكستان الحديثة. ولعل شانكارا Sankara المولود في شبه قارة جنوب آسيا هو الشخص الوحيد الذي يماثله في العقلية. بانيني هو النحوي الأكثر شهرة في العالم. الإغريق، ونحويون قدماء آخرون، يبدون كالمبتدئين إذا ما قورنوا به. كتب قواعده على أساس لغة «الأوديسي» نفسها، وهذه كانت القواعد الأصلية للسنسكريتية. يتمسّك البعض بأن «السنسكريتية» لم تكن لغة منطوقة على الإطلاق، لكنها كانت صيغة للغة مثالية أو مُصطنعة. ورأى آخرون خلاف ذلك، أن السنسكريتية شكل للغة المنطوقة في المنطقة الأوديسية (الشمالية). لكل لغة صيغة

فصيحة نسبياً (مُصفّاة) لا يمكن القول إنها «مُصطنعة». على أي حال، لقد ذكرت لتوي أن الاسم المعترف به علمياً للغة الفيدية هو الهندية-الآرية القديمة (أو OIA اختصاراً)، وأنه ليس من الخطأ تسميتها السنسكريتية الفيدية. التركيبة (النحوية) لهذه اللغة الفيدية معقدة شيئاً ما (قارن: ODBL, Bhashar ltibrtta, p. 89). يمكننا استرجاع واحد أو اثنين من الابتهالات الفيدية أو المانترا Mantras. (الكلمات مكتوبة منفصلة، من دون «المد»، من أجل القراءة الملائمة).

om bhur bhuvah svah

tat savitur varenyam bhargo devasya dhimahi

dhiyo yon a pracodayat.[1]

«نتضرع بالأرض والأجواء والسماء،
أن تتوسط لنا يا إله – الشموس،
يا مهيب السناء،
لكي يلهمنا عبر الفكر»

asato ma sad gamaya

tamaso ma jyotir gamaya

mrtyor ma amrtam gamaya.

(1) الترجمة الإنجليزية للقياتري-مانترا Gayatri-mantra (التي توقّر «بأم الفيدا») مبنية في جزئيتها على ترجمة باشام في «الأعجوبة التي كانت الهند». الاسم Savitre «سافيتر» اسم آخر لـ «الشمس-الرب». A. L. Basham in Basham (1954) The Wonder that was India, p. 162 (New York: Macmillan).

«أرشدني من الشر إلى الخير
اهدني من الظلمات إلى النور
قدني من الموت إلى الخلود»[1].

عهد الهندية-الآرية الوسطى:

عصر اللغات البرقريطية (500 ق.م-1000 ب.م)

عندما جرت العادة على حفظ الابتهالات الفيدية بعناية، بذل جهد أيضاً للحفاظ على النطق السليم. لكن اللغة العامية المنطوقة، واصلت تحوّلاتها: يوجد ذكر لهذا حتى في أدب الفيدا. على سبيل المثال، في الشرق (براسيا) كان يقول الهنود-الآريون «آلاياه» alayah (أعداء) بدلاً من «أرأياه» (جمع «أري» ari، أي عدو) —يمكن الإفصاح بأن نطق «ل» l محل «ر» r كان خاصية بإقليم البراسيا في ذلك الوقت (أيوديا وبيهار في الوقت الحاضر). لا نزاع في أنه حوالي هذه الفترة وصلت المرحلة القديمة إلى النهاية، وبدأ عهد الهندية-الآرية الوسطى، عصراً يمكن لنا أن نسميه (عهد اللغات البراكريتية). في هذه الفترة، كان الشعور بالحاجة إلى «السنسكريتية»، من أجل الإبقاء على نقاوة اللغة (أي فصاحتها). وعلى ذلك استمرت دراسة السنسكريتية منذ ذلك الحين، ولم تنتهِ حتى الآن. هذه اللغة السنسكريتية كانت دوماً لغة التواصل والخطاب الثقافي لعلماء بلاد شبه القارة

(1) هذه الترجمة إلى العربية للنص الإنجليزي ترجمة لم تؤخذ من أي مرجع وتعد أصيلة في هذ الكتاب. [المترجم]

الواسعة، وكانت عادة لغة الإعلانات التي يصدرها الملوك. طبعاً، لم تكن بصراحة اللغة الأم لأي كان. وقد حمل المبشرون البوذيون والهندوس، والمستعمرون في تلك الأزمنة، هذه اللغة إلى كل أنحاء شبه قارة جنوب آسيا، لا بل أيضاً إلى جاوا، وسومطرة، وأماكن كثيرة في «الإنديز الشرقية» East Indies، إلى تشامبا، وكمبوديا، وسيام، وفي اتجاه آخر، إلى آسيا الوسطى، وإلى منغوليا إلى حدٍ ما، وإلى التبت، والصين، وكوريا، وحتى إلى اليابان. والفكرة التي تمسك بها السيد وليام جونز وعلماء آخرون أن السنسكريتية وهي لغة تتميز بحياتها وعظمتها لم تأت في الواقع من فراغ. فقد استمرت لغة الناس المنطوقة في التغير، وعاشت تقاليد ومُثُل اللغة الهندية-الآرية القديمة في شبه قارة جنوب آسيا عبر دراسة السنسكريتية. اللغات المنطوقة في هذه المنطقة أثرت نفسها، عبر العصور، من خلال استعارة الكلمات والصيغ من السنسكريتية، ولا تزال مستمرة في ذلك. ومن ناحية أخرى، قبلت كلمات محلية غير آرية، وحتى كلمات أجنبية دخيلة تجري على الألسن، في السنسكريتية في مرحلة متأخرة. إلا أنه مع كل ذلك، لم تتأثر البنية القواعدية للسنسكريتية.

يعتبر الألف وخمسمائة عام من 500 ق.م إلى 1000 ب.م عهد الهندية-الآرية الوسطى، أو عهد اللغات البراكريتية. لا حاجة إلى القول: إن اللغة تغيرت طوال هذه الفترة. هذا العهد الكبير، إذاً، يتطلب التقسيم تاريخياً إلى مراحل، وأيضاً إلى التحديد جغرافياً وفقاً

للتنوعات الإقليمية في (لهجات) اللغة. هذه المراحل هي:

1- المرحلة الهندية-الآرية-الوسطى الأولى : 750- 200 ق.م

2- المرحلة الهندية-الآرية-الوسطى الانتقالية: 200 ق.م- 200 ب.م

3- المرحلة الهندية- الآرية- الوسطى الثانية: 200- 500 ميلادية.

4- المرحلة الأخيرة للبراكريتية: الأبابرامشا Apabhramsa : 500- 900.

ملاحظة أخرى: مثلما استمر البوذيون الجنوبيون في دراسة لغة البالي Pali[1]، استمر اليانيون دائماً في كتابة نصوصهم المقدسة بنوع «الأرذا-ماقاذية» Ardha-Magadhi من «البراكريتية الشرقية». كانت هذه آنذاك البراكريتية المنطوقة في إقليم أيوديا Ayodhya حاضراً، أو أتاربرادش الشرقية، وهي سلف بعيد للهجة الأواذية اليوم Awadhi. النقطة الثالثة هي: ألم يتحرك مركز قوة الحضارة الهندية-الآرية بعيداً من الإقليم الشمالي؟ على المؤرخين أن يحللوا الأسباب العلمية لازدهار إمبراطورية المقاذا. ولكن المقاذا حقّقت البروز منذ بداية دولة حكام الناندا Nanda نتيجة لتأسيس الإمبراطورية، واكتسبت الأهمية لغة الماقاذا البراكريتية الشرقية. يدرك المرء من دليل تم توثيقه مؤخراً أن البراكريتية الشرقية لم تستطع توطيد نفسها

(1) تعتبر لغة «البالي» واحدة من اللغات البراكريتية، وتعد من أعظمها نتيجة لكتابة التعاليم البوذية بهذه اللغة. [المترجم]

في حياة المثقفين. تحقق هذا مع البراكريتية المادياديشا (الوسطى) madhyadesa، وتحديداً البراكريتية الشوراسنية sauraseni. وكان مركزها الحضري الرئيسي مدينة ماثورا Mathura، التي تحتل مساحتها السوراسينا وشكّل الدواس، أي ما بين النهرين، نهر القانقا، ونهر اليامونا Yamuna قلب المادياديشا. يلاحظ المرء الأهمية الموصولة للبراكريتية الشوراسنية مباشرة بعد نهاية الفترة البراكريتية الانتقالية (200 ب.م). وربما لم تكن غير مهمة حتى خلال الفترة الانتقالية.

مرحلة البراكريتية الأولى: 500(؟) ق.م–200 ق.م

يقال: إن المرحلة البراكريتية الأولى (أي الفترة الأولى للهندية–الآرية الوسطى) استمرت من 500 ق.م إلى 200 ق.م. اللغات البراكريتية، أو (المرحلة الأولى) من براكريتية فترة الهندية–الآرية الوسطى، لم تأت بطبيعة الحال إلى هذا العالم في زمن أو تاريخ محدد في 500 ق.م. وبالمثل لم تلفظ أنفاسها الأخيرة فجأة في 200 ق.م. يرى الناظر، علامات.. بدايتها في تاريخ يقدر بنحو 750 ق.م، فيما لم تكن فترة الهندية–الآرية قد انتهت بعد. وبدأت تتلاشى بالطريقة نفسها نحو 200 ق.م. هذا ما يحدث بالفعل في حال اللغات. كان عصر البراكريتية المبكّر قد بدأ بالبزوغ في زمان بوذا ومهافيرا Mahavira، وأفل، أو غاب لتوه، خلال دولة الملك آشوكا Asoka، عندما لاح دخول المرحلة الانتقالية. ثمة ثلاثة أنواع إقليمية رئيسية

تعرف بالبراكريتية في المرحلة الأولى هذه: نوع لغة الأوديسيا، أو المناطق الشمالية، ونوع لغة المادياديشا، أو المناطق الوسطى، ونوع لغة البراسيا، أو المناطق الشرقية.

فترة البراكريتية الانتقالية: 200 ق.م–200 م
أو (فترة الهندية–الآرية الوسطى الانتقالية)

ثمة ما يثبت براكريتية الفترة الانتقالية، التي حلت بعد المرحلة الأولى على شكل مراسيم الملك آشوكا، ونقوش حجرية قليلة أخرى. سنضع مراسيم آشوكا — المكتوبة بداية بالحرف البراهمي العتيق الذي يعد أقدم الخطوط قاطبة في تاريخ أنظمة الكتابة الهندية بعد موهنجو–دارو—جانباً هنا. كان الملك آشوكا إمبراطور ماقاذا وعاصمتها باتالي بوترا، Pataliputra. لذا من المرجّح أنه كان يتكلم البراكريتية الشرقية «(البراسيا)»، ويحتمل أن لغة البلاط كانت المقاذية البراكريتية آنذاك، وهي صيغة قديمة من البراكريتية الشرقية. ومع ذلك، أمكن وجود مراسيم آشوكا، بدءاً بالماقاذا شرقاً، وربما حتى آسيا الصغرى شمالاً. مراسيم الحدود البعيدة، مكتوبة باللغتين والحروف الآرامية والإغريقية، وبالطبع بالبراكريتية والحرف البراهمي أيضاً[1].

(1) أشارت التقارير إلى ستة نقوش آشوكية موجودة في الناحية الشمالية الشرقية القصوى للإمبراطورية الاخيمية القديمة في أفغانستان وباكستان حديثاً. (Peter T. Daniels and William Bright, eds., 1996: The World's Writing Systems, 100, 151, New York: Oxford University Press).

في الهند، كانت تكتب بأي من الأنظمة الكتابية المختلفة التي كانت سائدة في الأقاليم المتفرقة. طلب آشوكا أن تنحت مراسيمه الملكية بمقدار من البراكريتية الشرقية مع الصيغة اللغوية الدارجة بالإقليم. وهذا يقودنا إلى الاعتقاد أنه لا يزال هناك تفاوت بين النظم الكتابية في شبه قارة جنوب آسيا. كان هناك تباين لغوي أيضاً، ولم يفكر آشوكا بفرض لغة قومية مكتوبة بالسنسكريتية[1] في هذه الأرض الشاسعة. الصيغ الإقليمية التي أخذتها اللغة البراكريتية يمكن أن نراها في مراسيم مثل مراسيم شاهباجري Shahbazgarhi ومانسيرا Mansehra في الشمال الغربي (المنحوتة بالحرف الخروصطي Kharoshthi)، وفي جيرنار Girnar في الجنوب الغربي، وفي كالسي في الإقليم الأوسط الشرقي، وفي دوالي Dhauli وجاوقودا Jauguda (أو جاوقورا) في الشرق.

مرحلة البراكريتية الوسطى: 200–500 م

بدأت مرحلة جديدة أخرى للبراكريتية نحو 200 ميلادية، وهذه هي المرحلة «الوسطى» أو الثانية للبراكريتية. ويمكن تقسيمها بدورها إلى مراحل أو مستويات، لكننا لا نحتاج إلى ذلك هنا. كلمة مثل «مرقا» mrga (سنسكريتية، هندية-آرية قديمة) تعني «حيواناً، غزالاً»، أصبحت «ماقا»

(1) يبدو أن المؤلف يقصد لغة مكتوبة من الهندية-الآرية القديمة. لاحظ أن البراكريتية الآشوكية هي في مرحلة مبكرة من الهندية-الآرية الوسطى.

maga (في الهندية الوسطى): خلال هذه الفترة أضعف الصوت «ق» g ومن ثم تحول ليصبح الصوت «ء» h[1]: maga à mara/ mag→ ma(h) a. كما تحولت الكلمة «روبا» rupa (هندية-آرية وسطى) التي تعني «الشكل» الجمال» rupa à ruva → ru(h)a. يجد المرء الحالات نفسها مع البراكريتية في الشعر والدراما السنسكريتيين. ومع ذلك سيكون من الملائم أن نسميها البراكريتية الأدبية، بمعنى أننا نجد في الأساس عدداً محدوداً من التنوّعات التقليدية البراكريتية، أو اللهجات البراكريتية، كما تم ذكرها أو استعمالها هنا. وفي كتاب للقواعد في فترة لاحقة، ذكر «فراروشي» Vararuchi أسماء وصيغ أنواع اللغات «البراكريتية» وخصوصاً المهارشترية، والشوراسنية، والأرذا مقاذية، والمقاذية، والبيشاشية Paisaci. ويبدو من المحتمل أن البراكريتية كانت قد شهدت تحولاً أكبر في ذلك الوقت، لذا حرص «فراروشي» على ترسيخ صيغ نموذجية قليلة حتى للبراكريتية. في هذه الأثناء، أوجد الكتّاب المسرحيون معياراً لغوياً في عالم الدراما. تكلمت الشخصيات في المسرحية بحسب مراتبهم الاجتماعية في الحياة: كانت لغة الرجل المثقف من نوع اللغة الفصيحة، بينما كانت لغة المرأة المثقفة من النوع الأنثوي الذي يقل درجة واحدة في السلّم الاجتماعي، في حين كانت لغة الأغاني تُنظم بنوع عذب الإيقاع،

(1) مصطلح «الصوت-h» مستخدم هنا لالتقاء حروف الأصوات، أو الهمز slight pasuse، في صوائت الكلمة البراكريتية maa [ماء].

ولغة عامة الشعب تُنطق بلهجة «الطبقة الدنيا» المحتقرة. كانت هذه الأعراف على خشبة المسرح تصاغ وفقاً لما هو سائد مع رؤى الجمهور. لم تطابق جميعها الواقع، مثلما لا تعكس اللهجة البنقالية (الشرقية) ولهجة «السنتالية» الموجودة في الدراما البنقالية، الواقع على الإطلاق، حيث لا تلقيان القبول سوى لدى الجمهور الموجود.

كانت ضُروب البراكريتية الرئيسية في هذه المرحلة من الهندية-الآرية الوسطى كما يلي:

1- البراكريتية «الشوراسنية»، وهي لغة إقليم «المناطق الوسطى» حول ماثيورا: يجد المرء أن الملكات ورجالاً غير متعلمين من المراتب العليا هم الذين تحدثوا بهذا النوع. كان يفترض بالملوك التَكلُّم بالسنسكريتية، ومع ذلك فقد تكلم المسنون بالشوراسنية.

2- البراكريتية «المهاراشترية»، وهي شبيهة بالشوراسنية، وربما كانت المرحلة المتأخرة للشوراسنية، حيث نجد تشابهاً صغيراً مع اللغة المهارشترية القديمة (سلف الماراثية) في هذه البراكريتية. وبحسب أعراف خشبة المسرح، كانت هذه لغة أشعار الأغاني، وقد يعزى السبب إلى كثرة الأصوات المتحركة [الصوائت] فيها.

3- البراكريتية «المقاذية»، التي تكلمها عامة العمال، والمشتغلون على خشبة المسرح، كما هي حال الصيادين في مسرحية

«شاكونتالا» Sakuntala لكاليداسا Kalidasa.

4- البراكريتية «البيشاشية»: توجد شكوك حول المكان الذي استخدمت فيه هذه اللغة، لأن البعض يقول: إنها استعملت في كشمير، والإقليم الشمالي الغربي على الحدود، بينما استخدمت وفقاً لآخرين، في غابات إقليم فينديا (بوسط الهند). وبحسب أعراف خشبة المسرح، كان يفترض بالأشرار، وقطاع الطرق أن يتكلموا بالبيشاشية. ومع ذلك لا يوجد دليل نصي مكتوب على البيشاشية. أوردت التقارير أن «البرهات-كاثا» لقوناذيا Brhat–katha (الحكاية العظيمة) قد كتبت بهذا النوع من البراكريتية، إلا أنه لم يتم العثور على «البراهات-كاثا» حتى الآن.

نجد ذكر نوع أو نوعين من البراكريتية، فأياً كانت تقاليد خشبة المسرح، وسواءً حظيت بالاعتراف في القواعد النحوية أم لم تحظَ به، فاللغة كانت في تغير مستمر في الأقاليم المختلفة، وكانت إلى جانب ذلك تأخذ المسميات الإقليمية.

مرحلة البراكريتية الأخيرة: الأبابرامشا 500–900 م

مع مرور الزمن، وصلت المرحلة الثانية إلى نهايتها، وبدأ فجر المرحلة الثالثة، أو الأخيرة. براكريتية هذه الفترة تسمى

«الأبابرامشا»[1] واستمرت مرحلة الأبابرامشا هذه حتى 900–1000 ميلادية. بعد ذلك التاريخ في أقاليم معينة (بين 900 و1300 ميلادية) ظهرت لغات الهند الحديثة. يشير علماؤنا إلى هذه اللغات الهندية الحديثة بمصطلح «بهاشا»، وإلى لغات هذه المرحلة البراكريتية بمصطلح «أبابرامشا». في الوصول من «البراكريتية» إلى مرحلة «البهاشا»، توجب على جميع اللغات البراكريتية عبور مرحلة «الأبابرامشا» مبكراً. إلا أنه لسوء الحظ، لم تحفظ كل حالات الأبابرامشا اللغوية كتابةً. «الأبابرامشا الشوراسنية» هي الوحيدة التي نجد لها دليلاً مكتوباً، والسبب في ذلك أن إقليم المناطق الوسطى (مادهياديشا) بقي على حاله مركزاً لحياة المجتمع الهندي من بعد الماوريين مباشرة Mauryas، ولأن «الأبابرامشا الشوراسنية» سلف «البراكريتية الشوراسنية»، فقد حظيت بنوع خاص من الهيبة والمقام في كل مكان، وأصدر حكام الراجبوت Rajput، وملوك الهند الآخرون، بلاغاتهم الرسمية بالسنسكريتية، أو كتبوا جداول أنشطتهم الملكية بالأبابرامشا الشوراسنية. وقد تواصلت بعد مضي فترة الأبابرامشا، ممارسة تأليف الشعر وما شابه باللغة الأبابرامشية — من البنجاب وراجستان إلى قاودا وفانقا Vanga. في التجمعات العلمية، المصطلح شائع الاستخدام في هذه اللغة هو «الأفهاتا» Avahatta،

(1) يمكن نطقها أيضاً «آبابرامسا»، ويفضل الهنود أن تنطق هكذا، لعدم شيوع صوت «ش» في معظم اللغات الهندية. [المترجم]

بينما الاسم الرسمي هو «الأبابرامشا الشوراسنية»، علماً أنه لم يتم العثور على صيغ المقاذية من الأبابرامشا الشوراسنية وصيغ أخرى للأبابرامشا، وكذلك أنواع البراكريتية الأخرى، إنما يكون تقديرها بالحدس والتخمين. ما يمكن تصديقه، على سبيل المثال، هو أن النص البنقالي (القديم) «تشاريابادا» كتب في المرحلة الأخيرة من المقاذية الأبابرامشية وليس بالشوراسنية. وكتبت رائعة «الدوها–كوشا» Doha–Kosha، للشاعر كانهاتشريا، بالأبابرامشية الشوراسنية. وكان تأثير الشوراسنية حاضراً أيضاً في «التشاريابادا»، بيد أن سمات المقاذية الأبابرامشية، وخصوصاً في لغات إقليم القاودا–فانقا، أكثر بروزاً من هذا التأثير. وبالمقابل، فإن «الدوها–كوشا» هي بلغة «الأفهاتا»، أو الأبابرامشا الشوراسنية، ولا جدال في ذلك. كان بإمكان المؤلف الواحد أن يكتب باللغتين، إذ لم يكن هناك اختلاف كبير بين اللغتين. كان فيدياباتي (1300ميلادية) Vidyapati يكتب باللغات الثلاث: السنسكريتية، والأفهاتا، والميثيلية (لأن الأبابرامشا المقاذية لم تعد شائعة الاستخدام، وأخذت في التشكل كبديل للبنقالية، والميثيلية، ولغات أخرى).

خلفية عن اللغات الهندية: «البهاشا»

إن القصة التي تروي كيفية تغيّر اللغة الهندية–الآرية القديمة على مراحل، وتطوّر نشأتها إلى اللغات الحديثة، أو البهاشا، قصة رائعة.

وللإحاطة الكاملة «بالبهاشا»، أي لغات الهند الحديثة، يتوجب على المرء التدقيق في خلفيتها بصحبة فقهاء اللغة، وفي التغيرات الملحوظة في نطقها، وفي القواعد وبناء الجملة، وفي ظهور واختفاء الكلمات، وفي أنواع البراكريتية في المراحل الأولى، والانتقالية، والثانية، والثالثة. ولعل تفحص هذه التغيرات مدعاة للسعادة. يمكن للمهتم أن يراجع هذه التغيرات في التأليف المرجعي الضخم لسونيتي كومار شترجي، وتحديداً ODBL. الجملة المقدمة أدناه، كمثال، ستلبي فضول القارئ على المستوى العام. جملة المثال السابق يعاد النظر فيها مرة أخرى، (قارن LLMI، pp .70–71).

1– المثال باللغة الفيدية (قرابة 1000 ق.م).

manusah kasyacid dva sunu astam

«رجل ما اثنان ولدان كانا»[1]

2– مثال بالسنسكريتية (الكلاسيكية) (قرابة 500 ق.م)

kasyacid manusyasya (janasya, manavasys) dvau putrau astam

«نوع لرجل (لرجل، لرجل) اثنان ولدان كانا»

3– مثال من البالي (قرابة 200 ق.م)

ekassa manussassa duve putta asuma

«أحد لرجل اثنان أبناء كانا»

4– مثال من الشوراسنية البراكريتية (قرابة 200 ميلادية).

ekassa manussassa (manavassa) duve putta asi

«أحد لرجل (لرجل) اثنان أبناء كان/كانا»

5– مثال من الشوراسنية الأبابرامشا (قرابة 900 ميلادية)

ekkaha manussaha duvi (do) putta ahanta

«أحد لرجل اثنان (اثنان) ابنـ(اء) كانا»

عند التحليل، حتى بوجود دليل محدود كهذا، يجد المرء أن الأصوات المنثنية تظهر أكثر فأكثر في النطق، تبسيطاً للأصوات العنقودية (sya → ssa → ha) (مثلاً «فيديوت» vidyut برق ← فيجو vijju)، والتصريفات الواقعة على الأسماء والأفعال خُفّضت (مثلاً: تبسطت تعقيدات صيغة الفعل وزمن الفعل).

الأمثلة أعلاه توضح نشأة براكريتية «المناطق الوسطى» (الماديايديشا). وبالإضافة إلى هذا، إذا أخذنا أمثلة من البراكريتية الشرقية (البراسيا) ومجموعة اللغات الشرقية وقارنا البراكريتية، والأبابرامشا ومراحل «البهاشا» للمجموعتين، فإننا سوف نصل إلى إدراك عدد قليل من الأمور الممتعة. على سبيل المثال أيضاً، في البراكريتية الشوراسنية الصوتان المتحركان a و â كانت لهما خاصية متشابهة.. الصوت الأول a قصير، والصوت الثاني â طويل ممدود.

(1) سنعطي دوماً الترجمة الحرفية، المقطع بالمقطع، لهذا المثال الوحيد مع جميع اللغات. سيلاحظ القارئ العربي أن قراءته (في العربية) من اليسار إلى اليمين ستبدو قريبة من التركيبة العربية لجملة «رجل كان له ولدان». [المترجم]

ومع ذلك، نعرف أنه في البنقالية الحديثة لا يوجد صوت متحرك قصير a: الصوت a يستبدل بصوت متحرك دائري مفتوح (يشبه أكثر نطق صوت aw في Law. ولهذا السبب تنطق Nanda مثل Nandaa بالإنجليزية في أتاربرادش والبنجاب. الصوت الأخير à يجب أن يكون صوتاً قصير المد a، لكننا، وأخص البنقاليين، نفسره مثل الصوت المتحرك الإنجليزي، وهكذا نقرأه كصوت طويل المد. (لاحظ أن الأصوات المتحركة في نهاية الكلمات، تنطق ممدودة في الهندية والبنجابية). نتيجة نقل الأصوات البنقالية إلى الإنجليزية بالحروف الرومانية، ظل العالم الحائز جائزة نوبل سي.في. «رامان»، (رومون) Romon وليس «رامان» Raman. ومن جانب آخر، إن الذين يحملون الاسم بارما/ فارما Barma/ varma أصبحوا بالنسبة لنا الآن «بهارما» Bharma. نحن نكتب Mitra «ميترَ» بينما الهنود الشماليون يكتبون الصوت الأخير بالمد à وينطقونه كذلك «ميترا». مرة أخرى، بينما نحن في شمال الهند ننطق R مثل ri فإنه ينطق مثل ru «رُ» في الجنوب (وفي أوريسا ومهاراشترا أيضاً). كلمة «كروبا» krupa هي «كريبا» kripa في شمال الهند، ولكنها «كروبا» krupa في جنوب الهند. نرى من خلال الأمثلة في الجمل أعلاه، أن الصوامت الثلاثة /ش، ص، س/ جميعها تصبح /س/ في المادياديشا (والبالي أيضاً)، وتنطق مثل s بالإنجليزية، وتنطق جميعها مثل /ش/ في إقليم البراسيا (الشرق).

اللغات الهندية-الآرية الحديثة:
المجموعات الفرعية (1000 م)

من بعد عصر الهندية-الآرية الوسطى، أتت فترة الهندية-الآرية الجديدة أو الحديثة (NIA): استمرت هذه الفترة تقريباً من 1000 ميلادية حتى وقتنا الحاضر. وهي تأخذ أشكالاً مختلفة في الأقاليم المتفرقة، وهذه بدورها مرت بمراحل مختلفة في حياتها الزمنية. ونقسمها في ما يلي بحسب الأقاليم (لاحظوا أن الهند وبنقلادش وباكستان تؤخذ مجتمعة هنا):

1) المجموعة الفرعية في الشمال-الغربي : (1) الهنديكية أو اللاهوندا Lahunda أو البنجابية الغربية (الهندية والباكستانية)، (2) السندية (موجودة في باكستان).

2) المجموعة الفرعية في الجنوب:(3) الماراثية و(إذا اعتبرناها مستقلة) الكونكانية Konkani مدرجة حالياً في الملحق الثامن للدستور الهندي.

3) المجموعة الفرعية في الشرق: (4) الأسامية، (5) البنقالية، (وتتفرع تشعباتها لتغطي باكستان والهند وبنقلادش)، (6) والأورية، (7) والبيهارية (تتكون من ثلاث لغات متداولة، وتحديداً المثيلية، والبهوجبورية، والمقائية) والسادانية Sadani، (8) الهلبية Halbi (المنطوقة في ناحية الباستار Bastar (مقاطعة

الآن)، تندرج معها المارائية المنطوقة في ماديابرادش، فعلاً من خلال صلة قربى مع الشاتيسغرية).

4) المجموعة الفرعية في وسط الشرق: (9) الكوشالية Koshali أو الهندية الشرقية، وتضم ثلاث لهجات (إقليمية)، وتحديداً الأواذية، والباغلية Bagheli والشاتيسغرية.

5) المجموعة الفرعية في الوسط:(10) الهندية الغربية، وتضم الهندية «البازار» العامية (الصيغة المنطوقة) والكاري-بولية Khari-Boli.. لغة منطقة دلهي Delhi، وهي دارجة كالهندية وتكتب بالحروف الناقرية، وكالاوردية وتكتب بالخط الفارسي-العربي[1]. (11) البنجابية (بما في ذلك الدوغرية Dogri المنطوقة في البنجاب الشرقية والأقاليم الجبلية من جامو Jammu). (12) الرجستانية-القوجراتية، ومنها اللهجات الفرعية: البهيلية Bhilli، والقوجراتية، والراجسانية والتي تحوي تشعبات فرعية من مثل المالفية Malvi، والمارورية Marwari، والجيبورية Jaipuri، والميوارية Mewari). إلى جانب هذه، هناك «السوراشترية» Saurashtri باتجاه جنوب الهند، و«القوجارية» Gujari، وهي لهجة فرعية في كشمير

(1) الأوردية معتمدة كلغة بحد ذاتها في الملحق الثامن للدستور الهندي.
ترجمنا هنا كلمة script «بالخط»، حيث إن نظام الكتابة في الفارسية والعربية والأوردية ولغات أخرى هو «الحرف» العربي، لذا لزمنا التفريق بين لفظي «الخط» و«الحرف»، بسبب وجود كلمة «فارسي» بجانب كلمة «عربي»، وهذا ليس تمييزاً، بل توخياً للأمانة العلمية. [المترجم]

والبنجاب.

6) المجموعة الفرعية الشمالية البهارية أو فصيل الهمالايا: (13) البهارية الشرقية Pahari أو «القوركالية» Gorkhali (تعرف أيضاً بأسماء «الخاسكورا» Khaskura، و«البارافاتية» Parvatiya، و«النيبالية» المنطوقة في الهند والنيبال). (14) البهارية الأوسطية، المعروفة باسمي «القاروالية» Garhwali، و«الكوماونية» Kumaoni. (15) البهارية الشرقية وتتكون من لغات إقليمية قليلة مثل «الشاميلية» Chameali، «والكولوية» Kului، و« المانديلية» Mandeali، و«السيرمورية» Sirmauri.

ويجب أن نتذكر زوجين من اللغات الهندية-الآرية المنطوقة خارج الهند.

7) السنهالية Sinhala (وتتدرج معها المالديفية (الديفية) Maldivi (Divehi))[1].

8) الروماني « Romani» أو لغة غجر آسيا وأوروبا وأمريكا. هؤلاء المتجولون الهنود الرحل قطعاً غادروا الهند قبل ظهور المسيح، بما أن كلامهم كان مبنياً على لهجة المرحلة الأولى للإقليم الأوديسي (الشمالي).

كان من المفترض أن تسود اللغتان البنقالية واللاهندا-السندية في

(1) تكتب Sinhalese أيضاً بالانجليزية، وإنني لأفضل أن يتم تعميم ترجمتها في العربية «بالسيلانية» المنطوقة في سريلانكا حديثاً، والمعروفة قديماً بسيلان عند العرب الأوائل، وتعرف بـ Sinhala باللغات الهندية. [المترجم]

باكستان، ولكن الهندوسيين الذين تكلموا هاتين اللغتين، وخصوصاً هندوس لاهندا والسند، تقريباً جميعهم قدموا إلى الهند بعد عام 1947. ويتوق متكلمو هذه اللغات من المسلمين إلى استخدام الأوردية كلغتهم الخاصة. والأوردية أيضاً إحدى لغات الهند الكبرى المهمة ويستعملها أيضاً مجتمع المسلمين هنا، وعلى الرغم من ذلك هناك هندوس يتكلمون الأوردية.

توجد أيضاً لغات أخرى مستخدمة في شبه قارة جنوب آسيا، ولا نعني بذلك الإنجليزية، والفرنسية، ..إلخ، وهذه تشمل «الداردية» Dardic: الكشميرية وهي ضمن المجموعة «الداردية»، وتندرج أيضاً (الشينا) أو «السينا» (Shina). وهناك لهجات فرعية قليلة تنتمي لإقليم الحدود الشمالية–الغربية. يمكن أن ندعو الداردية لغة هندية–أوروبية.. جزئياً هندية وجزئياً إيرانية، وتظهر الكشميرية بجلاء تأثير الهندية المهيمن. إلى جانب ذلك، فإن لغة الباشتو، التي تنتمي لفرع الإيرانية، واللغة البلوشية، لغتان رئيسيتان يتحدث الناس بهما في باكستان. العديد من هذه اللغات الهندية–الأوروبية المتفرقة هي لهجات إقليمية، ولهجات فرعية، وهناك الكثير من اللهجات الفرعية الصغرى. ومع ذلك، فقد كُتب الأدب ببعض هذه اللغات، وأصبحت ذات أهمية لمجموعة من الأسباب. بعض هذه اللغات تدرس في الجامعة، وبعضها مدرج في دستور الهند، مثل الأسامية، والبنقالية، والأورية، والهندية، والأوردية، والماراثية، والقوجراتية،

والبنجابية، والكشميرية، والسندية[1]. في باكستان، حققت لغة واحدة فقط، وهي الأوردية، هذا النوع من التفوق. وخارج كل هذا، تحظى النيبالية أيضاً بأهمية مُعتبرة في الهند، وعلى نحو ذلك، نذكر المثيلية والبهوجبورية..إلخ، على وجه الخصوص.

اتجاهات التحوّل العامة

تبحث اللغات الهندية–الآرية الجديدة الكبرى بشكل مستقل بالطبع، كما أنه لا يمكن الحديث عنها جميعاً بصورة كاملة. يمكننا فقط أن نتعرف عليها بشكل عام. قبل أن نخطو قدماً في هذه المهمة، يمكن أن نلخص بإيجاز التغيرات المهمة التي طرأت على اللغات الهندية–الآرية (قارن ODBL, pp.129-156: Bhashar, p. 89)، ليس الإنجازات الأدبية، ولكن التحوّلات اللغوية الكبرى. وعلى الرغم من أن التوجه العام هو نفسه، فإن كل مجموعة فرعية تملك الخصائص المميزة الخاصة بها، وهناك في الغالب بعض الاستثناءات، وعلى المرء ألا يغفل عن هذه الحقيقة بشأن التطوّر اللغوي.

إننا نعرف الحقيقة العامة. على سبيل المثال ما كان «تشاندرا» candra (قمر) في السنسكريتية، أو اللغة القديمة، أصبح «تشاندا» canda في البراكريتية، والآن «تشاند» cand في أماكن عديدة (مع إضعاف الصوت n ومن دون a في نهاية الكلمة) وفي أماكن أخرى

(1) في يناير عام 1947 تم تقسيم شبه القارة إلى باكستان الشرقية (بنقلادش حالياً)، وباكستان، والهند.، وقد بني على الاغلبية الدينية. [المترجم]

«شاد» cad (بغُنّة —الإدغام— كما في البنقالية)، و«شان» can (في البنقالية الشرقية). مرة أخرى، نقول «أنوندو» (أناندا ananda «فرحة»، في حين أن كل بيهار وأتاربرادش راضون بقولهم «آناند» anand. كانت الاتجاهات العامة للتحول كما يلي: الصوتان الصامتان، أو أكثر، الواقعان جنباً إلى جنب في وسط الكلمة اندمجا معاً في صوت صامت مشدّد ومن ثم أصبحا صوتاً واحداً، فقط مع تحول الصوت الصائت السابق لهما إلى صوت ممدود، كما في «مادهيا» Madhya (وسط): مجّها ⟵ ماجْه (majjha⟶ma:jh)؛ وأضاع الصوت الصامت في آخر الكلمة أي صوت صائت يأتي بعده في نهاية الكلمة (باستثناء لغة مثل الأورية). وقد تغيّرت صوامت كثيرة واقعة بين صائتين، بسبب النطق الكسول ومن ثم ضاعت. مثال: radha، radhika «رادها»، («رادها» اسم معشوقة كرشنا)، أصبح ra:r «رار»؛ والكلمة abhimanyu (ابهيمانيو، ابن لم يعش طويلاً لأرجونا Arjuna)، تحولت إلى aihan «آيهان» لتصبح حديثاً «آيان» ayan (آيان هو الزوج الفعلي لرادها)..إلخ. وهكذا، صارت الكلمات مصغرة قصيرة، أو مخففة ضعيفة، وهذه الصيغ المضعفة هي صيغ الصوت g «ق». مهما يكن الحال، ستثار الاعتراضات التالية: إننا نتعلم الأصوات الصامتة والصائتة في الوقت الحاضر، تبعاً لقوانين قواعد النحوي الهندي بانيني، ونصنفها وفقاً لكونها بلعومية (بتعبير أدق، حلقِية) أو تاجية (أي تخرج باللسان)، أو نطعية

[تلفظ بشراكة اللسان والأسنان]، وهلم جراً. بيد أن قاعدة لفظ هذه الرموز بالطريقة التي لُفظت بها في عهد بانيني، تغيرت بشكل كبير في الفترة القروسطية نفسها، بل تغيرت أكثر في يومنا الحاضر. وبالإضافة إلى ذلك، ظهرت عليها تمايزات زمنية مرحلية واستثناءات إقليمية. إننا معشر البنقاليين لا نعرف حتى أي صوت «قصير» مثل a [1]. هذا الصوت يبقى معنا كصوت aw (صائت دائري منخفض أوسط). أضف إلى أنه كيفما نكتبهما، فإننا عادة ننطق الصائتين الممدودين :i و :u كصائتين متمايزين [2]. بالمثل، تحدث التنوعات في حالة e، ai، o، au؛ واختفى الصوت w من البنقالية، وبغض النظر عن ذلك فقد تحول الصوتان [الحنكيان] ش، ج إلى «نطعيين» في البنقال الشرقية (بنقلادش حالياً). هذا حدث أيضاً في أماكن أخرى أيضاً، مثلاً في قانجام بأوريسا Ganjam، وفي الماراثية والقوجراتية وفي مناطق قليلة براجستان وبيهار أيضاً. في البنقال الشرقية، الصوت R المثني باللسان لم يعد مختلفاً عن الصوت r العادي، فإخراج الأصوات بمساعدة الأنف تم حذفه مع الأصوات الصائتة، وتمت إعادة ابتكارها في «تشيتاقونغ». مجموعات الصوامت مثل ksh، jn، hy تنطق بشكل مختلف عن الطريقة التي تكتب بها، ونحن نميل إلى

(1) من ناحية الكتابة الصوتية هذا هو الصوت /∂/ المنطوق في بداية الكلمة الإنجليزية about. ويشبه الهمزة المنصوبة أو الألف في بداية الكلمة المنطوقة سريعاً، مثل: أخ، أي. [المترجم].

(2) الصوت الطويل:i والطويل:u ينطقان في البنقالية بنفس طريقة نطق الصوتين القصيرين. [المترجم].

ملاحظة جميع هذه الحقائق المتفرقة. لا تظهر هنا مسألة «النقاء» أو «عدم النقاء»[1]. النطق يتغير في كل مكان، وإن لم يكن كذلك، فهذا سيعني ضمنياً أن التغيير غير حاصل أيضاً. «النقاء» في النطق يكون وفقاً لمثاليات أو معايير اللغة المعنية. على سبيل المثال، نطق (أنوندو) لكلمة ananda «فرحة» هو النطق «الفصيح» بالنسبة للبنقالية، بينما هو (آنانْد) بالنسبة للهندية. والفصيح في البنقالية، قول «شاد» (قمر) وليس «شان» أو «شوند». في الكتابة بالبنقالية أيضاً، يعد أكثر قبولاً أن تكتب ka:j إذا ما قورنت بالتهجئة غير المقبولة نسبياً kay [2]. («عمل» في البراكريتيةkajja، والسنسكريتية ka:rya) لو أن كلمة «جاناتا» Janata «شعب» تكتب في البنقالية مثل «جانتا» Janta بحسب النطق الهندي، فإن النتيجة ستكون عامية مبتذلة. رغم أن yog «إضافة، جمع (الكواكب)» هي التهجئة السليمة «النقية»، فالكلمة المشتقة منها Jogair «إمداد، إضافة» هي التهجئة المقبولة في الكتابة البنقالية (حيث حلت في محلها)

ثمة بعض الكلمات الموجودة سابقاً التي تعمقت فيها كلمات «التادبافا» tadbhava [مستعارة أصلية] عبر تغيُرات في الصوت والشكل[3]. لكن صيغ «التادابهافا» هذه تختلف في شكلها

(1) يقصد «بالنقاء» أو «الصفاء» فصاحة القول وسلامة النطق وحسن اختيار الكلمات والقواعد. [المترجم].

(2) الرمز Y مستخدم كأحد أنواع y في البنقالية وينطق مثل «ج»، أو نطق الحرف الإنجليزي j. أي تشديد قوي على حرف الياء. [المترجم]

(3) مصطلح «تادابهافا» من السنسكريتية ويعني «نابع من» وهو مأخوذ من القواعد الهندية

باختلاف اللغات. الكلمات السنسكريتية التي نراها الآن في هذه اللغات ونأخذها في حالات كثيرة واستعملناها حديثاً، هي صيغة «التاتساما» tatsama (أي «محرّفة»)، انظر الحاشية أدناه). في بعض الحالات نلفظ مثل هذه الكلمات بطرقنا (الإقليمية) الخاصة، وعليه ندعوها «الأرذا–تاتساما» (ardha تعني «شبه»). على سبيل المثال، كلمة krsna «أسود، كرشنا» هي كلمة «تاتسامية»، نلفظها بالبنقالية «كريستو» ما يجعلها «أرذا–تاتسامية» (أي شبيهة بالأصل). ولكن صيغتي keshta و kishan، «كشتا، كيشان» صيغتان من «التادابافا» (أي نابعتان من المصدر «كرشنا»).

ثمة أمر جدير بالملاحظة هنا. نعرف عن الفروق في نطق الـ h، والأصوات الملفوظة [المهموسة h] - th، dh، thh، ph، bh، kh، gh، shh، jh في أوساط البنقاليين الشرقيين، مقابل البنقاليين الغربيين. في البنقال الشرقية، تتلاعب الفوضى بالصوامت الملفوظة مهموسةً في ghar «غرفة، سكن»، jhar «عاصفة»، dheu (تنطق «دهيو») «موجة، dhan «أرز (غير مقروش)». لقد اعتاد السيد تشيتانياديفا مداعبة أصحاب (منطقة) سيلهيت بقوله oe، oe («وي،

التقليدية، ويشير إلى الكلمات المأخوذة من الكلمات ذات الأصل السنسكريتي بحسب العمليات الطبيعية الطارئة على تحول الصوت في تلك اللغة المُستقبِلة. عادة ما يوضح مصطلحاً مقابلاً هو «تاتساما» (أيضاً من السنسكريتية) ويعني «مساوياً لـ»، ويشير إلى الكلمات التي تمت استعارتها لاحقا إلى اللغة الهندية–الآرية من السنسكريتية، والتي تحتفظ بمعظم النطق السنسكريتي الأصلي.

وي» عوضاً عن «هوي» hay) وتعني «يصبح، يصير»[1]. وهكذا، فإسقاط صوت الـ h في البنقالية الشرقية يعود إلى زمن لا بأس به. ومع ذلك، نرى أن صوت الـ h هذا قد عانى في أقاليم عديدة، وليس في البنقال فقط. ففي البنجابية والهندية أيضاً، الصوامت الملفوظة المهموسة، مثل bh، dh،gh، تحولت إلى مجموعة مركبة من الأصوات الملفوظة الشبيهة بالصوامت المهموسة غير الملفوظة[2]. تسمى هذه الأصوات recursives بالإنجليزية (الارتداديات) وتنطق بسحب الهواء إلى الداخل، وحبسه بإغلاق الحنجرة[3]. في بعض الأماكن، هناك تنوعات في النبرة المصاحبة. في أتاربرادش وبيهار، لم تتأثر هذه الصوامت الملفوظة، وعليه تلفظ كلمات مثل ghar..إلخ، كما هي، بل إن القاعدة السائدة في الهندية أن تقول barah «اثنا عشر» annas «ثلاثة أرباع»[4]). في البنقال الغربية، لا تطرأ تغيرات على

(1) السيد تشيتانياديفا (1486–1533) كان شخصية دينية رائدة في شرق الهند والذي يعظمه كثيرون كتجسيد جديد لفيشنا (أحد أرباب الهندوسية).
بالمناسبة، إضافة كلمة «ديفا» deva إلى الاسم، وتنطق مثل «ديوا»، تدل على أن صاحبه قد ارتقى إلى مرتبة الإله، وإضافة اللاحقة «جي» ji تدل على توقير وتبجيل المتكلم عن الشخص المعني. [المترجم]

(2) في معظم اللغات الهندية المهمة، الصوامت المهموسة غير الملفوظة هي الأصوات الساكنة: ق، ج، د، ذ، ب.

(3) التسمية الأكثر شيوعا لهذه الأصوات هذه الأيام هي implosives (الانفجاريات الداخلة) لأنها تلفظ بواسطة الحبال الصوتية عبر انفجار ضمني للهواء المصاحب المسحوب إلى داخل الحنجرة.

(4) كلمة ana غير مستخدمة في الوقت الحاضر باستثناء في حسابات العامة لأجزاء الروبية (عملة الهند) وكانت وحدة العملة القديمة وتساوي جزءاً من ستة عشر من الروبية (أي

نطق كلمات مثل ghar، «منزل»char (قوس الوتر)، ولكن من السخف أن تقول باراه «اثني عشر»، باهين «أخت»، بلفظ الها h، وهو أشبه بنطق لفظ الجلالة «الله» بدون «ها» Allah(h). إذاً مجدداً، إذا كان لا بد من الحكم على نطق الأصوات، فربما نسأل: ألم يختفِ أيضاً اللفظ المشدد في البنقال الغربية من الصوامت الملفوظة في bagh «نمر»، majh «وسط» bedh «المدى»، labh «كسب، ربح»؟

تجدر الإشارة إلى نقطة رئيسية: تغيّر نظام النبر القديم في لفظ الأصوات كثيراً، خلال حقبة السنسكريتية، وهو يتكوّن من ثلاثة مستويات للنبر: udatta «حاد»، svarita «مُشَدّد»، anudatta «مُرَخّم». في الوقت الراهن، يلاحظ أن النبر، أو حدة الصوت، في كلمات اللغة الهندية، تقع على المقطع ما قبل الأخير، وفي بعض الأحيان يمد الصائت المنبور، بينما ترخم أخرى، وعادةً ما تُزال. أما في البنقالية، فيقع النبر عموماً في بداية الكلمة. ومع ذلك في الجمل التامة، نميل إلى لفظ عدد من الكلمات بزفرة واحدة، وعادة ما يحدث النبر على الكلمة الرئيسية الأولى في نَفَسٍ واحد كمجموعة كلمات. يحدث ذلك، على سبيل المثال، في الجملة البنقالية التالية: «أنت مدعو للقدوم غداً إلى منزلنا وتناول الغداء»

tumi kal amader barte ese moddhaenho bhojon korbe

نصف الثمن).

«انت غداً لنا بالبيت تأتي ظهراً تأكل سوف»

هناك سبب يدعونا إلى القول: إننا قد استعرنا هذه العادة من أصحاب الدراويدية والأوسترية. وهناك توجه آخر في البنقالية، يتمثل في لفظ الكلمات بإزالة مقاطعها، وهكذا نقول pagla «باقلا» (مجنون) في لهجتنا للكلمة pagal «باقَل» – من دون صوت متحرك للقاف g. كلمةparty «حفلة» الإنجليزية ستبدو شاذة في قراءتها لو نقلناها بالحروف البنقالية إلى parati وتحتاج إلى أن ننقلها كتابةً على الأقل مثل par–ti[1].

التغيرات في النطق، أو في الأصوات، ليست كل شي في اللغة: ما نسميها التغيرات القواعدية أو الصرفية هي المسألة الأشد خطورة. على سبيل المثال، يمكن سماع فروق جمة، لأسباب نعزوها إلى الأصوات، بين اللهجة البنقالية في وسط الغرب (مثلا في هوراه Howrah و24 مديرية ببرقناس Parganas) وبين اللهجات البنقالية الشرقية (كما في داكا Dhaka وتشيتاقونغ). ومع ذلك إذا ما نظرنا إلى القواعد، فسوف نرى أنه كيفما تكون ضخامة الفروق في النطق، فإن التغيرات في صيغ المفردات ليست كبيرة جداً: كلمة asun «تعال» (أكثر تبجيلاً)، basun «اجلس» (أكثر تأدباً) في بنقالية الغرب الأوسط، وكلمات bahen،ahen أو baukhain، aukhain

(1) كتبت الكلمة هنا بـ r متبوعاً برمز «سكون» (hasanta شرطة السكون) ويمكن نقحرتها بحرف صامت متصل rt [ويقصد parrti].

(في اللهجات الشرقية المتفرقة)، جميعها من نوع واحد. ولعل كلمتي astak و bastak متباعدتان قليلاً. لكن صيغ الضمائر ai «أنا»، ar «لي»، tui «أنت، أنتم..» (حيادية)، toar «لك، لكم» (حيادية).. إلخ في تشيتاقونغ هي في النهاية اختلافات في النطق للصيغ الفصيحة في البنقالية: ami «أنا»،amar «حقي»، tumi «أنت» (المحايدة)، tomar «لك» (المحايدة). إذا ما الفرد تفحص هذه الاختلافات في الشكل، أو طرحها ببساطة، وإذا ما نظر المرء إلى القواعد، فسوف يجد أن الصيغ النحوية القديمة قد بُسِطت أيضاً أو ضُعِفت في مراحل البراكريتية (كما هي في لغة البالي). ومعظم أجزاء تلك القواعد القديمة في الهندية–الآرية، لا توجد في حياة اللغات الحديثة. على سبيل المثال، أين ذهبت اللواحق الصرفية (vibhakati)، وحالات الإعراب (karaka)، وتقسيمات الأسماء الصرفية (نهايات sup)؟ أين المثنى والجمع؟ أو إحدى عشرة مجموعة لتصريف الأفعال (نهايات titi)، وتصريف الأفعال الثانوية؟ لقد طوّرت اللغات الحديثة المختلفة آلية قواعدية جديدة بسبب الحاجة إلى تمام المعاني الدلالية.

الخصائص العامة للغات الهندية–الآرية القديمة

تساعد معرفة قواعد السنسكريتية على فهم هذه الخصائص (Bhashar Itibrtta, p.89)، ويلزمنا أن نأخذ في الحسبان خاصية رئيسية كبرى:

1- استخدام الصوائت بما في ذلك المقطعيات ai، e، l، r، واستخدام الصوامت التي تتضمن الأصوات المختلفة لـ s (س، ش، ص). طبقات «المد» في الصوائت، كما في جذر الفعل yaj «يعبد» — yajna (مستوى الإدغام guna yaga)[1] مستوى الإحلال ishti)، (vrddhi مستوى الإبدال samprasana) — أو في وصل الأصوات. وهناك ثلاثة أنواع للنبر في الفيدية: udatta «حاد»، svaritta «مشدد»، anudatta «مرخمّ».

2- الاستخدام المتنوّع للصوامت العنقودية، مثلاً kn، ktr، ksm، kr.. إلخ.

3- وفرة في تصريفات الأسماء: ثلاثة أرقام، ثماني حالات، ثلاثة أجناس، تصريف الجذور وفقاً للجنس.

4- وفرة في تصريف الأفعال: ثلاثة فاعلين، حالتان للمستفيد (atmanepada المستفيد الذاتي مقابل parasmaipada المستفيد العام)، حالتان للبناء (مبني للمعلوم، ومبني للمجهول)، خمسة أزمنة، ضمن صيغ إعرابية، واستخدام لأنواع كثيرة من الصيغ غير التامّة [حيث يقدر فيها زمن الفعل].

5- فسخ الحروف Tmesis، أو الحدوث المنفصل لجزئيات لفظية سابقة للأفعال (والتي لم تصبح بعد من العناصر

(1) هناك معنى آخر لكلمة Guna «قونا» في السنسكريتية وتعني «الروح الالهية». [المترجم]

المكونة للأفعال).

6- الاستخدام الثري والمتنوّع في تركيب الكلمات لابتكار كلمات مركبة جديدة.

7- غياب الحاجة إلى القواعد النحوية التي تحكم مواضع الكلمات في الجمل.

8- حرية نحت الكلمات باستخدام مزيدات الاشتقاق الفعلية (krt) والاسمية (taddata).

9- استخدام نظام الحركات لوزن أطوال المقاطع.

الخصائص العامة للغات الهندية–الآرية الوسطى

1- خفض عدد الأصوات الصائتة، وتغيرات في لفظ الصوت R(l)r، والأصوات ai إلى e، و au إلى o، وأحياناً إخراج الصوائت الممدودة إلى أصوات قصيرة.

2- ضياع الأصوات الصامتة في نهاية الكلمات (باستثناء m، n «الميم والنون»): مثلاً، tat تحولت إلى ta، و kalpat إلى kalpa.

3- ضياع جميع الصوامت العنقودية في بداية الكلمة (مثلاً، kshudr «صغير جداً» إلى khudda)، وفي مواضع أخرى، الفصل أو المزاوجة (كما في حالة dr إلى dd، وtasmin إلى tamhi «فيه، في ذلك»).

4- الإبقاء على صوت s «س» واحد من الثلاثة السابقة (piyadasi «صفة النعت من آشوكا» مأخوذة من priyadarshi). في الشرق فقط sh «ش» لا تزال باقية Shutanuka – اسم علم).

5- الميل إلى تلاشي الصوامت (المفردة) غير الملفوظة، والميل إلى أن تصبح الصوامت غير الملفوظة h «هـ» بين صائتين (وهذا لم يكن موجوداً في المرحلة الأولى).

6- تبسيط تصريفات الأسماء: ضياع اسم المثنى.

7- في تصريفات الأفعال، اختفاء صيغ «الأتمانيبادا» (المبني للمجهول الوسيط، أو المستفيد لذاته) وصيغ المثنى، واختفاء تدريجي لصيغ حالات الأمر، والأزمنة التامة،..إلخ. استخدام واسع التداول لصيغتي kavat–tu و k–tal اسم الفاعل في زمن الماضي كصيغ للماضي البسيط.

8- تزايد الحاجة إلى قواعد ترتيب الكلمات [في الجملة] نتيجة لضياع نهايات الكلمة الصرفية.

9- نظام لوزن القافية مبني على الذوق وغير متساوي المقاطع.

الخصائص العامة للغات الهندية-الآرية الحديثة

1- ميل الصوامت الزوجية إلى أن تصبح فردية، يصاحبه الميل إلى جعل الصائت السابق لها ممدوداً. (karma «عمل» إلى kamma ومن ثم kam، krya «واجب» kajja إلى kaj

madhya، «وسط» إلى majh، majjha).

2- ميل الصوامت المتتابعة إلى أن تواجه حالة من «الساندية» (Sandhi «الوصل») أو الاندماج (pastika «دفتر» potthia --> pothi، hrdabhih «بالقلب» --> hiye، hiahi).

3- حلّت نهايات صرفية جديدة محل النهايات المضاعة الأخرى (مثلاً في البنقالية re «من أجل» ke «إلى»)، واستخدام كلمات حرف الدفع (كما في البنقالية theke «كره من»، kaoh «من حامي الـ»diya «بواسطة»)، وميل إلى فقدان الأسماء المحايدة.

4- ابتكار صيغ أفعال زمن الماضي وزمن المستقبل من أسماء الفاعلين في صيغ الماضي والمستقبل والحاضر (-ta، -tavya، -at) (أمثلة من البنقالية shal «التقدم»، shalita «تقدم»، shali (ماضي مستمر) shaliba، shalitavya «سيتقدم» (مستقبل مستمر) shaliba)، استخدام صيغ فعلية مركبة (مثلاً الجذر + فعل «كان يتقدم» skalile–chila، «قد تقدم» shaliya–chila؛ «يتقدم ويستمر» shaliya–yaiteche؛ «يستطيع القدوم» shalite pare).

5- قواعد الجملة النحوية مبنية على ترتيب الكلمات، وفقاً للاستخدام المناسب، على سبيل المثال، الجملتان التاليتان قد لا تعنيان الشيء نفسه دائماً:

pathe yete ram ke dekhte peton بينما كنا ذاهبين في الشارع،

رأينا رام

ram—ke pathe yete dekhte petam رام رأيناه، بينما كنا ذاهبين في الشارع

6- نظام وزن القافية بدأ بحسب الذوق متساوي الكتل (كما في الإيقاع الموسيقي) ولاحقاً مبنياً على المقطع (كما في قافية الشعر الشعبي).

اللغات «التحليلية» واللغات «التركيبية»

الخطاب التاريخي المقارن هو من شأن العلماء. ما نحتاج إليه عموماً هو النقاط الأساسية فقط. من هذه النقاط: اللغة الهندية-الآرية القديمة والسنسكريتية كانتا لغتين «تركيبيتين» synthetic. اللغات الهندية-الآرية الحديثة اليوم، كالبنقالية، هي لغات تحليلية analytic. ما يقال في البنقالية مثل ae ek—jan manush «رجل فرد واحد»، du—jan manush «رجلان فردان اثنان»، bahu manush «رجال كثر» — يمكن أن يشار إليه بالسنسكريتية (بالجمع) narah «رجال»، أو بالإمكان التعبير عن علاقات متفرقة أخرى بالقول: naram «للرجل»، narat «من الرجل»، narasya «خاص بالرجل»، nare «في الرجل»..إلخ. في السنسكريتية، يوصل الاسم وصفته وفعلهما، جميعاً، بقاعدة (التوافق) نفسها: جملة «الجميلة تسير» sundari gacchati لا يمكن على الإطلاق أن تدل على ذكر أو أكثر

بأنه يسير أو سيسير. من الواضح، في السنسكريتية، أن الفاعل ظاهر في صيغة الفعل: gacchati «تسير»، gacchami «أسير»، gatadh «سار»، gatam «سرتُ» gatah «ساروا» —لا مجال للارتباك. حالة «الدمج» [الإزادة بالإلحاق] في كل هذه الكلمات هي ما يسمى النمط «التركيبي».

زمن الفعل والبناء والحالة الإعرابية، يشار إليها بنهايات صرفية في آخر الأفعال. لكن في الإنجليزية يمكن للفعل go «يذهب» أن يكون I go، we go، you go، they go (مع الجمع) (الاستثناء هو goes فقط مع المفرد الغائب في الفعل المضارع). تتساوى «أنا أذهب» تماماً مع «أنت تذهب»، و«هم يذهبون» و«نحن نذهب»[1]. هذا ما نسميه النمط «التحليلي». في هذا الخصوص، ثمة تشابهات بين القواعد البنقالية والقواعد الإنجليزية، مثلاً: jai يمكن أن تعني ami jai «أنا أذهب» و amra jai «نحن نذهب».

هناك نقطة أخرى جديرة بالملاحظة. ترتيب الكلمات النحوية شيء معلوم في الإنجليزية، لكن لا حاجة إلى ذلك في السنسكريتية ما دام المعنى سيتضح من خلال وجود وفرة من النهايات الصرفية. أضف إلى ذلك، أن نوعاً من النحو وترتيب الكلمات قد بدأ في الثبات تدريجياً حتى في السنسكريتية. يمكن أن تقول بالسنسكريتية:

(1) الأمثلة مكتوبة بالإنجليزية كما وردت في الجملة التي تسبقها؛ ومن أجل عدم التكرار في كتابتها، ترجمناها بحرفيتها للتعبير عن مقصد المؤلف، ولكي تتضح الصورة لمن لا يعرف اللغة الإنجليزية. [المترجم]

narah vyaghram hanti «الرجلُ للنمر يقتل»، أو يمكننا تغيير الترتيب، vyaghram narohanti «النمرَ الرجلُ يقتله»، أو حتى hanti vyaghram narah «يقتل النمرَ الرجلُ»، وجميعها بنفس المعنى: «الرجلُ يقتل النمرَ». لا مجال لسوء الفهم، والفضل يعود إلى النهايات الصرفية والاشتقاقية. لكن في البنقالية، manush bagh mare «الرجلُ النمرَ يقتل»، أي «رجلٌ يقتل نمراً» و bagh manush mare «النمرُ الرجلَ يقتل»، أي «نمرٌ يقتل رجلاً»، ليستا جملتين بنفس المعنى. الترتيب الحالي للكلمات تنامى للوجود منذ أبد بعيد، وهذا توجه محدد في التفكير الكلي لعقلية المجتمع. كما أن ترتيب الكلمات في الموندية واللغات الدراويدية هو أساساً من هذا النوع. التشابهات في التركيبة العقلية للهنود-الآريين والدراويديين والموندا في شبه قارة جنوب آسيا، سائدة ومتجذرة.

نحن، عامة الشعب، نحكم على التشابهات، والفروق بين اللغات من خلال مسارد الكلمات، وأحياناً نفترض أن الكلمتين متطابقتان، إذا ما رأينا بعض أوجه الشبه بين الكلمتين. لا توجد ندرة للكلمات السنسكريتية في البنقالية، لكن هل توجد كلمات أقل منها في التيلوقو والكنادا؟ لكن الكثير من هذه الكلمات هي كلمات «تاتساما» أو «أرذا-تاتساما» [منقولة أصلية أو تشبه الأصل]، تمت استعارتها حديثاً من السنسكريتية. وفوق كل ذلك، كلمات «التادبافا» [محرّفة من الأصل] وهي كلمات تم تلقيها في العصور الغابرة، ووصلت إلى

مرحلة الهندية-الآرية الجديدة عبر البراكريتية— كثيرة العدد في كل لغة [هندية]. يجب ملاحظة أن اللغة السنسكريتية، استعملت أيضاً الكلمات المحلية والأجنبية، لكن السنسكريتية كانت ما يمكن أن نطلق عليه، «اللغة البانية» building language لغة مبتكرة، وخلاقة استطاعت نحت الكلمات الجديدة من مواردها الخاصة متى دعت الحاجة إلى ذلك. هناك لغات أفضل من غيرها في التقبُّل أو الاستعارة (للكلمات). مثل هذه اللغات تدعى «لغة مستعيرة» borrowing language. البنقالية في المقام الأول «لغة بانية»، ومع ذلك فهي تقبل الصيغ اللغوية بسهولة أكبر، بمعنى أنها لغة مستعيرة أكثر منها بانية. اللغة القوية تلزمها هاتان المقدرتان، واللغة الإنجليزية تملكهما بدرجة كافية.

-7-

اللغات الهندية-الآرية الحديثة

مقدمة عامة

قدمنا في ما سبق، إيجازاً عاماً لثمانية أقاليم فرعية (أ إلى ح) وفيه صنفنا اللغات الهندية-الآرية الحديثة إلى مجموعات، وسنتعرف بشكل مفصل على بعضها (انظر أدناه). هنا نذكر وبإيجاز السمات المميزة لهذه المجموعات الفرعية.

المجموعات الفرعية اللغوية

1- «مجموعة الشمال الغربي الفرعية» تقع الآن في باكستان. لكن لا يبدو أن «السندية» و«اللاندا/الهنديكية» في البنجاب الغربية تدرّسان بصورة مستقلة، بالرغم من أنهما مستخدمتان في باكستان. الناس هناك يدرسون الأوردية بدلاً منهما. إلا أنه جاء إلى الهند هندوس هذا الإقليم الناطقون بالسندية، حيث يستخدمون أو يتكلمون السندية، وقد منح البرلمان الهندي السندية مكانتها كإحدى اللغات القومية: وهي نقطة جديرة بالنقاش. ومع ذلك فمن المحتمل ألاّ تكتب السندية بالخط الفارسي-العربي كسابق عهدها، ولكنها ستكتب

تدريجياً بالحرف الناقري[1]. استخدم السيخ Sikhs «اللاندا» أو «الهنديكية» ذات يوم على الحدود، ثم هجروها وبدأوا بدراسة واستعمال الأوردية[2]. يستخدم السيخ اليوم البنجابية، ويكتبونها بالحرف «القورموخي» Gurmukhi رغم أنهم لم يهجروا الأوردية أيضاً. ليس مستغرباً أن تعرف أن اللغة «الهنديكية» سلف لبراكريتية القاندارا، وهي براكريتية إقليم أوريسيا (الشمال الغربي).. إنها لغة أحفاد بانيني. لا يزال باستطاعة فقهاء اللغة أن يروا في «الهنديكية» خصائص موروثة من أسلافهم.

2- اللغة الكبرى في «مجموعة الجنوب الفرعية» هي الماراثية: تكتب بالحرف الناقري، ويعود تاريخها الأدبي إلى القرن الثاني عشر، لذا يتوجب بحثها في وقت لاحق. يمكن اعتبار «الكونكانية» شكلاً آخر للماراثية على أن نسميها لغة مستقلة. استعملت الكونكانية كلغة مستقلة في قوا Goa وكان الكاثوليك مستعمليها الوحيدين، وكتبت بالحرف الروماني. لكن الكونكانيين في غير هذا المكان، لم يستخدموها. بعد ضم قوَا إلى الهند، من المحتمل أن يزداد استخدام الماراثية هناك[3].

(1) لا تزال السندية تكتب بالخط الفارسي–العربي (بشيء من التعديلات).

(2) «السيخ» تعني في الأصل «التابعين»، لمعلمهم الأول ناناك المتوفى في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي. نشأت السيخية كحركة اجتماعية إصلاحية، وتحولت إلى عقيدة دينية، وحالياً تجمع بين الاثنين ضمن إطار إيديولوجيتها السياسية. [المترجم]

(3) الكونكانية، لغة ولاية قوا، وهي مدرجة الآن في الملحق الثامن من دستور الهند. استقلت قوا عن البرتغاليين في عام 1963، ويقدر عدد سكانها حالياً بنحو ثلاثة ملايين نسمة. [المترجم].

3- البنقالية، والأورية، والأسامية، وهي من «مجموعة الشرق الفرعية»، تتحدر جميعاً من اللغة الشرقية الأولى، أو البراكريتية المقاذية. كانت هذه اللغات الثلاث قريبة جداً من بعضها بعضاً ذات يوم، ولا تزال تظهر فهماً مشتركاً إلى درجة كبيرة. بالطبع تكتب الأسامية والبنقالية بالحرف نفسه تقريباً: بدأت الاختلافات بين اللغتين في الظهور في القرن الرابع عشر، لكنها استمرّت صغيرة.

أصبحت الاختلافات جلية في الجزء الثاني من القرن التاسع عشر. وقد عمد المتعلمون الأساميون بعد ذلك إلى وضع أدب أسامي جديد مبني على الكلام الشعبي الشائع في مناطق ديبروقار Dibrugarh وشيفسقار Shivsagar. الفروق بين عامية (كامروبيا) قواهاتي قولبارا Guwahati Goalpara وعامية ديبروقار–شيفسقار، جوهرية ومتينة[1]. لهذا السبب، فإن الاختلاف ما هو إلا في النطق والمفردات بين الأسامية حاضراً، والبنقالية حالياً، ويبدو أنه كبير في القواعد، لكن اللغتين لا تزالان متقاربتين. فالأساميون يفهمون البنقالية عند الحديث بها ببطء، كما يفهم البنقاليون الأسامية بيسر عندما تنطق بروية.

الاختلافات بين الأورية والبنقالية أكبر في بعض الجوانب،

(1)) يعتقد أن الكامروبية Kamrupiya تطورت إلى اللغة الأسامية.

وهامشية في جوانب أخرى. ربما تكون هذه الفروق قد ظهرت في القرن الثالث عشر. ومع أن حرف الكتابة في الأورية حرف شرقي في أساسه، إلا أنه كُتب بالمَرْقَم [قلم الخشب المبري] على ورق سعف النخل: إذا لم يجعلوا حروف الكتابة كبيرة ومستديرة، فإن سعف النخيل ستنشق (في اتجاه العروق)، ولهذا السبب تطغى ضربات القلم المستديرة على أعلى الحروف في الكتابة الأورية. لا يمكن لمتكلمي اللغتين أن يقرؤوا كتابة أحدهما للآخر من دون تعلمها أيضاً. ومن ناحية أخرى، من السهل أن يفهم أحدهما حديث الآخر. وبالإضافة إلى ذلك، احتفظت الأورية والبنقالية برابطة روحية عميقة يعزى فضلها إلى تشيتانياديفا وعقيدة الفاشنافا. وقد حقّقت جميع هذه اللغات الثلاث إنجازات في محيطها الأدبي.

اللغات الأخرى الكبيرة في مجموعة الشرق الفرعية هي لغات بيهار الثلاث، وتحديداً الميثيلية، والبهوجبورية والمقائية. الميثيلية غنية برصيدها الأدبي، والبهوجبورية ثرية بأدبها (الشعبي) العامي، لكن المقائية لهجة مهملة تقريباً. ولا يكتب سوى عدد قليل من المؤلفات بالمقائية هذه الأيام. وإلى جانب هذه اللغات، توجد لغات القبائل الأديفاسية بولاية بيهار. لذا إذا توخّينا الدقة، فإن لغة بيهار ليست الهندية. وفي أفضل الحالات، الهندية هي لغة الثقافة العامة («الكولسبراشيه» Kulsprache) لهؤلاء الناس، وليست اللغة الأم. ومع ذلك، الهندوستانية أو الأردية يستخدمها مسلمو المدن في باتنا

Patna وقايا Gaya ومظفربور Muzaffarpur في بيهار، ويكتبونها أيضاً بالخط الفارسي–العربي. هذه الأيام، الدارسون البيهاريون يتكلمون الهندية (ليس في صيغتها الفصيحة) خارج منازلهم.. أي أولئك الذين تعلموا قراءة اللغة وكتابتها في المدارس. لكن قرابة 60٪ من شعب البيهار أميون، وهكذا فإن 60٪ لا يقرؤون الهندية ولا يعرفونها (جيداً). يتكلمون أي لغة بيهارية مثل الميثيلية، أو البهوجبورية، أو المقائية، أو لغة قبلية (كالسنتالية أو الأوراونية Oraon). ومن بين هذه اللغات، لم تدرّس المقائية طوال هذا الوقت: ظلت «لهجة»، وهو قدرٌ حلّ بها رغم أنها وضعت في صلب البراكريتية في عهد الملك آشوكا. البهوجبورية سائدة إلى حد ما، ومع ذلك فإنها لم تكتب إطلاقاً، ولا تكتب كثيراً حتى الآن. ربما لا تزال تدعى «لهجة (فرعية)». لكن الميثيلية كانت ذات يوم في المقدمة بإنجازاتها الأدبية. حرفها الكتابي شبيه بالحرف البنقالي، أي متحدر من حرف الكتابة البراهمية الشرقية. وتكتب الآن بالحرف الناقري. الحروف الناقرية هي الآن نظام الكتابة الشائع للغات بيهار.

اللغات «القومية»

تم الاعتراف بعشر لغات هندية–آرية جديدة «كلغات قومية» في دستورنا. ومن بين هذه اللغات، تقرر أن تكون الهندية المكتوبة بالحرف الناقري، «اللغة الرسمية» للدولة الهندية، أي اللغة

المستعملة في شؤون الحكومة المركزية (ويستمر استخدام اللغة الإنجليزية بالتوازي معها حتى توافق الولايات غير الناطقة بالهندية على إلغائها). إذاً، اللغات الهندية-الآرية الجديدة العشر التالية هي المعتمدة دستورياً[1].

1. اللغة الأسامية
2. اللغة البنقالية
3. اللغة الأورية
4. اللغة الهندية
5. اللغة الأوردية
6. اللغة البنجابية
7. اللغة القوجراتية
8. اللغة الماراثية
9. اللغة الكشميرية
10. اللغة السندية

السنسكريتية، طبعاً، هي اللغة الحادية عشرة المعتمدة في الدستور، ولكنها ليست لغة حديثة. وهناك أربع لغات يعترف بها الدستور من العائلة الدراويدية. (12) التاميلية، (13) التيلوقو، (14) الكنادا، (15) المالیالام، وقد بحثت في الفصل السابق. الميثيلية مهمة أيضاً إلى جانب هذه اللغات الخمس عشرة[2]. ابتداءً من الحدود الشرقية، سنقدم تعريفاً عاماً لهذه اللغات الرئيسية وآدابها، بل لكل واحدة منها على حدة. قبل ذلك، ما تجب ملاحظته عن هذه اللغات هو أن الأدب كتب، ولا يزال يُكتب، بهذه اللغات. دعونا نظهر بعض الملاحظات العامة عن هذه الآداب هنا. وما دامت بين اللغات

(1) يبلغ عدد اللغات الهندية-الآرية المعتمدة في الدستور الآن اثنتي عشرة: أضيفت الكونكانية والنيبالية لاحقاً إلى اللغات الهندية-الآرية (السابقة) في الملحق الثامن.

(2) توجد الآن سبع عشرة لغة، إلى جانب الميتبورية، وهي لغة تيبتية-بورمية.

الهندية-الآرية الحديثة خصائص مشتركة، فهناك سمات مشتركة بين آداب هذه اللغات.

المقوّمات المشتركة للأدب الهندي الحديث

هناك فضاء متميز من الصحوة والفكر الهنديين في أدب جميع لغات الهند الحديثة (دراويدية، وهندية-آرية). وذلك حقيقي، كسماء الهند أو أرضها أو بيئتها الطبيعية المتميزة: وهو ناشط في كل الآداب والشعوب شمالاً وجنوباً. بكلمات عمومية، يمكننا أن نعبر عنه كما يلي:

أولاً: منذ العصور القديمة وحتى يومنا الحاضر، تواصل التوفيق بأشكال متنوعة بين التقليد الملحمي أو الإرث الفيدي، والبوذي والياني والهندوسي.. إلخ، في الفكر والآراء والمعتقدات والمهابهاراتا والرامايانا والبهاقافاتا.

ثانياً: نما توجه محلي في الهند القروسطية، ليتواكب مع التقليد القديم إجمالاً. وعلى وجه العموم، كل واحدة من اللغات الهندية الحديثة لها تميزها، لأنها تحمل تقليدها المميز الخاص بها منذ ذلك الحين [أي القرون الوسطى]. على سبيل المثال، تشيتانيا Chaitanya رصيد يختص بالبنقالية، وناناك بالبنجابية Nanak، وكبير بالأواذية والهندوستانية. Kabir، وتوكارام بالماراثية Tukaram. طبعاً، بمعنى آخر، إن هؤلاء قريبون إلى قلوب الهنود جميعاً بالتساوي. ولكن حكايات لاوسين Lausen، وقوبيتشاندرا Gopichandra،

وميناماتي Maynamati، وبيهولا Behula، ولاخيندار Lakhindar، وكالكيتو Kalketu، وسريمانتا Srimanta..إلخ، تتواصل كتقليد خاص بالبنقالية، على وجه الخصوص، دون غيرها. من جانب آخر، رواية «فير–قاثا» Vir–Gathas وقصص راجبوت الغرامية (مثل ألها وأوداي، وهير ورانجا) جزء من تقليد البراج–باخا Braj–bhakha ومن ثم اللغة الهندية. بهذه الطريقة تلقت اللغات المختلفة مساهمات متفرقة، والأخيرة تشكل الإرث المميز لكل منها. لذلك يمكننا تسمية هذا المسار «مساهمة الفترة القروسطية»، أو «المساهمات الخاصة بالبنقالية»، أو «المساهمات الخاصة بالهندوستانية»..إلخ على التوالي.

المساهمة الثالثة في محيطنا النفسي، والتي أفادت كل واحدة من لغاتنا، ابتداء بفتح الأتراك وانتهاء بفترة القرون الوسطى (تقريباً حتى 1794)، هي «المساهمة الفارسية–العربية». ومن الأمثلة على ذلك «شاهناما» (قصة ملك» Shahnama)، وحكايات عربية، وقصة كربلاء، وعناصر العالم الإسلامي، والمعتقد والفكر الصوفي. بالطبع كان تأثيرها أكبر على اللغات الهندية–الآرية في شمال الهند، وأقل نسبياً على اللغات (الدراويدية) في جنوب الهند. في شمال الهند، استمدت منه لغات مثل الهندوستانية والبنجابية أكثر من غيرها كالبنقالية مثلاً، ومع ذلك فقد كانت الإثراءات العربية والفارسية متاحة للجميع.

المساهمة الرابعة هي «مساهمة الإنجليزية»، وهي مجدداً قناة العلاقات الخارجية للحضارة ووعيها وأفكارها. وقد تأثر بها الهنود في تصورهم للحياة، ومُثُلهم الأدبية. كما ظهرت أيضاً أساليب جديدة للتعبير ومجالات جديدة في حقل الأدب. تطورت فروع متفرقة للنثر، وذهبت أبعد من الشعر الروائي (mangalkavyas) وأشعار الغناء (pudas). ولو لم يتطور فضاء الأدب بهذه الشاكلة، لما أصبح أدباً حديثاً. أكثر من خمسة وسبعين في المائة من الأدب الهندي الحديث مستوحى من المثل الأدبية الغربية المستقاة عبر الإنجليزية: لا يوجد أي أثر تقريباً لأي تراث أدبي مماثل (كالصينية أو اليابانية) في عالم الأدب. وبالمقارنة، لم يتمكن الأدب الهندي الحديث من تطوير مصادره الأدبية الهندية الخاصة به (المساهمات الهندية القديمة، أو الهندية القروسطية، أو الفارسية–العربية المطبّعة) أو المصادر الشعبية الهندية (مثل «لوكاهانا» Lokahana)، ليخلق قاعدة للأدب والفن الوطني الخاص به، وهذه تشكل نقطة عيب كبرى.

الصيغ الشرقية للغات الهندية–الآرية

بما أننا سنبدأ في التعرف بأنفسنا على اللغات الجديدة الكبرى في الطرف الشرقي، فإننا نود في هذا الاستهلال، أن نأخذ جملة من السمات العامة للفرع الشرقي من هذه اللغات الهندية–الآرية الجديدة.. ليس من وجهة نظر اللغوي المتخصص، إنما من وجهة نظر

الشخص الفضولي العادي. كما في بقية الأقاليم، بدأت هذه اللغات الشرقية تتميز بذاتها حوالي 1000 ميلادية، وبعد ذلك جاء الغزو التركي. في عصر البتان (التركي-الأفغاني) لم ينتشر تأثير دلهي بعيداً نحو الشرق: تأسس أولاً في بيهار والبنقال الغربية، وبعد فترة طويلة لاحقة، في أوريسا، وتقريباً لا وجود له في أسام على الإطلاق. كانت الفارسية (أو لغة بلاد فارس) لغة البلاط آنذاك. لكن تأثير الفارسية والعربية في البنغال ظل محصوراً في ذلك الوقت بالفاتحين ولم ينتشر بين عامة الشعب. وبخلاف ذلك، اكتسبت الدراسات السنسكريتية زخماً جديداً في البنقالية. وقد امتد تأثير دلهي إلى المنطقة الشرقية في العهد المغولي Mughal (بعد 1600)، وصاحب ذلك تزايد في استخدام العربية والفارسية هناك. تأثرت بيهار إلى درجة كبيرة بهذا التأثير القادم من الغرب [الآسيوي]، بينما لم يرتفع كثيراً هذا التأثير في أقصى شرق بيهار. كان ينتظر أن يتغلغل استخدام اللغة الفارسية والأعراف والعادات الفارسية في الحياة اليومية في البنقال، وأسام، وأوريسا. لكن قبل أن يحدث ذلك، وصل البريطانيون عام 1764 ومعهم أتت الرغبة في تعلم الإنجليزية (حوالي 1800). لم يكن ذلك تأثير الإنجليزية الوحيد، فقد كانت تعني أيضاً البناء التدريجي للأفكار والمعتقدات الحديثة والرؤية العصرية. كان أول من مر بهذه التجربة البنقال، وخصوصاً منطقة كلكتا. نتيجة لذلك، أصبح الشعب البنقالي في صدارة عصر النهضة الهندي في القرن التاسع عشر. فقد تمكنوا

من رؤية شكل الحضارة الحديثة (القادمة) وعلى ضوء ذلك، أعادوا اكتشاف ماضي الهند أيضاً. يتضح مباشرة تأثير الإنجليزية في اللغات، من خلال توظيف المفردات، وبطريقة غير مباشرة، في التأليف أيضاً. ونتيجة لتأثير الإنجليزية، تبدلت غاياتنا الأدبية واللغوية: على سبيل المثال، أصبح النثر الوسيلة الرئيسية للأدب، ولم تعد الصور البلاغية في المعنى والمبنى، أهدافاً في الكتابات الإنشائية. لهذا السبب أكثر من غيره، وعلى الرغم من تأثير الفارسية قرابة خمسة قرون، فإن اللغة البنقالية وآدابها لم تكونا قادرتين على استعارة الكثير من العربية أو الفارسية، وهذا طبعهما دوماً. بالمقابل، دام الحكم البريطاني 175 عاماً فقط ومع ذلك كان تأثير الإنجليزية، بالمقارنة، متشعباً وقوياً. السبب هو أن الفارسية والعربية كانتا ببساطة، وسيلتين لطريقة حياة القرون الوسطى، والمثل القديمة طريقة لم تكن بالشيء الجديد في الحياة الهندية. موارد اللغة السنسكريتية، بهذا الخصوص، كانت أغنى من نظيراتها في الفارسية والعربية، ولغاتنا متحدّرة من السنسكريتية، وبالتالي الوريث الطبيعي لميراثها. نتيجة لذلك، لا تزال اللغات الشرقية تستمد عافيتها من السنسكريتية. فقد أخذت من الفارسية والعربية كلمات تتصل بمحاكم القانون والإدارة والديانة الإسلامية (قرابة 2500 من هذه الكلمات موجودة في البنقالية) في مجراها الطبيعي. لهذا السبب عموماً، لم ينفذ تأثير البرتغالية كثيراً إلى حياة البنقاليين، عدا تعلم 150 كلمة من التأثير البرتغالي، بينما ذاع صيت

الإنجليزية في العصر الحديث. لم يكن بالإمكان استيعاب الكلمات منها بصوره كلية، ولكن مساهمتها غير محدودة، بل إنها أفادت في تبسيط وتهذيب لغتنا.

عند المقارنة بالمرحلة البراكريتية، ما التغيُرات التي من الممكن ملاحظتها في اللغات الشرقية في المرحلة الحديثة؟ دعوني أوجز ما يلي من دون عودة إلى التفاصيل المملة:

1- في الأصوات، نعلم أن الصوت a يميل إلى o في هذه اللغات وليس هناك صوت a قصير. إلى جانب ذلك، فإن نطق الصوائت المحدودة هو الاستثناء الآن إلى حد بعيد. من بين الصوامت، مسلسلة صوت sh «ش» (sh، ch، j، jh..إلخ) لم تعد حنكية. وباستثناء أوريسا، حل الصوت n السنخي النطعي محل ṇ المنثنية، وأصبح الصوت المنثني صوت R العادي في مناطق كثيرة. النقطة الأكثر أهمية هي قلب الصوافر ش، ص، س [أصوات صافرة sibilants] إلى س (ص) بحسب القاعدة الشرقية. مع ذلك هو الآن S «س» في بيهار، بسبب تأثير الهندوستانية. في أسام، صار تقريباً صوتاً احتكاكياً Kh «خ»، وهو h «هـ» في أماكن كثيرة في البنقال الشرقي.

2- في تصريفات الأسماء، اللواحق مثل e موجودة، إلا أنه لم يعد هناك أثر للنهايات القديمة في تصريف الأسماء. الملحوظ هو طغيان الحروف اللاحقة (مثل diye «مع، بـ،

بواسطة»)، hate «من»). ضمائر المفرد الفرعية (مثل mui «أنا»، mor «حقي») صارت عتيقة في لغة مثل البنقالية، وضمائر الجمع القديمة (amha «نحن»، ami «أنا») صار استعمالها كصيغة المفرد.

3- توجد تحوّلات كبيرة جداً في تصريفات الأفعال التي لا حاجة لذكرها هنا، ولكن أمراً أو أمرين نحتاج إلى طرحهما: ظهور اللاحقة ka- في زمن الماضي واللاحقة ba- في زمن المستقبل، من دون تمييز لعدد المتكلم في الفعل. وعلى الرغم من ذلك، فإن نهايات الجمع القديمة nti- لا تزال قائمة كنهايات للتبجيل في اللغة الأورية، بينما أصبح هذا التوقير في البنقالية هو n(e)-.

4- لا يمكن تحديد التغيرات النحوية أو التبدلات في ترتيب الكلمة بصورة مثلى، لأنه لا توجد تقريباً كتابات نثرية قديمة في هذه اللغات. لكن، من المحتمل أنه لم يكن هناك تحول أساسي في النحو.

جميع هذه اللغات الحديثة، تغيرت بشكل كبير خلال القرون التسعة أو العشرة الماضية. وبفضل تغيّرها في الواقع، ظهرت إلى الوجود لغات مستقلة، مثل الأسامية، والبنقالية، والميثيلية، والأورية. وجميعها تقريباً لديها ادعاءات سالفة بالانتساب إلى «التشاريابادا»، ولكن صلة القربى الرئيسية للغة «التشاريابادا» هي مع البنقالية. نستطيع بصعوبة قراءة وفهم لغة مقاطع الترانيم caryas. السبب

الرئيسي هو أن كل لغة تغيرت، تباعاً، في النطق وفي القواعد، وفي المفردات. لذلك كل واحدة من هذه اللغات (الأسامية، الأورية، البنقالية، الميثيلية،...إلخ) سلكت طريقاً مختلفاً خاصاً بها عبر المرحلة القديمة والمرحلة الوسطى لتصل حالياً إلى المرحلة الحديثة.

اللغة الأسامية

الأسامية (Asamiya) هي اللغة الهندية–الآرية الرئيسية في الشمال–الشرقي، واللغة الأم لنحو 8،956،977 نسمة. وهي اللغة الأساسية في ولاية أسام، واللغة الرسمية للولاية الآن. بيد أن أسام ولاية شديدة التنوع، وأسام نفسها، إذا جاز التعبيرهي وادي نهر براهمبوترا Brahmputra. اللغة العامة لسكان منطقة دوبري–قوالبورا هي البنقالية. الآن توقف تدريسها في المدارس، وصارت الأسامية لغة التدريس رسمياً. لكن، كم عدد الأفراد الذين يذهبون إلى المدارس حتى الآن؟ لم تصبح هذه الأقاليم ناطقة بالأسامية بعد. توجد مزارع الشاي في كل مكان بأنحاء أسام. وقد قدمت أعداد كبيرة من رجال ونساء القبائل، كالأورانيين، من منطقة شوتانغبور كعمال وعاشوا هناك أجيالاً. لغتهم قبلية، وفي أماكن عدة، لغة قبلية مخلوطة بالهندية والأسامية، وفي بعض الأماكن، يمكن تسميتها هندية مكسرة بخلطة أسامية. وفي بعض الأحيان أسامية مكسرة بخلطة هندية. على مدى العقود القليلة الماضية، توافرت الرغبة، وبذل جهد

كبير لتحويل ولاية التنوّع أسام إلى أسام الموحدة الناطقة بالأسامية (منذ الاستقلال بدأت حكومة ولاية أسام بتنفيذ هذه المبادرة). لهذا السبب ومنذ التعداد السكاني في 1931، كان من الصعب التأكد من عدد اللغات وعدد أصحابها في أسام. حتى سنة 1931، كان عدد المتكلمين بالأسامية نحو ثلاثة ملايين أو أكثر قليلاً. لكن بحسب التعداد السكاني لعام 1981، أصبحت الأسامية اللغة الأم لنحو 8،956،977 نسمة، وهذا عدد تقديري ليس إلا. عند تعداد عام 1981، كانت أسام إقليماً مضطرباً، ولم يكن من الممكن جمع البيانات بسبب ذلك. إن الزيادة غير المتوقعة في أعداد الناطقين بالأسامية، وفقاً لهذا الحساب، تبدو زيادة غير طبيعية وغير معقولة مقارنة باللغات الهندية الأخرى. ويبدو من المرجّح أن الإحصائيين أدرجوا بين متكلمي الأسامية عمال مزارع الشاي، الذين يتكلمون أنواعاً من اللغات، وسكان منطقة دوبري–قوالبارا الناطقين بالبنقالية (خصوصاً السكان المسلمين في ميمنسنغي) Mymensinghi: إن ما يثير الاستغراب أكثر هو انخفاض عدد المتكلمين بالبنقالية. سيلهيت الناطقة بالبنقالية ضُمت إلى باكستان الشرقية في عام 1947 (باستثناء تقسيم كريم قانج Karimganj)، ولكن مئات الآلاف من الهندوس البنقاليين قدموا إلى أسام واستقروا فيها منذ عام 1947. مع كل هذا، ومهما كانت حقيقة الأمر، فإن موضوعنا، نحن البنقاليين، بمحيط أسام قد يثير النزاع والصراع: وهذا لن يفيد أحداً. نحتاج أيضاً إلى

فهم المسببات من أساسها، من وجهة نظر أسامية. في الدولة الهندية، الأساميون قليلو العدد نسبياً، وجيرانهم، البنقاليون، أكثر منهم بكثير. البنقاليون متقدمون نسبياً في اللغة وفي التربية والتعليم. وخلال الحكم البريطاني، واتت البنقاليين الفرصة فمارسوا نفوذهم في أسام أيضاً إلى حد كبير. لذلك يشعر الأساميون بمزيد من الحسد من البنقاليين وبالتهديد منهم، كما أن لديهم شعوراً بالنقص. من الطبيعي أن يكون لدى الطبقة المتعلمة من الأساميين وعي ذاتي عدواني. فهم يفضّلون الترحيب بالهندية من دون تردد على أن يمنحوا البنقالية احترامها المستحق، ولن يتسموا بالرزانة أو حتى بالموضوعية بما فيه الكفاية إلى أن يترسخ الشعب الأسامي في الميدانين المادي والثقافي. نحن أيضاً، كجيرانهم التقدميين يجب أن نتحلى بالصبر حتى ذلك الحين. الحقائق الموضوعية يجب أن تطرح بكل تأكيد، لكن ليس للتحريض على الفتنة. الآن يمكن القول بكل بساطة: إن اللغة الرئيسية بولاية أسام هي الأسامية: لا يوجد سبب لشعورها بالتهديد من لغات أسام الأخرى. بدلاً من ذلك، فإن تقدم ولاية أسام سيواجه بالإحباط، ما لم تكن الأسامية متعاطفة مع بقية لغات الولاية.

ومن الناحية اللغوية، نعلم أن الأسامية والبنقالية والأورية ثلاث لغات شقيقات، وهكذا فإنها متساوية في الأحقية بالميراث العتيق للمجموعة الفرعية الشرقية. إذا ادعينا أن جاياديفا ينتمي إلينا Jayadeva، و«التشاريابادا» من حقنا، فإن صديقتينا الأسامية والأورية يمكنهما أن

تدعيا بأن ذلك من حقهما أيضاً، وتستطيع الميثيلية قول ذلك بكل تأكيد. لكن لا يمكن تبرير حقّ الهندية في طرح مثل هذه الدعاوى، استناداً إلى أن الميثيلية والأسامية والبنقالية والأورية (وأيضاً اللغات الإقليمية الثلاث من اللغات الهندية–الآرية الجديدة في بيهار، أي الميثيلية، إلخ)، متحدرة من المقاذا أبابرامشا. ومن دون تكرار نفسي، أستطيع القول إن هذه اللغات لا تزال فعلاً أخوات. ليس من الصعب على البنقالي متابعة الأسامية، ومن السهل أيضاً على الأسامي أن يفهم البنقالية. وليس من الصعب أيضاً قراءة الخط فالحرف أساساً هو نفسه، عدا أن حرف r الأسامي يُكتب بأسلوب مختلف قليلاً، وهناك حرف منفصل لما يلفظ مثل W أو B. قواعدياً، الاختلافات بين اللغتين صغيرة أيضاً. مهما تكن الفروق الملحوظة فهي في معظمها صوتية، أي بسبب اختلافات في لفظ الأصوات. الاختلافات الأساسية هي ما يلي: تختلف اللغتان في لفظ رمز الصوت المنثني الساكن r. رموزنا الصافرة، ص، ش، س على التوالي، عادة ما تلفظ بالأسامية بنَفَس احتكاكي مسموع، أو بما يشبه صوت الـ«خ» غير المُعاق (kh كما هو موجود في الفارسية والعربية. في جنوب–شرق بنقلادش، يلفظ k و kh بهذه الطريقة). وهكذا، ibś «شيفا» تلفظ في الأسامية مثل xib «خيفا»، Mahapourushiya «ماهابوروشيا» مثل Mohapuruxiya «موهابوروخيا». الصامت الوقفي المنثني ṭ و ṭ'.. إلخ، والصامت النطعي/ اللساني t و th..إلخ، كلاهما ينطق في الأسامية كصوت سنخي، لما يشبه t، d في الإنجليزية.

وثمة اختلاف آخر هو النطق السنخي للمسلسلة الحنكية-السنخية sh، ch، j، jh كالصوت <dz> «ج». المفردات هي سبب مجموعة اختلافات أخرى بين البنقالية والأسامية. وفي الكتابة أيضاً، تستخدم الأسامية، كلمات عامية من مقاطعتي شيفساقار وديبروقار، البعيدتين جداً عن الحدود البنقالية، كما أن مفرداتهما المنطوقة الشائعة غير معروفة نسبياً في البنقالية. دعونا نأخذ الجملة المألوفة: «رجل كان له ولدان».

في البنقالية: ek—jan—er dui chele chila «لواحد—شخص اثنان أبناء كانوا»

في لهجة كوش بيهار بشمال البنقال تأخذ هذا الشكل:

ek dzana mansir dui kon beta atsilo «واحد شخص لرجل اثنان أبناء كانوا»

في الأسامية:

kono edzan manuxar duta putek asil «ما شخص لرجل اثنان أبناء كانوا»

ولكن الاختلافات في المفردات غير واضحة تماماً، في هاتين الجملتين. دعونا نأخذ فقرة من مقالة أسامية حديثة.

«unais satikar sehar phale paon rupat garh lova aru badhanar sambhavanare than dhabi utha abhinab sahitya karmar eta birat makhal. ...dujanar nam sabatokai ujjaval hai manta pare. ...se dujan hala ujanir hemchandra baruva

aru namanir gonabhiras baruva».

ومع ذلك، ففي لغة الحوار توجد كلمات «تاتساما» محرفة و«تادبافا» منقولة قليلة، لذا فإن لغة كهذه ستبدو للبنقاليين على أنها لا تزال بعيدة جداً.

نشأت الأسامية القديمة أصلاً من لهجة الكامروبية، وهي قريبة الصلة ببنقالية شمال البنقال. بدأت دراسة الكامروبية Kamrupiya في حد ذاتها في القرن الرابع عشر. مادهف كندالي Madhavkandali هو أقدم شعراء الأسامية، وقد كتب بالكامروبية «الرامايانا» بلغة سهلة ومن الممتع قراءتها. وقد وصلت ذروة الأدب الأسامي مع عقيدة الفاشنافا كما روج لها شامكاراديفا Shamkaradeva. شامكاراديفا، كان معاصراً لتشيتانياديفا: كان الأكبر سناً بين الاثنين وعاش من 1449(؟) إلى 1569. شامكاراديفا ولد لعائلة (كاليتية Kalita Kayastha)[1]. كانت آنذاك الحركة البهكتية Bhakti ناشئة في شبه قارة جنوب آسيا بأكملها[2]. وأصبح تشيتانياديفا زعيم المعتقد البهكتي في البنقال وأوريسا، وشامكاراديفا في أسام. وربما كان معتقد الشاكتا

(1) «كاليتية» أي نسبة إلى الإلهة كالي، ولها أسماء متعددة ومنها شاكتي، والدورقا (الدمار). المذاهب في الهندوسية تنسب إلى الأرباب التي يؤمن بها الفرد، مثلاً الفاشنية أو الفاشنافا نسبتها إلى فيشنو. [المترجم]

(2) Bhakti كلمة سنسكريتية تعني «التكريس»، وهذا تقليد تعبدي في الهندوسية يؤكد على نذر الذات للإله كوسيلة وحيدة لتأكيد الخلاص. نشأ هذا المذهب في جنوب الهند ما بين القرنين السادس والثامن الميلاديين، وتأسس في شمال الهند في القرن الرابع عشر الميلادي، كجزء من الحركة الاجتماعية الإصلاحية. أشهر رواد تلك الحركة في شمال الهند: كبير وناناك وتشيتانيا. [المترجم]

Shakta (بمعنى معتقد عبادة الشاكتي، وتحديد الدورقا (Durga مسيطراً قبل ذلك. دعا شامكاراديفا مخلصاً، إلى دين كرشنا، اسماً وتوحيداً، وإلى عقيدة بهكتية مبنية على الكيرتانية Kirtan. تعرف هذه الحركة باسم «ماهابورخية» Mahapurukhiya. كان حاكم كوش بيهار أحد حواريي شامكاراديفا الكبار. كتب شامكاراديفا الكتب، بغرض نشر عقيدة البهاكتة: ألف 27 كتاباً. المشهور بين هذه الكتب «كيرتان غوشا» Kirtan-ghosha، ثلاثون قصيدة عن عظمة فاشنو وكرشنا، وكتاب «روكميني-هارانا» Rukmini-harana. وإلى جانب ذلك، له أيضاً عدد قليل من مسرحيات الفصل الواحد (تسمى أنيكيا-نات Anikiya-nat)، وجميعها تعبدية. كان الهدف استقطاب الناس، من خلال تقليد الدراما القروسطية، وتحديداً رامافيجايا Ramavijaya وكاليادَمام Kaliyadamam وباريجاتا-هارانا Parijata-Harana: ولا تزال هذه المسرحيات تؤدى على خشبة المسرح. كتب عملاً كبيراً آخر هو «ديها-فيشارا» Deha-Vecara (أناشيد عن زوال البدن عموماً)، وأيضاً «فاراقيا» Varagia، وهي عبارة عن غنائيات تعبدية قائمة على الزهد في الحياة الدنيوية. هذه جميعاً لا تزال تنبض بالحياة في حياة ولاية أسام. كرشنا بالنسبة لشامكاراديفا هو أيضاً كرشنا في البهاقافاتا، لكن ليس الإله المعبود في «البراجاليلا» وحلاوتها Brajalila. ثمة نقطة أخرى تستحق الذكر: كما كانت تكتب الأشعار الفاشنية الغنائية البنقالية باللغة البراجابولية

Brajabuli، ثمة بعض القصائد الغنائية لشامكاراديفا بالبراجابولية، أي بالأسامية المخلوطة بالميثيلية. الحواري الأكبر لشامكاراديفا كان مادهفاديفا (1489-1596) Madhavadeva الذي أثرى أدب التراث البهكتي ذاته، وتنصهر مؤلفاته «ناما-قوشا» Nama-ghosha و«فاراقتا» Varagita ومسرحياته Anikiya-nata «انيكيا-ناتا»، بوجدانيات الزهد والتقوى. وأثرى متعبدون آخرون كثيرون، معتقد «الماهابوروخية» بتأليف الشعر التعبدي. وقد رعى حكام كوش بيهار العديد منهم واتبعوهم. نما الأدب الأسامي القديم على هذه الشاكلة من خلال مجموعة متفرقة من المؤلفات المستوحاة من حكايات الرامايانا، والمهابهاراتا، والبهاقافاتا، والهاريفامشا Harivamsa. بيد أن العنصر المميز الفعلي للأدب الأسامي هو نثرها الأدبي، «بورانجياتها»، أو التاريخيات Buranjis. وكانت تلك منجزات الحكام الأهوميين Ahom المنتصرين. في البدء كتبت البورنجيات باللغة الآهومية (صينية-تيبتية)، ثم كتبت لاحقاً بالأسامية. لا تحتوى هذه التاريخيات على النثر الأدبي فحسب، بل تشكل مصدراً للعديد من الحقائق السياسية والاجتماعية. لذا في أعقاب فتح الآهوميين تحررت اللغة الأسامية من رباط شمال البنقال وتنامت لتتخذ الشكل الخاص بها.

أنشئت السلطة البريطانية في أسام في سنة 1827، لكن قبل ذلك قام مبشرو سيرامبو Serampore بترجمة الإنجيل عن طريق علماء

أسامين تقليديين ونشره في سنة 1817. ظهرت بدايات عصر جديد للغة والأدب الأساميين مع إصدار صحيفة «أرونودايا سادمفاد باترا» Arunodaya Samvadpatra عام 1846، ونشر كتب لمبشرين من أمثال براون وبرنسون وغيرهما، وإنشاء المدارس الإنجليزية. بعد ذلك، أطلق أناندران دينكيال بوكان Phukan (1829–1859) زمام المبادرة لهذا الأدب الأسامي الجديد: نقل اللغة العامية في وسط أسام إلى لغة هذا الأدب، ومن بعده أتى شابان متعلمان متمكنان هما هيمتشاندرا باروا Hemchandra Barua (1835–1897) وقونابيرام باروا Gunabhiram Barua (1837–1895). كتب هيمتشاندرا عن العديد من الموضوعات حتى أنه ألف معجماً، سماه «هيماكوس» Hemakos. وكان قونابيرام مصلحاً اجتماعياً في العقيدة البراهمية، وأصدر أيضاً الدوريات الأدبية، مثل «آسام–باندو» Asam–Bandhu (14 مجلداً كاملاً صدرت لأول مرة في عام 1885)، وكتب أول مسرحية مأسوية بالأسامية، «رامنابامي» Ramnabami، لمناصرة زواج الأرامل للمرة الثانية (كتبت في عام 1857 ونشرت أول نسخة مطبوعة لها في عام 1870). من بعدهما، تقدّم الشباب الأسامي الدارس والمتعلم في كلكتا: ولدت الحركة الأدبية الأسامية من مجلتهم الأدبية «جوناكي» Jonaki (عام 1889). لمع من بيت هؤلاء الأدباء لاكشمينات بيجباروت Lakshminath Bejbarud (1868–1938)، الذي تزوج من عائلة طاغور بكلكتا: تضيء مساهماته في

مجالات متفرقة عديده، وتحديداً الشعر، والمسرحيات، والقصص القصيرة،..إلخ. وكان هيمتشاندرا قوسامي Gosami (1879–1928) وتشاندرا كومار أقروالا Chandrakumar Agarwala، زميليه في مجموعة «جوناكي». أغنى الاثنان الأدب الأسامي، تشاندراكومار من خلال الشعر، وهيمتشاندرا التربوي المتفاني من خلال المباحث والمقالات وتحقيق الكتب التراثية القديمة. مع ذلك ومنذ ذلك التاريخ، لم تكن هناك ندرة في المؤلفين في الأدب الأسامي: ظهر في حقول الشعر شعراء من أمثال راغونات شودوري Raghunath Chaudhuri، وأمبيكاقيري راي شودوري Ambikagiri Ray. كما ظهر مؤلفون جدد في كل فروع الأدب تقريباً. من المحال أن نشملهم بالذكر جميعاً. في أدب النوع «الحديث» بدأ الأدب الأسامي المعاصر عهداً جديداً آخر. يناضل الأدب للتخلص من القيود والمحظوارت وليصبح أكثر تحرّراً. ومن جانب آخر، تمت ترجمة «المهابهاراتا» إلى الأسامية من جامعة قواهاتي Guwahati: من بين هؤلاء المؤلفين المعاصرين أسماء مألوفة لدينا وهم: ياتيندرا ناث دوارا، وأمبيكاقيري راي شودري، ونالينيلا ديفي، والكاتب المسرحي جيوتي براساد أقاروالا، والروائيون، لاكشميدار شارما، وزاديكا موهان قوسوامي، وعبد المالك يوكيش داس، والمعلم سوريا كومار بوران، وبيرنشي كومار باروا..إلخ. لكن أسماء عديدة تم إغفالها، ومع ذلك يمكننا التعرف إليهم بأنفسنا. عندما

تبدأ بقراءة اللغة الأسامية، لن تبدو لك عصية الفهم.

اللغة البنقالية

البنقالية (أو البَنقلا Bangla) هي اللغة الرئيسية في البنقال الغربية (في الهند) وهي أيضاً لغة الصدارة في بنقلادش. بحسب التعداد السكاني لعام 1981، البنقالية هي اللغة الأم لنحو 44،792،312 نسمة. وفي بنقلادش، يقترب الرقم من 110 ملايين نسمة. وبالإجمال البنقالية هي اللغة الأم لما يزيد على 150 مليون نسمة[1].

انتشار اللغة

البنقالية هي إحدى «اللغات القومية» في الهند، وهي اللغة الرئيسية لولاية البنقال الغربي، التي توجد فيها أيضاً لغات أخرى من حيث عدد المتكلمين.. هي اللسان الثالث الأكثر نُطقاً [في الهند]. الأولى هي الهندية 264،514،117، والتيلوقو ثانياً 50،624،611. وعلى الرغم من أنها تأتي في الترتيب الثالث، فإن الماراثية تأتي بعدها رابعاً بفارق ضئيل 49،452،922 نسمة. عالمياً، تحتل البنقالية المرتبة السابعة أو الثامنة، وبما أنها اللغة الرئيسية في بنقلادش، فإن هذه اللغة تتمتع بأهمية سياسية كبيرة. ومثلما للهندية أهمية سياسية عظمى في الهند،

(1) حالياً هذا الرقم يتجاوز 200 مليون نسمة، وتأتي البنقالية في المرتبة السابعة على مستوى لغات العالم من حيث عدد الناطقين وتأتي الهندية خامساً والعربية سادساً (قرابة 300 مليون). [المترجم]

فإن للبنقالية أهمية سياسية في بنقلادش لا يمكن التقليل منها. الألق السياسي للبنقالية في المحيط الدولي لن يفقد بريقه لهذا السبب إطلاقاً. داخل الهند، المكانة القومية للبنقالية لا تماثل مكانة اللغة الهندية. لكن في المجال الثقافي، لا تقل قيمتها عن غيرها من كافة اللغات الهندية. أُضعفت البنقالية في الهند في بعض أوجهها بتقسيم البلاد. ومع ذلك، إذا أحب البنقاليون لغتهم، فلا شيء يبعث على القلق: تملك منزلة ثقافية خاصة وستظل اللغة الأم لملايين البشر[1]. البنقالية لا تزال إحدى اللغات المتصدرة في العالم في قوتها التعبيرية وجمالها وعذوبة ألفاظها. في إنجازها وابتكارها، فإن لغة رابندرانات طاغور تحظى بوافر الاحترام بمقياس أجمل لغات العالم. لهذا، يمكن هنا تقديم بعض الحقائق المعروفة للقليل —من الضروري ذكر معضلات اللغة البنقالية التي يتوجب علينا، نحن البنقاليين، الإلمام بها.

مقدمة أولية

نشير في هذه المقدمة إلى أن مصطلح «البانقا» Banga، بمعنى الأرض واللغة، يُكتب بإحدى الطرق الأربع أو الخمس التالية: Banla، Bamla،(Banala)، Bangla، Bangala. كل هذه الصيغ

(1) بما أن النص الأصلي مكتوب بالبنقالية، يفترض المؤلف أن يكون معشر القراء من البنقاليين، وهكذا يتوقع من القراء معرفة شاملة بالأدب واللغة البنقاليين. ويفترض المؤلف أيضاً وجود توجه بنقالي اجتماعي- ثقافي مشترك مع قرائه، وليس بالضرورة أن يشاركه فرد ما قد يقرأ عمله في ترجمة إنجليزية [أوعربية].

«فصيحة». لكن ولأسباب تعود إلى كتابة الخط البنقالي، من المستحيل أن تكتب bamali بالصوت الصائت (a) مباشرة بعد m الرمز الصامت الأنفي (الملفوظ أصلاً بشكل مركب)، للإشارة إلى مجتمع المتكلمين البنقاليين:إذاً من أجل اتساق الأفكار، هل هناك اعتراض على استخدام n الرمز الصامت (الأنفي اللهوي) أو ng الرمز الصامت الموحد بدلاً من m، من الذين يكتبون Bamga أو bamla؟ من حيث النطق، قد ننصح بكتابة banga أو bamla للإشارة إلى اللغة، وكتابة banali أو banali للإشارة إلى جميع ناطقيها.

في الأزمنة الغابرة، دلّ مصطلح Vangaعلى البنقال الشرقية فقط، أما البنقال الغربية فكانت تسمى Rarha أو Suhma. وسط شمال البنقال كان يدعى «فارندرا» Varendra، وجرت العادة على تسمية دلتا البنقال الجنوبية «سامتاتا» Samtata. البنقال الغربية مع إقليم وسط الشمال البنقالي «فارندرا» يطلق عليهما معاً «قاودا». كان بالإمكان أيضاً أن نستخدم «قاودا–فانقا» للإشارة إلى كامل إقليم البنقال، وكلمة Kamrup أو Bragjyotish للدلالة على آسام الغربية حالياً والجزء المتاخم من البنقال الشمالية.. هذه الحقائق يجب أن نعيها.

اللهجات

نعلم أن هناك الآن بضع لهجات إقليمية للغة البنقالية، كما أنها

تسمى عموماً اللهجات الفرعية. في أيامنا هذه نسمى لهجات البنقالية، وفقاً للمقاطعات التي تتكلم بها، فمثلاً لهجة أهل داكا، لهجة أهل مانبوم،..إلخ، ولهذا حسناته. مع ذلك، لم تندثر تماماً أسماء بعض الأقاليم والمقاطعات. على سبيل المثال، «البيكرمبورية» Bikrampuri، أو «الساتاقية» Satagaiya اسم يستعمل في البنقال الشرقية للهجة إقليم «راره» في الجنوب الغربي Rarh). نقطة للملاحظة: يختلف الكلام عبر المسافات وإن كانت أميالاً قليلة، ويأخذ أشكالاً متباينة في المجتمعات الدينية المختلفة أيضاً. ولكن هذا يعد فقط فرقاً في الأسلوب أو فرعاً من النوع الأصلي. في ما يلي القليل من اللهجات الكبرى بالبنقالية (قارن: 1.LSI، vol).

1) لهجة إقليم البهاقيراتي Bhagirathi — شكل مميز لعامية المناطق الكائنة على ضفاف نهر البهاقيراتي، في وسط غرب البنقال، وقد انبثقت لغتنا العامية المقبولة الفصيحة من لهجة المتعلمين في هذا الإقليم.. نرى شكلها هذا في الجملة التالية:

Ek–ti lok–er du–ti «واحد– فرد لرجل اثنان– فرد أبناء كانوا» chele chila

في كلام النساء، قد تصبح chilla «كان/كانوا» chela.

2) لهجة البنقال (أي البنقال banal) — هذه أساساً عامية وسط شرق البنقال ومركزها يكون تقريباً مقاطعة داكا (في بنقلادش حالياً).

(مانيكانج Manikang):

ek–jan–erdurdi chaoal achilo «لشخص–واحد اثنان أبناء كانوا».

(بيكرامبر):

ek–jan–er dui–ta pola achilo «لشخص–واحد اثنان أبناء كانوا».

3) لهجة المنطقة الجنوبية– الشرقية — يمكن أخذ تشيتاقونغ كأحد المراكز، وسيلهيت هي مركزها الآخر. الإيضاح التالي عن لهجة تشيتاقونغ هو:

uggoa mainshyer dua poa achil «واحد لرجل اثنان ابناء كانوا»

وعن لهجة سيهليت:

ek–jan manusher dui pua achil «واحد– شخص لرجل اثنان أبناء كانوا»

4) البنقال الشرقية الوسطى — يمكن اعتبار إقليم «خولنا» khulna مركزاً لهذه اللهجة، أو حتى «جيسور» (في بنقلادش). مثال على لهجة «خولنا» الفرعية هو:

aek jon mansir dui chaal chilo «واحد شخص لرجل اثنان أبناء كان/كانوا»

5) شمال البنقال —يمكننا أخذ إقليم ديناجبور Dinajpur باعتباره

مركزاً لهذه اللهجة، ولايضاح ذلك:

ek–jan manusher dui chaoa chila «واحد– شخص لرجل اثنان أبناء كانوا»

(لهجة كوشبيهار رانقبور تبدو مغايرة قليلاً).

6) إقليم الحدود الغربية — باعتبار أن مركز هذه اللهجة هو إقليم مانبوم Manbhum.

ek lok–er duta beta chila «واحد لرجل اثنان–أفراد أبناء كانوا»

لا حاجة إلى القول: إن هذه هي أقاليم اللهجات الكبرى، وأمثلة عن تلك اللهجات. توجد المقادير المتفاوتة من التنوع في ثنايا كل لهجة. ناهيك عن كل هذا، البنقالية القبائلية شائعة الاستخدام في المقاطعات الحدودية، في بورينا وسنقبوم في الغرب، وفي أوساط القبائل بأقصى الشرق، مثل الهاجونغ Hajong والشاكما Chakma (قارن: *LSI*, vol.1).

ربما تسمع أو تبدو لهجات البنقال مختلفة في ظاهرها. ومع ذلك فإن لهجات البنقال المتفرقة ليست بعيدة كثيراً عن بعضها بعضاً. لاحظنا سابقاً أن الاختلافات الصوتية تشكل الأساس لتلك الفروق. إجمالاً، الفروق النحوية بينها، ليست كبيرة. واللهجات البنقالية في بعض الجوانب أشد محافظة من اللغة العامية الفصحى: إما أن

الأخيرة مرت بالمراحل التي تمثلها [حالياً] وإما أنها انحرفت عن تلك المراحل، ووصلت إلى مرحلة جديدة أخرى. ما نطلق عليها اللغة النقية (سادو–بهاشا sadhu–bhasha) — الأسلوب الأدبي القديم في اللغة المكتوبة— تعطينا تصوراً عن هذه المراحل القديمة، من خلال صيغ أفعالها، وسمة أو اثنتين غيرها.. إنها، بهذه التصورات، مقاربة لبعض اللهجات البنقالية. على سبيل المثال، اسم الفاعل (الصيغة الفصيحة) «رائياً» dekhiya هي deikhya في البنقالية القديمة وعدد من اللهجات الإقليمية (وأصبحت dekhiya عبر الإقحام، أو إدخال الحرف، الأول ومن ثم deikhya)، وأصبحت dekhya بتغير حرف العلة ((Umlaut أو من خلال نوع من الوصل الداخلي (Sandhi) ومن ثم dekhye حتى أصبحت أخيراً (الصيغة العامية) dekhe. وعلى نحو ذلك، كلمة gachua «تسلق الشجرة» تكون gacha باللهجة الفرعية البنقالية، وهي gecha في اللغة الفصحى(1). إلى جانب ذلك، السبب الرئيسي لهذه الفروق هو أن الصائت في اللغة العامية الفصحى، يسحب على صائت آخر في الكلمة ليجعله علوياً أو سفلياً في ارتفاع اللسان [أرفع منه أو أخفض]، بمعنى أن اللغة العامية الفصحى تختص بـ «التناغم الصائت»(2). على سبيل المثال، لدى

(1) الصيغة gachua (تسلّق الشجرة) يمكن تحليلها بأن gach «شجرة» +ua «لاحقة أو حرف زائد لصياغة الصفة».

كقولك «مشجري»، مولع بتسلق الاشجار، إذا صح التعبير. [المترجم]

(2) أي أن هناك انسجاماً في حركة الأصوات اللينة، أو الصوائت. [المترجم]

اللهجة البنقالية الشرقية karaha/kara «يعمل»: أو النوع الفصيح «السادو» لكن هذه الصيغة هي karo/koro في العامية المقبولة، أو «الشالتي» Calti (الفصحى العامية). likhi «أكتب/نكتب»، se likhe «يكتب/تكتب» باللغة الفصيحة هما (se) lekhe بالفصحى العامية، وشبيه بذلك، bujha في الفصحى العامية purohit «كاهن»، puroit في لهجة أصحاب داكا، لتؤول إلى purut في الفصحى العامية. khariddar «زبون، شار» هي khodder في الفصحى العامية. وهكذا، dhula «غبار» تصير dhulo، duita «شخصان» تصبحduto «نفران». طبعاً، بالإضافة إلى هذا، طرأت تعديلات في لهجة (البنقال) الشرقية على نطق مسلسلة– ش sh من الصوامت (ش، س، ج..إلخ)، وعلى الملفوظات المهموسة (ق، ده، به gh، bh، dh..إلخ)، وعلى r المنثني المنصفق، وعلى مخارج الصوائت من الأنف، حيث توجد كل هذه الفروق، ونعرفها أيضاً كأشخاص عاديين، لكنها فوق كل ذلك من شأن علوم اللغة.

الحقيقة هي أنه بصرف النظر عن مقدار التنوعات الإقليمية، تم القبول بصيغة معلومة للغة البنقالية لتكون الصيغة المعيارية: هذه هي لغة الإقليم القانجى. في «المنسابيجي» Manasabijay (فتح المنسا لفيجي قوبتا Vijaygupta، وفي «المهابهاراتا» لباراقال Paragal (شعراً)، كتب كلاهما في البنقال الشرقية– نجد أيضاً أن مؤلفي البنقال الشرقية قد قبلوا أيضاً بهذه الصيغة المعيارية. في نثر المحاورات (كما

في (Crepar Xaxtror Orthbhed) نجد الكلام العامي البنغالي[1]. سيكون الأمر غير اعتيادي إذا لم يكن موجوداً في لغة التخاطب. ونجد في المراسلات الشخصية القديمة أيضاً، أن الصيغة الفصحى مقبولة من جميع الأطراف قاطبة.

صيغ اللغة «العامية» واللغة «الفصيحة»

نعرف أيضاً أن هناك صيغتين قياسيتين في الأدب واللغة البنغاليين وهما صيغتا «السادو» (Sadhu نقي أو فصيح) و«الشالتي» (Calti العامية أو الدارجة). الحل لهذه المعضلة (الثنائية اللغوية) موجود بشكل عفوي[2]. منحت بنغلادش الاعتراف الرسمي لصيغ «الشالتي» الدارجة. في البنغال الغربية أيضاً، هناك هيمنة لصيغة اللغة العامية «الشالتي» في حوارات المسرحيات على «إذاعة عموم الهند» وفي الأفلام والأدب المتنوع. ومن ناحية أخرى، لغة «السادو» لا تختلف الآن إلا قليلاً عن لغة «الشالتي»، بسبب صيغ أفعالها، وغياب التناغم في صوائتها: اقتربت هاتان الصيغتان من بعضهما بعضاً. لا يوجد حذف غير ضروري من السنسكريتية بعد

(1) نص «كريبار خاخترير أورثيبد» (Krpar Shaahtrer arthabhed) «تفسير كتاب الرحمة» نشره الشيوخ البرتغاليون في البنغال، وكتب بالبنغالية لكن بالحرف الروماني، تبعاً لقواعد الخط البرتغالي.

(2) يستخدم الكاتب العبارة two standard forms وهو يقصد ما يعرف بـ «ثنائية اللغة» أو diglossia أي وجود شكلين للغة: عامي وفصيح، كما هي الحال هنا مع البنغالية، وكما هي حال اللغة العربية أو اللغة اليونانية، مثلاً. [المترجم]

اليوم، ولا إسراف غير مرغوب. لذا فمن غير الضروري قول الكثير بهذا الشأن هنا. وعوضاً عن ذلك، إن ما نحتاج إليه هو تقديم التذكير الموضوعي بهذا الخصوص. يجب تعلّم اللغة الفصحى «السادو»، وننصح بالتمرّن على الكتابة بهذه الصيغة أولاً، وبعد ذلك، يسهل دوماً سماع وفهم اللغة العامية «الشالتي». ليس من الصعب أيضاً إتقانها كتابةً إذا افترضنا وجود ما يكفي من التطبيق.

مع ذلك فإن حل المشكلة في الكتابة يلزمه وقت. على سبيل المثال، هناك تساؤل حول ما يجب أن يكتب به المرء، سواء «بالشالتي بانلا» calti banla (البنقالية العامية الدارجة—بالمصطلح العامي) أو بالشالتي بانلا calit banla (البنقالية المتداولة —بمصطلح السنسكريتية). سيظل هذا السؤال قائماً إلى حد بعيد. إن تعابير عيوننا ووجوهنا تكمل لغتنا المنطوقة، ولا يوجد مجال لهذا في الكتابة. أضف إلى ذلك أن من المستحيل التقاط الشكل الكامل لكلامنا بواسطة رموزنا الكتابية. على القارئ أن يفهم أين تكون الصوائت صامتةً [لا تلفظ]، ودرجة استدارة الشفتين بصوائت مثل a أو o. لذا حتى لو توخى المرء زيادة في الحذر، وكتب بالبنقالية المتداولة، فإن ذلك ليس غير مقبول في صيغة اللغة العامية الدارجة.. ليس حتى في الخطب الملقاة أو في المحادثات. من بين صيغ الفعل chilem، chilam و chilam «كنت/ كنا»، صيغة chilum هي الشائعة في لهجة أهالي كلكتا. لكن هل الحل كذلك في الكتابة؟ أو

أن chilam هي الأكثر شيوعاً في الكتابة؟ بطبيعة الحال، هناك حدود حتى لهذا [الاختيار] الذي يجب أن يلم به الكاتب. هناك حدود عند كلا الطرفين: كما أن كتابة shor (بدلاً من shuor «خنزير») و pasker (بدلاً من parishkar «طاهر»، نظيف»)، سنعتبرهما عاميتين في الكتابة. كذلك أيضاً، عدم كتابة mithe (بدلاً من mista «حلو»)، bhetar (بدلاً من bhitar «داخل»)، و abhyes (بالعامية هي obbhesh بدلاً من abhyas «عادة»)، لن تكون تَنقِيَة [تهذيباً] بل مفرطة التفاصيل. ماذا عن الأخذ بصيغة وسطية تكون «المعيار» في لغة الكتابة؟ ما الضير في كتابة shuor «خنزير»، أو abhyas «عادة»، أو حتى bhitar «داخل»؟ يمكن بعد ذلك زيادتها أو خفضها قليلاً بما تقتضية الضرورة. وربما في قواعد التهجئة العامية أيضاً، يجب أن يكون هذا «النهج الوسطي» المعيار العام.

مع ذلك، فهذه ليست مشاكل في التهجئة- هذه الإشكالات قائمة أيضاً. تم توسيع وتلطيف قواعد التهجئة القديمة في البنقالية إلى درجة كبيرة منذ ثلاثين عاماً. مع ذلك، هذه هي القواعد، أي ما يرضيك قد لا يقبله الآخرون. تهجوات بديلة كثيرة، تم اعتمادها في معجم شالانتكيا Calantika [1]. رغم ذلك، فالفوضوية قادمة الآن إلى ساحة التهجئة. ويشعر كثير من الكتاب بذنب هذه الخطيئة. في

(1) قاموس بنقالي أعده الكاتب والساخر البنقالي الشهير راجشيخار باسو Rashekhar Basu، وهو أيضاً من ترجم «الرامايانا» و «المهابهاراتا» من الأصل إلى النثر البنقالي الحديث.

النطق، أيضاً، تجد بعض الانحلالات رواجاً لها رغم أنها خاطئة. على سبيل المثال، أكثر الناس في منطقة كلكتا يلفظون الآن صوت «ش» sh كصوت «س» s، على الرغم من اعتباره علامة على قلة التربية/ التعليم. من يعلم إلى أين سيفضي بنا النطق الرخو لحروف مثل b، d في عبارات شفاهية مثل: «كي باوا» Ki–baoa (بدلاً من كي بابا؟ Ki–baba — حرفياً « ماذا، أبتي»؟)، كي دَدَا؟ (بدلاً من «كي دادا؟» —حرفياً، «ماذا، أخي؟»)؟

خصائص اللغة البنقالية

نطق الصوت «ش» sh (كما في الكلمة الإنجليزية ship) سمة تقليدية في لهجة البنقاليين. في الفرع الشرقي من اللغة الهندية-الآرية، ظهر انحراف في نطق الأصوات- عرفنا في ما سبق أن «ر» r تنطق مثل الصوت «ل» L ، (alayah) «أعداء» محل arayah)، وقد اختفى هذا مع مرور الزمن. في البراكريتية، نجد أن الصافرين الأصليين «ش» و«س» أصبحا «س» في الشوراسنية، و«ش» في البراكريتية المقاذية. لهذا السبب، تكون السمة المميزة للهندوستانية، أو الهندية-الأوردية، نطق الصوت «س»، وخاصية البنقالية هي نطق الصوت «ش» sh. في كيان البنقالية، نطق الصوت «ش» هو النطق العام، ونطقه «س» s فقط عندما يرتبط بصامت من مسلسلة- t(n, th. t أو l. r)، (كما في stap «تأبين»)، sthan «مكان»)، snan

«حمام غُسله») sri «إزهار، ثراء» slil «محتشم»). عندما يأتي مباشرة قبل صامت منثٍ (مسلسلة th–t، t، t..إلخ)، فإنه يلفظ منثنياً قليلاً كصوت «ص» [خفيفة]، (كما في asta «ثمانية»..إلخ). عدا ذلك، فإن الصوت الحنكي- السنخي «ش» صوت مميز في البنقالية. في ما يخص النطق، طبعاً، للبنقالية خصائص مميزة غيره أيضاً: على سبيل المثال، نطق a قصير المد (إلى aw أو o)، وغياب صوت a الملفوظ قصيراً، ونطق الأصوات الممدودة j: و u: كصوائت قصيرة، والاختفاء الوشيك لمثل w/v..إلخ. إلى جانب ذلك، الميل نحو نطق منزوع المقاطع، ووضع النبر على المقطع الأول للكلمة الرئيسية (حاملة المعنى). الفصحى البنقالية لها كل هذه السمات، ولكنها أمور تخص الصوتيات اللغوية. وعلى العموم، نلمح تشابهاً صغيراً بين البنقالية والسنسكريتية، رغم أن البنقالية تتحدر من العائلة الهندية-الآرية نفسها. حالما يفتح المرء كتاباً للقواعد البنقالية، سيرى إلى أي مدى تتطابق قواعد النحو السنسكريتي حقاً مع البنقالية، أو لا تتطابق، إذا ما قورنت بالسنسكريتية في النطق، وفي تعريفات الأسماء، وفي أجناس الاسم، وعدده،..إلخ، واستخدام الزمن، وحالة الفعل، والبناء لصيغ الأفعال، وفي النحو، وحتى في استخدام البنقالية للواحق الاشتقاقية وتغيراتها (قارن Saral Bhasha-Prakas Banla Byakaraa, 1966). نلحظ أعظم التشابهات في مسارد المفردات. السبب في ذلك، أن البنقالية أخذت من السنسكريتية، المفردات

متى وكيفما احتاجت إليها ولا تزال كذلك. تُطبّق قواعد التهجئة «الساندية» (الوصل) والملحقات الاشتقاقية (krt،taddhita) على هذه الكلمات السنسكريتية، وفقاً لقواعد النحو السنسكريتي. في هذه الأمور، النحو البنقالي لا يقصي النحو السنسكريتي، بل على العكس، يحترمه.

تقبلت البنقالية أيضاً، كلمات فارسية- عربية، (2500 تقريباً) ومن بينها استخدمت عدداً قليلاً من الإزادات الفارسية- العربية لصياغة كلمات جديدة (كما في be–phas «دون قيد/ طليق»، gar–jajir «غير موجود/ غائب»، manna–sai «يناسب تماماً/ منطبق»). وعلى الرغم من أن البنقالية قبلت كثيراً من الكلمات الأوروبية، إلا أنها لم تستطع توليد كلمات جديدة منها بالطريقة نفسها. من الكلمات المتداولة diputi giri «الوكيل ينادي»، jajiyati «مهنة القاضي»، وقد يحدث من باب المزاح استحداث كلمات مثل diputi–tra «وَيْكِلة» (من كلمة deputy «وكيل»+ اللاحقة –tva السنسكريتية الدالة على الحقل العام للاسم المفرد). البنقالية «لغة خلاّقة»، لأنها تبتكر مفردات جديدة من المصادر السنسكريتية: إنها ليست «لغة مستعيرة». دعوا الإنجليزية جانباً، لم تستطع أن تأخذ كثيراً من الفارسية والعربية. ومع ذلك، ففي بعض الجوانب، لا تزال للبنقالية تشابهات مع الإنجليزية أكثر من النحو الفارسي أو العربي. ومردّ ذلك أن البنقالية تاقت إلى أن تصبح أبسط من السنسكريتية،

بدلاً من أن تكون لغة تركيبية، فقد حاولت أن تصبح لغة تحليلية. في البنقالية، يمكن أن تقول chatra–ra « طلاب»، chatra–sakal «طلاب– كل» (ستكون تحليلية)، pare «يقرأ/يدرس» (تحليلية: لا تميّز العدد في صيغ الأفعال البنقالية، وتقريباً لا تختلف الإنجليزية أيضاً (عدا مع زمن المضارع)[1]. لكنها مثل السنسكريتية، تصوغ أسماء الجمع، بإضافة نهايات (كما chatra–ra «طلاب»)، وهذا نمط تركيبي. ومع ذلك فإن مثل هذه النهايات ra (الجمع السالم) وder (جمع التكسير) تميل إلى الحدوث مع الأسماء الحية عموماً [خلاف الجماد].

لكي نقول جملة وتفصيلاً ما هي خصائص اللغة البنقالية، فإن كتابة قواعد البنقالية كاملة، لن تكون كافية. لذا فإن محاولة القيام بذلك هنا أمر سخيف. في أفضل الحالات يمكننا الإشارة إلى سمات النطق، وإلى القليل من الأمور الرئيسية الأخرى، التي يمكن للمرء رصدها على المستوى العام. نعرف اللواحق (المصنَّفة) مع الأسماء في البنقالية —ti، ta، guli، khan. نؤدي عملنا المراد من خلال حروف الدفع: guli (مع الجمع)، رفعاً ونصباً وجراً). diye «بواسطة»، theke «من»، opare «فوق، على»— من أن نؤديها بنهايات حالة الأسماء. وقد انخفضت الفروق في الصفات والأفعال، وفقاً للعدد والنوع،

(1) هناك فروق في اللغة الإنجليزية بالنسبة لعدد الفاعلين مع الفعل غير المضارع البسيط، المفرد، فهو موجود في أفعال الربط copula المعروفة بـ Be، في الحاضر والماضي أيضاً. [المترجم]

ولكنها لم تختفِ تماماً». يمكن أن نقول sundar chele «فتى جذاب»، sundar meye «فتاة جذابة»، لكن ليس rupasi purush «رجل جميل (للمؤنث)» أو rupaban purush «امرأة وسيمة (للمذكر)» — هذه القاعدة غير مقبولة في حالة الكلمات السنسكريتية. بالنسبة للأفعال، اختلطت ببعضها النهايات الصرفية للأفعال مع مختلف الفاعلين، على الرغم من وجود تفريقات في الفعل مع الفاعل المتكلم والمخاطب والغائب، بغض النظر عن عدده ونوعه، نستخدم karti «أعمل/ نعمل»، karaba «سأعمل/ سنعمل»، kartan «عملت/ عملتَ»، kara «تعمل/ تعملون/ تعملان..»، karbe «ستعمل/ ستعملين..»، karle «عملتم/ عملتِ، kare «هو/ هي/ هما/ هم/ هن يعمل»، karbe «سيعمل/ ستعمل/ سيعملون..»، karla أو karle «عملت/ عمل/ عملوا..». في التركيب والاشتقاق أيضاً، لدى البنقالية جملة من العمليات والابتكارات الخاصة بها: الأفعال المركبة (مثل kare Jaou «يتابع العمل»، uthe–pare–laga «يقرر العزم» —حرفياً «يعمل الشيء طلع أو نزل»). كلمات السحب والإرجاع (مثل tal–tal، tuk–takatak، tak–tak، tak–tuk. «(الماء) صافٍ، لامع، مشعشع، زلال» matha–munda «هُراء»— حرفياً «طار الرأس»)، lite–pute «سرقٌ ونهبٌ»، baht–tat «أرز ومثله»)، bha–bhat «الهوية/مِن مَن؟». هذه أيضاً أرصدة لغوية موجودة في بقية اللغات الهندية، ولكنها مع ذلك أرصدة خاصة بالبنقالية. لا تزال

صِيَغ الأفعال في البنقالية تثير المصاعب، إذا ما قورنت بلغات مثل السنسكريتية أو الإنجليزية. جميعها متجانسة إلى حد بعيد جداً، ولا يمكن أن نتقدم من دون المساعدة من أفعال مثل kar «يعمل»، have «يكن»..إلخ. إن النحو في اللغة الهندية–الآرية الحديثة هو أيضاً من النمط نفسه، بيد أن ترتيب الكلمات في [الجملة] البنقالية مَرِنٌ بعض الشيء، لكنه ليس كذلك في مجمله. إنه مطواع إلى «حد» ما، ومرة أخرى تظهر هنا قضية «الحَدّ».

الأدب البنقالي

حتى لو كان بإمكان المرء الحديث عن اللغة البنقالية باختصار، فلن يغفر القارئ البنقالي الحديث عن الأدب البنقالي باختصار. هذا هو السبب الذي يلزم القارئ بأن يطلع على ما نقدمه هنا، حتى وإن ألَمَّ بالقليل المُختصر، وعليه نلفت الانتباه إلى جملة من المسائل والحقائق.

بدايةً: تعود ولادة اللغة البنقالية وآدابها إلى نحو ألف عام. يرغب البعض في إرجاع ولادتها إلى الوراء بزيادة قرنين أو ثلاثة من الزمان، لكن دعونا نفترض أن عمر الأدب البنقالي ألف سنة. كما أن ميلاد اللغات الكبرى للهند حالياً حدث حول ذلك الزمن، سواءً زاد أو نقص بقرن أو قرنين. ربما ولد القليل منها متأخراً بقرنين أو ثلاثة. الكنز الرئيسي للأدب واللغة البنقالية في بداية عهدها ذلك، هو ملحمة «التشاريابادا»، علماً أن الهندية ادعت في ما مضى ملكيتها «للتشاريابادا». لقد ذكرنا سابقاً أن للميثيلية والأسامية والأورية الحق

فيه إلى حد ما. لكن من وجهة نظر تاريخية لغوية، يبدو أن ادعاء البنقالية هو الأقوى، ويظهر فيه الدليل المبكر على لغة البنقال الغربية بيّناً وجلياً. في ما يلي نضع تقسيمات المراحل التاريخية للأدب البنقالي:

1- الأدب البنقالي القديم: قرابة 950–1200 ميلادية.

2- الأدب البنقالي الأوسط: 1200–1800ميلادية.

أ). الفترة الانتقالية:1200–1350ميلادية (لا يوجد فعلياً دليل على الأدب البنقالي في هذه الفترة).

ب). المرحلة الأولى أو المبكرة:1350–1600 ميلادية.

ج) المرحلة الثانية:1600–1800 ميلادية.

3- الأدب البنقالي الحديث أو الجديد: 1800 ميلادية وما بعدها.

ويمكن أيضاً تقسيم الفترة الحديثة إلى مراحل:

1- مرحلة الإعداد: 1800–1858 ميلادية.

2- مرحلة التحقيق:1858–1905 ميلادية.

3- مرحلة الصراع أو مرحلة إثبات الذات: 1905–1947 ميلادية.

الأمثلة على الأدب البنقالي القديم هي «الأناشيد» السبعة والأربعون للتشاريابادا Caryapada: كلمة pada تعني «ترنيمة» أو «أنشودة». هذه أناشيد للمعلمين الأوائل من أمثال كانهابا Kanhapa وساروهابا Sarohapa، وتحتوي على عبارات مهمة ذات صلة بالعبادة البوذية. لم نعُد نفهم لغة «التشاريابادا» وهناك مشقة أيضاً في فك رموز معانيها.

مع ذلك، يمكن استيعابها إذا تم شرحها للمتلقي. أشعار قليلة متراصة الحبك والبناء بـ «التشاريابادا» تولّد الصور الشعرية الجميلة.

من جانب، تطور «الشعر الروائي» mangalkavyas في الفترة البنقالية الوسطى (1200–1800)، ومن جانب آخر تم تأليف ما يعرف «بترجمات» الرامايانا، والمهابهاراتا، والباقافاتا. وتلا ذلك ظهور السيد تشيتانيا (1486–1533) على المشهد الأدبي، ومن ثم برزت تراجم السير وسلاسل الأناشيد الفاشنافية الدينية (البادابالي padabalis). وصف البعض تلك الحقبة :بعصر «السيد تشيتانيا» (1500–1700)، والحقبة التي تلاها «بعصر النواب» Nawabs(1700–1800). في ما يتعلق بالشعر والشعراء، كان أول المؤلفين في الفترة الوسطى، كرتيباسا krttibasa الذي يرجح أن مؤلفه «الرامايانا» قد كتب عام 1418، وقد تغيرت فيه اللغة إلى درجة كبيرة على أيدي ناسخي الكتب، وأضيفت إليه حكايات جديدة. لذا بالرجوع إلى اللغة، فإن الإنتاج النموذجي الثاني في النظم البنقالي بعد «التشاريابادا»، هو « شريكرشنا كيرتان» Srikrshnakirtan بقلم أنانتا باور تشانديداس Chandidas (قرابة 1450). لغة النص هي الشعر، ولا يصعب استيعابها، على ما فيها من حشو أخرق، وهو من شعراء ما بعد الحقبة الشاتنائية. وهناك شاعران آخران، على الأقل، يلقبان «بالتشانديداس»، كتبا شعر الأناشيد بعد الحقبة الشاتنائية: أحدهما «ديفيجا تشانديداس» الذي كتب بعد عهد تشيتانيا بوقت قصير. وهو صاحب أفضل الغنائيات الفاشنافيه

(أو الترانيم padas) على ما يبدو، والثاني «دينا تشانديداس الأول» Dina (قرابة 1600) وكتب العديد من الترانيم ذات الجودة المعتدلة والإلهام الخفيف، إلا أنه من حيث التسلسل الزمني فإن «شري كرشنا بيجي» Srikrshnabijay (قرابة 1475) لصاحبها ملادار باسو Maladhar، تعد الأقدم، وهي ترجمة للباقافاتا. أضف إلى ذلك أن [ترجمة] المهابهاراتا لكبيندرا برامشوار وشريكار ناندي قديمة أيضاً، وهي أول مهابهاراتيا» بالبنقالية. كانت هذه فترة حكم السلطان حسين شاه وابنه نصرت شاه (1492 إلى 1535 تقريباً)، ويقال إنها فترة «العصر الذهبي» للأدب البنقالي. أناشيد البادا والشعر الروائي في «المانقال كافيا» —وهما نوع خاص من النظم القصصي يمجد عظمة بعض المدن.. كتبا مثل كثير من النصوص في هذا التاريخ، ومنها «المناسا منقال» Manasamangal. كان أول من ألفها بيرداس Bipradas (1494) وشاعر آخر اشتهر معه هو فيجي قوبتا. من بين مؤلفي «التشاندي منقال» Candimangal جوهرة الشعراء (Kabikankan) موكوندرام شاكرابارتي، أعظم شعراء عصره. كان الشاعران جينانداس وقوبينداداس من بين الشعراء الكبار في الأناشيد الفاشنافية. وفي هذه الفترة أيضاً نجد كتّاب حياة تشيتانيا، من أمثال براندابان داس. لكن مع حلول المرحلة الثانية (1600–1800)، ظهر الكثير من مؤلفي أناشيد البادا. من بين المرموقين الكبار في تلك الترانيم الغنائية، شعراء من أمثال كابيرانجان، ووراي شيكار، وبلرام

داس كابيراج (صاحب «سيرة تشيتانيا» Sricaitanya caritamrta)، وروبرام شاكراباراتي وغانشيام شاكراباتي، وهما صاحبا «الدراما منقال» Dharmamangal، ومؤلفا الغنائيات عن «مايانامايتي وقوبيشاندرا»)، وكاسيرام داس (قرابة 1650)، الشاعر الذي كتب «المهابهاراتا» بالبنقالية، ..إلخ. ولعله من هذا التاريخ وما تلاه أيضاً، بدأت تأتي الإسهامات الفارسية والعربية إلى البنقالية. وقد برز شاعران كبيران في هذه المرحلة الأخيرة هما: علاء الأول Alaol (1607–1980) ودولت قاضي Danlat Qazi، وكلاهما من «آراكان» Arakan [بورما سابقاً] ومن المسلمين. بعد ذلك نصل إلى القرن الثامن عشر، عندما تقارب الهندوس والمسلمون من بعضهم بعضاً وظهرت ثقافة جديدة توفّق بين الأديان. هذا ما يسمى «بعصر النواب». في القرن الثامن عشر بدأت تتشكل القصائد القصصية الريفية التي تم جمعها مؤخراً في «ميمن سنغ قيتيكا» Mymensingh Gitika، وظهر الأدباء المسلمون في القرن الثامن عشر، وتحققت الإنجازات في الكتابة عن مواضيع المسلمين، مثلاً «الجانقناما» Jangnama، وكانت الكتابات الصوفية الروحانية (المراميّة Maramiya) قائمة وموجودة. لكن السباقين من بين الشعراء هما رامراساد سين (توفي 1705) وبهارات تشاندر راي الملقب بـ«المنشد الشعبي» Kabi Gunakar (توفي 1762)، كما يجب أن يلحق بهما المؤلف الغنائي ابن نيدو (رامنيدي قوبتا). لكن هذا العصر هو عصر توسعة غناء

«الكابي» الشعبي Kabi–gan وألوان غناء «التارجا» Tarja. ومن جانب آخر، الغائب عن الأنظار هو الإعدادات الحاصلة لبدء الكتابة نثراً، وعاء الفترة الحديثة. لقد كُتب النثر من قبل، وبطبيعة الحال بدأه المبشرون المسيحيون في مساعيهم لنشر ديانتهم. لكن لم تكن جدوى النثر معلومة آنذاك. وقد أدركنا الجهود الواعية بالإبداع نثراً، مع تأسيس قلعة وليام Fort William في 1866. ظهرت هناك الحاجة الأساسية إلى تأليف كتب لتعليم البنقالية للأوروبيين.

قبل كل ذلك، قد يقول قائل ولو بإيجاز: إن أعمالاً رائعة مثل: باداس تشانديداس، وفيدياباتي، وجنناداس، وقوبيندا داس، ومنقال تشاندي كافيا، وشريشيتانيا تشاريتمارتا لكرشناداس كابيراج، يمكن الاعتراف بها كأدب عظيم في أدب الفترة القروسطية.

بدأت الفترة الحديثة في 1800 (كان افتتاحها بالكتابة نثراً) لكن راموهان روي Rammohan Roy (1774–1833) هو الرجل الفعلي لهذه الحقبة. مساعي البنقاليين وأدباء البنقالية، هيأت الحياة الجديدة لكامل شبه قارة جنوب آسيا. إن الحديث عن أدب ذلك العصر لا يعني التحدّث عن شخص أو شخصين، ولا حتى عن قصيدة أو قصيدتين أو عمل أو عملين، إنما عن عصر النهضة. أدبياً، نحن ملتزمون ببدء احتساب العصر برامرام باسو و(ويليام) كاري، ومرتيونجي فيديا لانكار وراموهان روي. ننتقل من جرائد Samashar Darpan و Samashar Shandrika إلى صحف Sambad

Prabhakar و Tattvabodhiini Patrika (1843)، وندرك أن عصراً شارف على الظهور، وقد كان إشوار قوبتا Iswar Gupta شاعر تلك المرحلة الانتقالية الحاسمة. بعد ذلك مباشرة، ظهر في ساحة النثر إشوار تشاندرا فيديا ساقار (1820–1899)، وأكشاي كومار دات (1823–1886)، وبياري تشاندر ميترا (1814–1885) صاحب Alater Gharer Dula. المسرح كان قد بدأ من قبل، وجميع هؤلاء ينتمون إلى مرحلة الإعداد، أي النصف الأول من القرن التاسع عشر تقريباً. من بعد ذلك، أتت مرحلة التحقيق، وبعبارة أدق، كانت هذه من 1860 وما يليها. أولاً قدوم المسرحيات: Nildarpan (المرآة النيليّة) (1866) للأديب دينا باندو ميترا، و Sarmishtha لمايكل مادهو سودان دات (1824–1873). أتى بعد ذلك الشعر الملحمي مثل Meghnad–badh Kavya (1861) لمايكل وبعده بقليل Durgeshnandini لبانكيم تشاندرا (شاتو بادياي)، وأخيراً، مجلته «بانقادارسان» (1872) Bangadarsan، وقد حدث كل هذا معاً. دعونا ببساطة نختتم القول بتسميته عصر مايكل (مادهو سودان دات) وبانكيم (تشاندرا شاتوباد باي). كما أنه ليس من الممكن تسمية الجميع: قبل مايكل، أتى الشاعر بيهاري لال شاكرافارتي، ومن بعد مايكل، أناس مثل هيمتشاندرا ونابين تشاندرا. في مجال النثر، هناك راجندر لال ميترا، بوديف موكو بادياي، وكاليب رسانا سنها، ديفجاندرانات طاغور، وجيوتير اندرانات طاغور، وقريش تشاندرا غوش،..إلخ. وظهر

لتوّه رابندرانات طاغور ومعاصروه الأوائل. يستحيل ألا تسمّى الفترة من بعد بانكيم (من 1893 وما بعدها) بعصر طاغور. رغم أن عصر طاغور، من وجهة نظر اجتماعية وقومية، كان عصر الصراع «وإثبات الذات» (1905–1947). لكي نسمي أدباء تلك المرحلة، علينا ذكر ما لا يقل عن أربعين كاتباً. كان رابندرانات (طاغور) «مائة رجل في رجل واحد» وبهذا المعنى، فإن عصر طاغور سيمتد مائة عام على أقل تقدير. لقد ربطنا إلى الأبد بفلسفة حديثة للحياة، وبمشهد ثقافي عالمي. منذ ذلك التاريخ (1947)، انقسمت اللغة البنقالية إلى نصفين على المستوى السياسي، ولكنها ظلت موحدة في الأدب والفن والموسيقى. في اللغتين البنقاليتين حاضراً، سيصل عدد المؤلفين الأحياء والمعترف بهم كأدباء، إلى نحو مائتين، إن لم يكونوا ثلاثمائة. من بينهم، هناك ما لا يقل عن عشرة شعراء وروائيين ومفكرين من الطراز الأول. ربما البنقالية وحدها، من بين الآداب الهندية الحديثة، يمكن قياسها بمقياس الآداب العالمية.

ومع ذلك، في ما يتعلق باللغات الكبرى في العالم، لا تزال اللغة البنقالية متخلّفة بطرق شتى. رأينا سابقاً أن التهديد الفعلي لا تُشكّله المشاكل الاجتماعية والسياسية الحديثة، ولكن مواطن الضعف في البنقالية تكمن في مواضع أخرى. أولاً، التعليم لدينا لا يزال مقصوراً على الطبقة العليا في مجتمعنا، وبما أنه لا يتم الوصول إليه إلا عبر الإنجليزية كوسيلة للتواصل، فإن آدابنا أيضاً يقرأها ويناقشها متعلمو

الإنجليزية: عامة الشعب في البلاد لا يتمكنون من المشاركة بالقدر نفسه في الإنتاج الأدبي أو المتعة الأدبية. ثانياً، لا تتحمس لغاتنا إلى الخطاب اللغوي في الأمور التحليلية، كما أنها غير متحمسة تجاه الخطاب الأدبي الوجداني. هناك حاجة ملحة إلى نشر المعرفة من خلال الأعمال المترجمة، وإلى تعميقها من خلال تأليف الكتب الأصلية: أما من خلال تطوير الأدب الوجداني فقط، فقد تعاني اللغة من نضوب الدم في العروق. ثالثاً، في المجال المهني، مثل الاقتصاد والتجارة وفي العلوم التطبيقية الحديثة والتكنولوجيا، نحن مهملون جزئياً، وعاجزون جزئياً عن استخدام البنقالية: هذه ليست مسألة ندم فقط، بل هي مسألة نقص الحيوية في اللغة أيضاً. رابعاً، حتى في الأدب، إن كُتّابنا نافرون من أي نوع من الثبات والاتساق، وهذا يشجع على ضياع قواعد اللغة. خامساً، لا يستطيع المؤلفون في البنقال الغربية في الوقت الحاضر أن يبقوا على اتصال مع نظرائهم في بنقلادش، بسبب معوقات اقتصادية وسياسية. في أحد معانيها، هذه مشكلة دولية، لكن البنقالية فوق هذا كله.. موحدة في ما يخص الثقافات والآداب، وبهذا المعنى فالمشكلة داخلية أيضاً. بدون التواصل المتبادل، من غير المستحيل أن تظهر الشروخ على اللغة. سادساً، حتى نحن لا نتتبع ما يستجد، أو التحديثات البائنة، في بقية لغات الهند الكبرى. نحن غير مكترثين بتعلم هذه اللغات، أو قراءة إنتاجها، أو خلق السبل للتبادل المباشر معها. ونحن نتباهى، وفقاً

لسلوك أشباه المتعلمين، بأنه لا توجد لغة أو آداب أخرى في الهند تستحق انتباهنا ونقاشنا. وذلك ليس أمراً مخزياً فحسب، بل يعكس تفكيراً غير مبرر، ويفتقر إلى الذوق السليم أيضاً. أليس من الممكن أن نشجع حتى ثلاثة بنقاليين سنوياً على الدراسة الأدبية وتعلم كل واحدة من هذه اللغات، بتقديم المنح الدراسية لهم؟ سابعاً، مهما رفعنا أشرعتنا عالياً في وجه رياح أكثر الأنماط حداثةً في الأدب العالمي والأدباء الغربيين، فإننا في أرض الواقع، لا نسعى وراء الآداب الحديثة الكبرى بالقوة والنشاط والحماسة التي أظهرها أسلافنا في القرن التاسع عشر. مايكل، وبانكيم، وطاغور أرشدونا حقاً ووجهونا نحو المشاركة المُثلى في الثقافة الحديثة. إن «المجمع الأدبي» منهمك في هذا المجال أيضاً. ومع ذلك، إن كثيراً من المشتغلين بالأدب البنقالي في هذه المرحلة، منذ سودني درانات (داتا) وبيشنو دي، لا يتقبلون المسؤولية في فهم السنسكريتية أو البنقالية فهماً صحيحاً، ولا يملكون درجة في استيعاب الإنجليزية (أو الفرنسية، أو الألمانية، أو الروسية، أو الإيطالية، أو اليابانية، ناهيك عن الصينية..إلخ)، التي يحتاجون إليها من أجل الإسهام الفعلي في الأدب العالمي. القدرات التحليلية في الأدب المقارن، لا يمكن تنميتها باستعراض الحذق أو التباهي. هل هناك خمسة بنقاليين يعدون أنفسهم كل عام أو يتلقون التدريب لمتابعة ما يجري في الآداب المعاصرة الكبرى؟

اللغة الأورية

الأورية هي اللغة الأم لنحو 20،321،528 نسمة، وهي مثل الأسامية، لغة شقيقة للبنقالية وابنة للأبابرامشا المقاذية. ومثلما للأسامية-الكامروبية صلات وثيقة بالبنقالية الشمالية، فإن للأورية أيضاً صلات قربى فعلية مع الإقليم الجنوبي بالبنقال الغربية (أي مقاطعة ميدنابور Midnapore). مع هذا فقد كانت للأوريسا روابط وثيقة مع إقليم الماها-كوشال Maha-Kosal عبر شتيسقار كوشال، وهي علاقة ترتبط دوماً بمعابد أوريسا وبفنون البناء والنحت بمعبد خاجوراهو Khajuraho (1100-1400 تقريباً). لكن منذ زمن تشيتانيا (1500تقريباً)، بدأت الأورية تُنمّي العلاقة الأقرب مع البنقال. كانت القوة الجاذبة تكمن في العقيدة الفاشنافية المشتركة. الفاشنافية Vaishnavism ألهمت البنقاليين صوب متابعة الدراسات السنسكريتية، لكن، ولهذا السبب، لم يتقبل الأدب البنقالي المُثل الأخلاقية، والطرائق الأسلوبية للسنسكريتية إلى درجة كبيرة. بينما بذل الأدب الأوريسي [أدب الأورية]، على مدى قرنين، الجهد في قولبة نفسه، وفقاً لتلك المثل والممارسات الأسلوبية. كما يحتمل أن تكون السنسكريتية قد دُرّست بشكل مكثف داخل أوريسا. ولم تحظ الفارسية بالإعجاب هناك أيضاً. على أي حال، زار البنقاليون «أوريسا» واستقروا فيها منذ ذلك الوقت، وتابع كثير منهم أدب الأورية. بعد ذلك، وخلال الحقبة البريطانية، عاش المتعلمون

البنقاليون في «أوريسا» برابط العمل والمهنة، وقد أدرجت البنقال الغربية و«أوريسا» حتى 1911 تحت نفس الإدارة المحلية للمقاطعة. نمّى الأوريون، خلال هذه الفترة، عادة تذوق الأدب البنقالي الحديث، وعلى وجه الخصوص أعمال مايكل مودوسودان دات، وبانكيم تشاندرا، وانهمكوا في متابعة أدبهما الخاص أيضاً. الباعث على السعادة هو أن بنقاليي أوريسا شاركوا في تعليمهما، وقليل منهم كتبوا باللغة الأورية أيضاً. مع ذلك فإن غطرسة كثير من البنقاليين ورؤيتهم المتعصبة، جرحتا مشاعر الشعب الأوريسي. في هذه الأيام، يردّ الأوريون بالمثل، وفي الغالب، بالغطرسة. لكن من المنجزات التي تحسب للأوريين أنهم نجحوا في التقدم بأدبهم إلى العصر الحديث.

البنقاليون ليسوا عديمي الألفة باللغة الأورية، لكنه القارئ البنقالي، وقد ذكرنا سابقاً أن ذلك يعود إلى الاختلاف بين حروف الكتابة في اللغتين. وبخلاف ذلك لن يصعب على البنقالي فهم الجملة الأورية التالية:

Janakara dui pua th ila «لشخص اثنان أبناء كانوا»

في حالة الملكية «لـ» (of)... دعوكم من فيدياساقار[1]، حتى نحن نقول kar- في ekhankar «مُعاصِر» (حرفياً «مع الآن»)، -aj-ker في البنقالية «الوقت الحاضر» (حرفياً «لليوم»). كما أن للأورية

(1) Isvarchandra Vidyasagar، عالم شهير بالسنسكريتية ومصلح اجتماعي في بنقال القرن التاسع عشر.

خصائص مشتركة مع اللغات الشرقية، نجد استعمالها للواحق: -e مع فاعل الجملة، -te للدلالة على الموقع المكاني. ونستخدم أيضاً -l في صيغ أفعال الماضي، كما أن -t كحرف دال على المستقبل، ليس مجهولاً في اللهجة البنقالية. نرى الفوارق أيضاً في أن الأورية لا تزال محافظة على كلمات تنتهي بأصوات صائتة. أضف إلى ذلك أنها لم تحافظ فقط على أصوات «مثل» sh و ng المنثنية، بل أيضاً على مسلسلة t- عموماً (أي t، th، d، dh..إلخ)، ويلفظ الصامت المقطعي r مثل ru في الأورية. يجد المرء بها e-mane في صيغ جمع الأسماء، و -u علامة الحذف [المُقدّر]، والوضع المتتابع لنهايات الحالات الإعرابية، واستخدام enar..إلخ. ما نلاحظه في الأورية هو الوفرة العامة في كلمات السنسكريتية بنوعيها «التاتساما» المحرفة و«التادهافا» الأصلية، والندرة النسبية لكلمات ذات أصل فارسي أو عربي في اللغة الأورية. تقسيمات المراحل الزمنية للأدب الأوريسي وفقاً للمعايير الأدبية هي كما يلي:

1- الأورية القديمة: 950-1200 ميلادية. والدليل عليها سطر أو سطران في نقوش صخرية. مع هذا، يدعي الأوريون ملكية «التشاريابادا» أيضاً.

2- الأورية القروسطية: 1300-1850 ميلادية.

أ- الفترة الأولى: (1300- 1500)

ب- الفترة الوسطى: (1500- 1700)

ج- الفترة الأخيرة: (1700- 1850)

3- الأورية الحديثة: 1850 وما بعدها.

يجب البحث عن الدليل على الأورية القديمة في تقويم «مادالا» بمعبد الجاقاناثا Jagannatha (في إقليم بوري Puri) وفي النقوش الحجرية. كان هناك الشعراء أيضاً. وكما هي العادة، فقد كتبوا في مواضيع دينية وبورانية [ملحمية]. سارال داس Saral Das هو أول الشعراء العظام في الأورية، وهو من القرن الرابع عشر. وبصرف النظر عن كتابته عن «التشاندي-بورانا» Candi-Purana عن «دورقا» الآلهة» Durga، فقد ألف هذا الشاعر الموهوب المهابهاراتا (وهي ملحمة الولاية الأوريسية). حدث الميلاد الجديد للأدب الأوري في الفترة الوسطى من عصر القرون الوسطى، إذ كانت أوريسا آنذاك إمبراطورية كبيرة: كان الملك براتابا رودرا ديفا Prataparudra Deva أحد حواريي السيد تشيتانياديفا، الذي أمضى الثمانية عشر عاماً الأخيرة من حياته في بوري. كما أن حكام الإقطاعيات المهمين والعلماء، من أمثال رايا رامانندا، كانوا حواريين تابعين للسيد تشيتانياديفا أيضاً، وأصبحت الأوريسا موطناً للحركة الفاشنافية بعد ذلك التاريخ. نرى قيام صحوة في أوريسا في جميع الجوانب.. في السوكلاستية [فلسفة المعتقدات]، وفي ممارسة الشعر، وفي دراسة الأورية، ودراسة السنسكريتية. من بين هذا كله، كان جاقانات داس Jagannath Das الشاعر الأول: تسمى هذه المرحلة من الأدب

الأوري أيضاً «بعصر جاقانات داس». وكان أيضاً تابعاً لتشيتانياديفا. لكنه، وآخرين غيره قرضوا الشعر في مواضيع «بورانية» [ملحمية دينية] حتى قبل أن يقابلوا تشيتانياديفا. وكانت العقيدة البهكتية قد بدأت لتوها في «أوريسا» قبل قدوم تشيتانياديفا. وكتب جاقانات داس، مجموعة نصوص بالسنسكريتية والأورية، وأشهرها ذكراً «البهاقافاتا بورانا» Bhagavata–Purana: ولا تقل مكانتها الرفيعة في الأورية عن «التولسي–رامايان» Tulsi–Ramayan. كما ألف شعراء آخرون في هذه الفترة عدداً كبيراً من النصوص: ومن بينهم قِلّة تشتهر بأن واحدهم كتب ألف نص. كما كانت هناك نصوص لا تُعدّ، فقد كانت هناك أعداد فعلية للكتاب لا تحصى. وعلى الرغم من ذلك، تجدر الإشارة إلى القصص المكتوبة شعراً، والتي كانت تحكى عن الناس البسطاء، كما في «الهارابالي» Harabali لراماتشاندرا باتنياك. أضف إلى ذلك أيضاً أنهم كتبوا الشعر «العلماني» (لوكايانا Lokayana)، وعلى سبيل المثال «شاشيسنا» Sasisena لبراتاباكايا، ولم يظهر حتى الآن الإفراط في الصور البلاغية المتكلفة في الشعر الأوري، ولكن هذا التكلّف ظهر في الفترة التي تلتها مباشرة (1700–1800)، والكاهن السامي في هذا كان الشاعر أبندرا بهانجا Upendra Bhanja (1600–1700)، ليس في كامل هذه الفترة وحسب، بل أيضاً حتى وصول العصر الحديث (1850). لقد ظل الأدب الأوري متأثراً بأبندرا بهانجا. فهذا الشاعر صاحب 42 نصاً مكتوباً، عشرة

منها بمجلدات ضخمة، ومواضيعها أساطير هندية [بورانية]، لكنها قصص غرامية رومانسية، مكتوبة جرياً على تقاليد السنسكريتية في الصورة الشعرية. يصعب أن تصف إلى حد الكمال تراكيبها في ما يتعلق بتنوعات القافية، وغزارة الصور البلاغية، وتوظيف غير مألوف للكلمات. في نص ما، قد تُنْظَم كامل الأبيات والدوبيتات [بيتين من الشعر couplet] حول الحرف «ب» b، أو في نص آخر قد تبدأ الدوبيتة، وتنتهي بالحرف «ك» k، وفي نص شعري آخر قد يفسر بالتساوي على أنه عن ثلاثة مواضيع مختلفة. من حيث البراعة الفنية، من الصعب أن تجد لمثل ذلك نظيراً، ولكننا سنقبل شيئاً غيره، بمثابة شعر حقيقي، ونفضله على أن نتقبل التكلف المحض والبهلوانية اللفظية. مما لا شك فيه أن أبندرا بهانجا كان شاعراً، ولكنه كان زعيم البهلوانيين الشُعّار ولا شيء غير ذلك. كما أن عدد الذين حاكوه لم يكن قليلاً، فقد كانوا فوق الخمسين منافساً، ولم تكن إنجازاتهم بالهينة أيضاً. ما تجب ملاحظته هنا أيضاً، هو أن ثمة أشعاراً تأبينية ورومانسية قد كتبت أيضاً، خارجةً عن ذلك التوجه.

بعد ذلك، جاءت إلى الأورية الترجمات النثرية للمبشرين المسيحيين في أوائل القرن التاسع عشر وبداية النظم والأساليب الجديدة في التربية والتعليم. من 1866 وما تلاه، استمرت مجلة غوري سانكار راي Utkal Dipika(حرفياً «مصباح الأوتكال»)، تبعث نور الهداية للحياة الأورية في الأربعين سنة التالية. في غضون ذلك، تقدم ثلاثة

من الكتاب الأصدقاء وقاموا بتهيئة الطريق لعصر أدبي جديد. الشاعر والتربوي رادانات راي Radhanath Ray (1849–1908) تقدم الخُطَى ليكتب الشعر الروائي، وفقاً للمثل الغربية. حتى إنه أدخل الشعر الملحمي غير المقفى [الموزون الحر] إلى الأورية، مقتفياً آثار مايكل مادهو سودان دات. وعلى الرغم من أن نص «المهاياترا» Mahayatra ظل غير مكتمل، فإنها تحظى بمكانة الفخر في الأدب الأوري الحديث. مساهمات مادهو سودان راو Rao (1853–1917) كانت تمثل الروحانية السامقة ورقة الأحاسيس الشعرية، وصيغة البطولة الوطنية، وقد أثرى أدب الشعر الأوري من خلال هذا كله. الثالث هو فاكير موهان سيناباتي (1847–1918) Senapati، وكان موظفاً في إدارة إقليم أوريسا، ما مكنّه من معرفة نمط الحياة الأوريسية الأصيلة. ترجم إلى الأورية، شعراً، «الرامايانا» كاملة و«المهابهاراتا»، وكتب «حكاية البوذا» Buddha–Carita، وفي النثر كتب ثلاث روايات، ويهتف لروايته Cha–mana Adhaguntha (ستة آكر وثمانية أعشار) بحماسة كصورة لحياة الفلاح المُستغلَّة في الريف. يقول قارئو الأدب الأوري: إن رادانات راي كان يعبد «ساندرا» Sundara (الجمال)، ومادهو سودان راو كان عابداً لـ «شيفا» Shiva (الخير)، وفاكير موهان كان عابداً «للساتيام» Satyam (الحق). وهكذا أسس ثلاثتهم معاً «السندرية»، و«الشيفية»، و«الساتيامية» في الأدب الأوري.

وفي أوريسا كما في البنقال، كانت تزاول أشكال متنوّعة من الرقص

والموسيقى والمسرح. أول من صعد إلى حلبة المرحلة الحديثة وكتب المسرحية هو رام شانكار راي RamShankar Ray (1860–1920). يجذب الكثير من الناس إلى هذا النوع الأدبي على وجه الخصوص. ولا تزال المسرحيات تؤدى على خشبة المسرح يومياً في المسارح العامة في كوتاك Cuttack. ناهيك عن كلكتا، ويبدو أن التمثيل المسرحي في كوتاك يحظى بالاهتمام نفسه.

بعد أن وصل إلى العهد الحديث، تقدم الأدب الأوري إلى الأمام نتيجة لجهود، وإسهامات مجموعة أدبية أخرى، أطلقت على نفسها «سابوج–دال» Sabuj–Dal «المجموعة الخضراء» (ومجازاً تعني «المجموعة اليافعة»). المجلة الأدبية البنقالية «سابوج– باترا» Sabuj–Patra للمحرر براماثا شودوري، استهوتها فضائل الأخلاق والفكر القومي. وقد أسست هذه المجموعة عصبة من الشباب في الفترة (1919– 1930) ويأتي على رأسهم كالنديشران بانيقراي Kalindicharan Panigrahi، وشارات تشاندرا Sharatchandra، وبيكون ثنات باتنياك Baikunthanath Pattanayak وآخرون. كما أن من ضمنهم أناندا شانكار راي، الذي يكتب حالياً بالبنقالية، ولكنه كتب ولا يزال يستطيع أن يكتب بالأورية بنفس البراعة. كالنديشران Kalindicharan معروف طبعاً في أرجاء الهند اليوم، كمؤلف لروايات مثل Matira Manisha (رجال تربة الأرض)، وهو شاعر أيضاً. بغض النظر عن كل هؤلاء، أخذ الكثير من الأدباء

في المحيط الأدبي، يظهرون في الإصدارات المطبوعة منذ تلك الفترة. كان هناك، أيضاً، الكتاب الجيدون، وليس من الممكن أن نأتي على ذكرهم فرادى. وإلى جانب مجموعة «السابوج- دال» [المجموعة الخضراء]، هناك مجموعة أخرى من الأصدقاء، الذين وهبوا العظمة إلى حياة أوتكال [عاصمة أوريسا]، ليس في الأدب فقط،، بل أيضاً في التربية، وفي الهوية الوطنية، وفي الوعي العميق بالقيم. هؤلاء الأصدقاء هم قوباباند داس Gopabandh (1877-1928)، وقوداباريش ميشرا Godaparish Mishra، ونيلاكانثا داس Nilakantha. لقد شكل الإسهام الثلاثي الموقّر صورة أوريسا الحديثة. المقالات هي إسهاماتهم الرئيسية في الأدب، ولكن إنجازاتهم تتضمن الأخلاق، وتشكيل الحياة في الخدمات المثالية للشعب. لم تتلاش هذه الأسطورة في الوقت الحاضر أيضاً، ومع ذلك فقد حلت طريقة جديدة من التفكر. ومن بين الأدباء الأحياء (في عام 1967) غير كالنديشران (باليقراهي)، يجب أن نتذكر أنانتا باتنياك Ananta في التفكير اليساري والأسلوب الشعري الحديث، وشاشي راوت راي Shachi Raut في الأسلوب الجديد في الشعر، والبروفيسور مايادار مانسينقا Mayadhar Mansinga في الشعر والنقد. جميع هؤلاء قُرّاء حصيفون للأدب الغربي. وقد استلهم بعضهم أيضاً، مثل أنانتا شاران، الأفكار الاشتراكية، كما أن كتّاب النثر اليوم على درجة عالية من التعليم، والعديد منهم قد تبوأوا مناصب مرموقة في وظائف إدارة

التربية والتعليم. وهناك شخصية أدبية تنال القدر الوافر من النفوذ والتقدير اليوم أيضاً، إنه السيد هيركرشنا ماهتاب Harekrishna Mahtab القائد في سياسة حزب المؤتمر، ولكنه لا يشعر بأن تشريفه كقائد أقل من دوره كأديب.

مع الزمن وصلت الحياة في أوريسا إلى مفترق الطرق، وعموماً لا تزال تنساب الحياة في أوريسا كالنهر المتباطئ. وبدلاً من كونه وسيلة للبهجة والإثارة، فإن أدبها وسيلة لأناس هادئين، ماهرين فنياً، كادّين في عملهم ورابطي الجأش. ظل الأوريون على الدوام ماهرين في الفن والثقافة. كما أنهم أثبتوا قدراتهم ذات يوم في فن شؤون الحكم، وفي التجارة، وفي الاستيطان خارج أوطانهم. في الحاضر، يحاولون جاهدين، جعل الأدب الأوري ممثلاً لذواتهم.

اللغة الهندية

الهندية الآن هي لغة الحياة الثقافية لإقليم شاسع يمتد من البنجاب- هريانا إلى بيهار (اللغة الأخرى للحياة الثقافية بهذه البقاع هي الأوردية)، وتمتد إلى لغات الهملايا الصينية-التيبتية في الشمال، وإلى راجستان وعلى طول ماديابرادش في الجنوب. وتوطدت الهندية تقريباً الآن في الإقليم الأوسط أريافارتا Aryavarta. إنها اللغة الرسمية بولايات بيهار، وأتاربرادش، وراجستان، وماديابرادش، وهريانا، وهي أيضاً اللغة الرسمية للاتحاد الهندي، ولكن الإنجليزية تبقى لغة رسمية ثانوية إذا

ما اقتضت الضرورة ذلك. لقد لاحظنا سابقاً أن هناك لغات ولهجات كثيرة متداولة في هذه المنطقة مترامية الأطراف. الهندية في عموم الهند (باستثناء الأوردية) اللغة الأم لنحو 264،514،117 نسمة (التعداد السكاني 1981)، والأوردية هي اللغة الأم لما مجموعه 34،949،435 نسمة [1].

«عائلة اللغة الهندية»

إذاً، ماذا سنفهم وما الذي يفترض بالمرء أن يفهمه من كلمة «هندية» Hindi؟. الإجابة تقريباً كما يلي (LLMI, p.109):

1- بادئ ذي بدء هو إدراج «الكاري-بولية Khari Boli: اللغة المنطوقة في إقليم دلهي. منذ القرن الثامن عشر، يُكتب بها النثر والشعر طوال المائة والخمسين سنة الماضية. هذه «الكاري-بولية».. أي «الكلام المستقيم»، أو اللغة الفصحى، تشكل المنبت [التاريخي] للهندية المعاصرة. لم تجد هذه اللغة المتابعة المنتظمة، إلاّ منذ مائة وخمسين عاماً. وقد أُثريت اللغة في ذلك الوقت كثيراً من لهجة مجاورة استخدمت في أزمان سابقة تسمى «لغة البراج» أو «البراج-باخا» Braj Bhakha.

2- البراج-باخا هي لغة إقليم البراج، وتعرف الآن ببساطة باسم «الهندية الغربية»: البراج-باخا ولهجة «البندل»

(1) عندما يستثني الكاتب الأوردية مقابل الهندية في أي جانب فالسبب يعود إلى كونهما لغة واحدة في الأصل، ويشتركان في قواعدهما العامة ومعظم المفردات، لكن يجري التفريق بينهما لأسباب دينية ولاختلاف نظم الكتابة، والرقم أعلاه لا يشمل الناطقين بالأوردية في باكستان وبنقلادش وأفغانستان. [المترجم]

Bundel تشملهما معاً «الهندية الغربية». وقد نظم شعراء من أمثال سورداس Surdas، وبيهاري Bihari، وباشان Bhashan الأغاني والأشعار بالبراج-باخا، خلال خمسمائة عام أو حولها من 1300 إلى 1800. وهم يعرفون على أنهم من شعراء الهندية، وتشتمل مؤلفاتهم على هندية قروسطية متنوعة. مثلها في ذلك، مثل المؤلفات في الكاري-بولية، فإن المؤلفات بالبراج-باخا ستُحسب أيضاً ضمن الهندية. أضف إلى ذلك، أن أولئك الذين اتخذوا الهندية (الكاري-بولية) لغتهم الثقافية والوطنية في الوقت الحاضر، يرغبون أيضاً في الاعتراف بلهجاتهم الخاصة كأنواع [متفرعة] من الهندية. وبالمقابل، إن الهندية تنشط في إدراج الآداب المكتوبة بجميع هذه اللهجات في كيانها تحت مسمى «هندي سامسار»، أي «العائلة الهندية» Hindi Samsar.

3- الأدب القديم المكتوب باللهجات الثلاث: الأواذية، والباغلية، والشاتيسغرية. إذا ما تم استبعاد اللهجة الأواذية القديمة، فإنه سيتم استبعاد شاعر مثل تولسيداس Tulsidas من «الهندية سامسار». لم يكن استعمال الأواذية بأقل من البراج-باخا في الفترة القروسطية رغم أنها لم تعد تمارس كثيراً في العصر الحاضر.

4- لهجات الراجستانية (ومن بينها المارو ادية القديمة Marwadi،

عادة ما أطلق عليها «الدمقلية» Dimgal). وقد كُتب الأدب بعضها، وهي أيضاً مدرجة في «العائلة الهندية»- أي الهندي سامسار. «الباجانيات» (أي التسابيح التعبدية Bhajans لميرابي هي في الأصل بالراجستانية، رغم أنها أخذت لاحقاً أشكالاً أخرى. ومع ذلك فالشعب الراجستاني لا يزال يريد الحفاظ على لغته. يقولون: إن الهندية تحتل هذه المساحة بالقوة.

5- الهندية الغربية الممزوجة بالبنجابية، والتي كتبها الأولياء السيخ، هي أيضاً نوع من الهندية القروسطية أو القديمة، وعليه يكون احتسابها جزءاً من «العائلة».

6- ثمة أغانٍ شعبية راقصة ballads تنتمي إلى إقليم بهاري Pahari (الجبلي)، هي الآن ضمن «السامسار» العائلة الهندية أيضاً.

7- أخيراً،[1] الآداب الشعبية والكلاسيكية للغات البيهارية، الميثيلية والبهوجبورية (المقائية لا تمتلك القوام الأدبي الكبير)، موضوعة أيضاً ضمن عائلة الهندية. هذه اللغات مجتمعة تسمى «الديهاتية» Dehati (أي الصيغة الهندية الريفية). من حيث اللغة والأدب، هذا احتلال للمساحة بالقوة، وقد رفضت الميثيلية القبول به، واحتجّت البهوجبورية أيضاً.

8- لا يوجد فرق بين الصيغة المنطوقة للأوردية ونظيرتها الكاري-

(1) بعد ذلك، يصف الكاتب فرعين آخرين «للهندي- سامسار»- العائلة الهندية.

بولية (وتدعى «الهندوستانية»). إذاً، فلماذا لا يمكن إدراج الأوردية بالفعل ضمن «العائلة الهندية» كنوع مختلف من الهندية أو «كهندية للمسلمين»؟ هنا، لا حاجة إلى القول: إننا نشك في أن ينطبق قانون الاحتلال بالقوة [على الأوردية]. الأوردية تمتلك حرفاً كتابياً مُغايراً، ومفردات مغايرة، وجواً مغايراً. لهذا السبب، في المصطلح الأدبي، إن للأوردية تاريخاً مغايراً، ومثلاً مغايرة، ومزاجاً مغايراً: تمتلك فروقاً واضحة المعالم مع أدب اللغة الهندية. ولو تغير حرف كتابتها، لما أمكن حجب طبيعتها الأساس. لكنها بعد التقسيم [في عام 1947]، اتخذت الحرف الناقري، ولو بدرجة ضئيلة جداً، كما أن أدباءها على استعداد لتقبل الجو الهندي. نتيجة لذلك، فقد طورت الآداب الهندية والأوردية نوعاً من التقارب.. إن هذا التقارب ممكن يوماً ما مستقبلاً.

9- الداكانية (أو الداكينية Dakhani/Dakhini: لهجة الفاتحين المسلمين في الديكان الممزوجة بالكاري-بولية والبنجابية بدلهي، تشكل طرازاً معيناً للغة. قاموا برعاية هذه اللغة منذ 1350 ميلادية وما بعدها. المؤلفون كانوا مسلمين، ويكتبونها بالحرف العربي، كما تم نشر بعض هذه الكتابات بالخط الفارسي. لهذا، سميت هذه اللغة الداكانية، في ما مضى، «بالأوردية القديمة». ومع ذلك، فالشخصية والهيئة والصيغة

الحالية للأوردية، إنما تطورت خلال المائة أو المائة والخمسين سنة الماضية، وعليه توجد تشابهات قليلة بينها وبين الأدب واللغة الداكانيين، كما كتبهما المسلمون في ذلك العصر. بل إن للداكانية انتماءات أقرب إلى روح وطبع الأدب الكاري-بولي الهندي. لذا لن يكون الأمر بالقوة العمياء في كتابة الأدب الداكاني بالحرف الناقري والقبول به في «العائلة الهندية».

بغض النظر عما إذا كان أمر الضم بالقوة أم بهدف التأسيس لمطالب محقّة، فإن دنيا الهندية، كلغة وأدب، واسعة وضخمة. ويتزايد نفوذها اليومي بمساعدة من الدولة والحكومات المركزية، كما أن دراسة الهندية تتوسع سريعاً. ومن الطبيعي أن تصبح لغة اتصال في الأقاليم الصناعية على شكل نوع من «البازار هندية»، أو «الهندية العامية». وبهذا الخصوص، فالهندية لا تبارى بين اللغات الهندية.

يمكننا أن نتلمّس صيغة اللغة الهندية من خلال الفروق بين الهندية (اللغة الأدبية) والبنقالية. وربما لن تكون فكرة سيئة أن نقارن اللغة الهندية الحديثة بالبنقالية لعرض أوجه تركيبة الهندية. ومع ذلك، فمقارنة كهذه لن تلائمها المساحة هنا، حتى وإن أجريت باختصار شديد. لذلك، يمكن الرجوع إلى كتاب: Suniti Kumar Chatterji, 1939, Saral Bhasha-Prakas Banla Byakaraa, Calcutta University, pp. 528-533. مع ذلك، يمكننا أن نشير إلى اختلافات قواعدية قليلة عامة بالأمثلة، متجاهلين مسائل النطق وتبدلات

الأصوات. على سبيل المثال:

أ- في النوع: accha kagaz «ورق جيد» (مذكر)، acchi kitab «كراسة جيدة» (مؤنث)[1].

ب- في العدد: ghore «أحصنة»، lathiya «عصي» (جمع لمفرد ghora «حصان»، lathi «عصا»).

ج- صيغ التكسير: غير موجودة بالبنقالية: كما في ghore par «على حصان»، ghoro «على أحصنة» (بالجمع).

د- حرف الزيادة في الفعل (ne) بعد الفاعل (لفعل متعد): mai–ne bhat khaya «أنا تناولت رزاً (مطبوخاً)».

هـ- مجدداً في الصفات (والأسماء): kala ghora «حصان أسود»، kali ghori «فرس سوداء».

و- ضمائر مثل: mai «أنا»، hum «نحن»، tum «أنت».. إلخ، ونعرف عن هذه الضمائر.

ز- تصريف الأفعال على نحو مختلف في حالة المضارع الآمر كالمأمور): jau «أذهب»، jaunga «سأذهب»، (مفرد) مقابل jae «نذهب/يذهبون»، joemge «سنذهب/سيذهبون» (جمع)، وهي صيغ لقول «جيء.. إلخ».

ح- في الفعل الماضي البسيط، يتفق الفعل المتعدي مع مفعوله،

(1) هذا بالمقارنة بالبنقالية، حيث الفروق في النوع لا يحددها النحو عادة، مع قليل من الاستثناءات (كما في Sundar Chele «فتى وسيم» مقابل Sundari meye «فتاة جميلة»).

ولكن الفعل اللازم يتفق مع فاعله — على سبيل المثال مع اللازم: mai cala «انطلقت»، ham cale «انطلقنا»، tu cala «(أنت) انطلقت» (في الحالة الطبيعية أو الاستهزاء)، tum cale «انطلقتم» (محايدة غير تبجيلية)— ومع المتعدي: mae—ne ek larka dekha «رأيت ولداً» (حرفياً: أنا (عامل الفعل) واحد ولد رأيت)، mae—ne char larke dekha «رأيت أربعة أولاد»، ham—ne ek larka dekha «رأينا ولداً»، ham—ne char larke dekhe «رأينا أربعة أولاد» [لاحظ تغير صيغة الفعل مع الجمع].

ط- ثلاث حالات لاستعمال الفعل في صيغة الماضي: (prayoga «تطابق»، مصطلح من القواعد الهندية التقليدية).. ينطبق الفعل على الفاعل، أو يتفق معه، عندما يكون لازماً (kartari prayogah)، كما في mai cala «انطلقت»، hum cale «انطلقنا». الفعل «ينطبق» على المفعول به، عندما يكون متعدياً (Karmani prayograh) كما في:mai—ne ek larka dekha «رأيت ولداً»، mai—ne char larke dekha «رأيت أربعة أولاد». الفعل يأخذ حالة الموضوعية، أو الحياد، حتى وإن كان متعدياً (bhave prayograh) كما في:mai—ne ek larke—ko dekha «رأيت ولداً»، mai—ne char larke—ko dekha «رأيت أربعة أولاد».. إلخ.

يمكن ملاحظة كثير من نقاط الاختلاف. إننا نميل إلى التسليم بالتشابهات، وهكذا لا نلحظ الاختلافات بصفة خاصة. على سبيل المثال، نحن نفترض أن النحو هو نفسه لكننا نرى في الهندية أن الفعل «يكن» be المُثْبَت لا يُعبّر عنه إيحاءً (كما في البنقالية)، ولكنه تعبير صريح، كما في vah merabhai hai «هو أخي» (حرفياً: «هو لي أخ يكن»)، ويأتي المنفي الجامد قبل الفعل (وليس بعده كما في البنقالية) في مثل mai nahi dumga «لن أعطيه» (حرفياً: «أنا لا سأعطيه»). عموماً، نميل إلى ملاحظة الاختلافات في مسارد الكلمات، أي المفردات أكثر من غيرها: قبلت الهندوستانية (المنطوقة)، الكثير من الكلمات الفارسية-العربية، وتستعملها أيضاً، ولا غرابة إذا كانت نسبتها بما يوازي خمسين في المائة في الأوردية، ومع ذلك لم يكن استعمال الكلمات الفارسية- العربية في الكتابة بالهندية إطلاقاً بنفس التكرار الحاصل في الأوردية، حتى في سابق الزمان. لكن ما هو ظاهر هذه الأيام هو السعي إلى إفراغ اللغة من الكلمات الفارسية- العربية، وتقديم الكلمات السنسكريتية عوضاً عنها. لا أحد يعلم هل ستصبح الهندية لغة تسودها المفردات السنسكريتية بنفس الطريقة التي أصبحت بها اللغة البنقالية.

باستيعاب تواريخ تسعة أقاليم مختلفة في الهندية، أصبح تاريخ أدب اللغة الهندية، معقداً في حد ذاته، ويمكن أن تدعي ملكيته التشاريابادا وحتى الشاعر فيديا باتي، لأن المثلية أصبحت الآن أحد فروعها. مع

ذلك، تم وضع تقسيمات للأدب الهندي بحسب الفترات الزمنية، وكما يلي:

1- الفترة القديمة (1100- 1300 ميلادية)

2- الفترة القروسطية (1300- 1800)

أ- المرحلة الأولى (1300- 1500)

ب- المرحلة الوسطى (1500-1600)

ج- المرحلة الأخيرة (1600- 1800)

3- الفترة الحديثة (1800 ميلادية وما فوق)

والآن دعونا نتعرف على الأدب الهندي، بشكل دقيق ومختصر قدر المستطاع. ثمة تلميح إلى الهندية في الفترة القديمة سابقاً في مرحلة «الأفاهاتثا» Avahattha، أي الأبابرامشا الشوراسنية. نعرف أن «الأفاهاتثا» استعملت طوال الآريا آفارتا Aryaavarta، والدليل عليها موجود في أكثر من تأليف نصي مثل «بركريتا بينقالا» Prakrta Paingala (قرابة 1400 ميلادية). لا يزال من الصعب إيجاد دليل مباشر على الهندية في الفترة القديمة بحد ذاتها. تعتبر ملحمة Prithviraja– Rasau لتشاند باردوي Bardoi الأقدم، ولكن هناك جدلاً دائراً حول العمر الدقيق للنسخة الواصلة إلينا. إنها ملحمة مكتوبة بلغة خليط من الراجستانية القديمة، والهندية الغربية، والأبابرامشا. القصائد الغنائية القصصية الشعبية في رواية «آلها وأودال» باللغة «البندلية» Bundeli، وصلت إلينا، من خلال عدة تحوّلات شبيهة

بذلك. موضوعها هو أيضاً استبسال وبطولة الراجبوتيين القدماء أو الكشتريين. وفي هذا الشأن فإن هذا الأدب ذو قيمة، بغض النظر عن كونها رواية بورانية، فإنها ملحمة حقيقية عن الشجاعة، والبطولات الوطنية لشخصيات على أرض الواقع. لذا فإن نصها الأصلي مبعث افتخار للأدب الهندي. لا يستطيع المرء بالطبع إغفال الرواية الدينية في الأدب القديم: ظهر، أيضاً في الفترة الأولى، الأدب الناثبنتي Nathapanti، بما في ذلك قصة «قوراخناث وجيبيتشاندرا» Gorakhnath and Gepichandra.

الجزء الأول من الفترة القروسطية، مر وسط اضطرابات الغزو التركي، وبعد ذلك أتت فترة من الوفاق. وفي تلك الفترة يدرك المرء أمير خوسرو Amir Khusrau، أعظم شعراء الفارسية في الهند. أضف إلى ذلك أن هذا المعلم الشاعر كتب الشعر والأناشيد باللغة الديسية (Desi) الإقليمية (وليس بالداكانية). ربما مع الزمن تغيرت لغة تلك القصائد في بعض جوانبها، ومع ذلك يجب تضمينها في قصائد اللغة الهندية. إنه لجميل حقاً أن تجد الكتابة الفطرية المتواضعة في حب الحياة اليومية، وأن تجد التعبير عنها في هذه القصائد. في هذا الوقت كانت الكتابة بالداكانية قائمة. الشخص الذي نواجهه مباشرة بعد هذا هو «كبير» (1399-1518)، مؤلف «الدوحات» الشهيرة Dohas. الكثيرون منا نحن البنقاليين يعرفون عن «كبير»، بفضل لكشتي موهان ستن، ورابندرانات طاغور. كان «كبير» حائكاً

مسلماً من بيناراس، وكان من اتباع رامانند Ramanand، وربما تأثر بالروحانيات الصوفية: مستلهماً أفكار التقوى الوجدانية نحو «رب منَزّه عن كل الخصال البشرية» (النيرقونا Nirguna) وبعلاقة الإنسان بربه في كونها بين العابد والمعبود. إن سلسلة «الدوحات» التي ألفها «كبير» هي– ولو جزئياً– مفخرة للعالم بأسره. بالنسبة له، الرب كان «راماً» Ram (كتجسيد للفرح) و«رحيماً» Rahim (كتجسيد للرحمة). كانت لغته أيضاً تتسم بحيوية ووضوح اللغة المحكية.. قليل من «الرقيطات» rikhtas، أو التعابير الفارسية– العربية، أضحت بشكل طبيعي متناثرة كالرذاذ مع أي شيء آخر فيها [أي الدوحات]. أحد أقرب المعاصرين له، وممارس لمُثُل روحية مشابهة هو المعلم ناناك Guru Nanak (1469–1539). هناك ترنيمتان موجودتان بالآدي–قرانث Adi–Granth لناناك هما أيضاً مصدر فخر للهندية.

الشعر الهندي اجتاز مرحلة توسع خاصة في المرحلة الوسطى من الفترة القروسطية: هذه الفترة أيضاً كانت حقبة لتوسع العقيدة البهكتية (التعبدية)، والإبداع الأدبي في مواضيع ملحمية متنوعة في بقية اللغات بشمال الهند. وفي الهندية، في هذا الشأن، يجدر ذكر قوسفامي تولسيداس (1532–1623)– Gosvami Tulsidas قبل الجميع. بدأ بتأليف «رام–تشاريت مانا» Ram–carit manas في عام 1574، ونحن نعرف جميعاً أن هذه هي حكاية «الراميانا». حتى ولو قرأنا لتولسيداس في المؤلف الأصلي بالحرف البنقالي، فإنه

يصعب في البداية فهم «الأواذية» التي كتب بها. كما أن متكلمي الهندية أيضاً لا يستطيعون متابعة «الأواذية» الأصلية بسهولة، أو فهم حواشي اللغة. ومع ذلك، حالما يتمكن المرء من متابعة اللغة، يُجبر على أن يعترف بأن «تولسيداس» كان الأول بلا منازع، وكان متعبداً في أعلى الدرجات. عندما تُغنى «دوحاته» مكتملة الأنغام والقافية، لا تأسر بسحرها «العائلة الهندية» فحسب، بل والبنقاليين أيضاً. إن فكر «تولسيداس» لا يؤشر في الواقع إلى الاتجاه نفسه، باعتباره يتسامى روحانياً فوق كل الأعراق والمعتقدات، كما عند «كبير». لقد قوى «تولسيداس» تقوى تعبدية– طاهرة، ومطهرة ومثلاً دينية لتجليات راما، «الأفاترا» Avatra، كما هي سائدة في مجتمع الهندوس. ويتوقع أن يكون تأثير السنسكريتية في لغته قوياً، وإنه لكذلك حقاً. وإلى جانب «رام–تشاريت مانا»، هناك كتابات أخرى لتولسيداس وبالإمكان استذكارها أيضاً.

في أعقاب مسارين مختلفين في الشعر التعبدي، وتحديداً رب «كبير» «النيرقونا» [المتعالي] (المتسامي فوق كل الصفات) ورب «تولسيداس» «الساقونا» Saguna [المتجلي] (المتجسد في الصفات)، ظهر مساران في التقاليد التعبدية (أو البهكتية) في القرن السادس عشر: ذاك في حب كرشنا، وذاك في الحب الروحاني الصوفي. نعلم أن النص الأصلي في مسار «حب كرشنا» هو «البهاقافاتا»، وبالأخص حكاية «رادا وكرشنا»، ولكن مسار التقوى الصوفية أخذ

بغراميات شعبية متنوعة، من أمثال قصة «بادميني»، وحكاية «لورا وتشاندرا»..إلخ) كاستعارات، وبالدلالة الروحية التي تعزى إلى هذه الاستعارات. الشاعر الرئيسي في مسار «حب كرشنا» هو سوردا Surda (1503–1563 تقريباً)، وهو الشاعر الرئيسي في البراج-باخا. وقد استمر سيل الشعر، الذي جعله هو وزملاؤه الشعراء السبعة يتدفق حتى أواخر القرن التاسع عشر (تماماً مثل شعرنا الملحمي التعبدي) [1]. يسمى هذا المنحى «ثمانية أختام» Ashtachhap. لا يمكن بالطبع أن تدرج معهم ميرا باي Mira Bai (1503–1546)، رغم أنه لا توجد ترانيم تعبدية أخرى عن مواضيع «حب كرشنا» بالحدة نفسها في ترانيمها. كما أن قارئي البنقالية يعرفونها أيضاً. وكان أول نص في مسار الشعر الصوفي مكتوباً بالأوادية: وهو «التشاندايان» Candayan، حكاية لورا وتشاندرا، ومؤلفها هو المُلا داوودMulla Daud، وكتبها عام 1370، أي قبل زمان «كبير»، ولا يوجد منه إلا النزر اليسير فقط. النص المكتوب الثاني هو أيضاً بالأوادية: «الميرقافاتي» Mrgavati (1501). كتبه قطبان الجانبوري Qutban عندما كان مقيماً في قاودا. النص المعروف لدى الجميع هو «البادومافاتا» Padu mavata بقلم مالك محمد جايسي Jaisi (قرابة 1520–1540)، وهو أيضاً مكتوب بالأوادية، لكن فيه عدداً غير قليل من الكلمات السنسكريتية. هذه قصة «بادميني» تشيتور Padmini

(1) يقصد «البادابالي» في البنقالية. [المترجم]

of Chittore، كما أن نص «بادومافاتا» لعلاء الأول Alaol (1950) ترجمة بنقالية حرة لذلك النص. تواصل هذا المسار بالأوادية أيضاً حتى القرن العشرين. في القرن السادس عشر، كان مسار التقوى الشخصية، الذي بدأه «كبير» الملهم لدادو رايال (1544–1603). لدينا أيضاً بعض المعرفة بثروته الروحية المذهلة. وعلى الرغم من أنه كان قوجراتي المولد، ومن سكان آمبر Amber (في راجستان)، إلا أن ترانيمه بالبراج-باخا، أو بالبراج-باخا بخلطة الكاري-بولية. كانت هذه فترة الإمبراطور أكبر [1]Akbar: استمرت البراج-باخا في الازدهار منذ ذلك الحين برعاية الإمبراطور. وكان أفراد كثيرون، بدءاً بتانسين Tansen، وبيربال Birbal، يكتبون بهذه اللغة. من بينهم، كيشاف داس (1565–1617) Keshavdas الذي نذكره باعتباره أول من بدأ أسلوب الزخرفة في الشعر الهندي. ونصه الشعري الرئيسي هو رشيق بريا Rasik Priya. ونصوصه الشعرية السبعة الأخرى مكتوبة بالأسلوب نفسه: فيها إسراف لامتناهٍ في «وصف الجمال» rupa varnam (من أظافر aakha البطلة إلى «خصال شعرها» sicka)، و«للأسلوب الموسيقي» rag—ragini، وفي «وصف الفصول» rtu–varnam، وسرد لم شمل المحبين وفراقهم، بنمط محكوم بقاعدة البلاغة السنسكريتية. لا نرى تأثير هؤلاء في الشمال فحسب، بل في

(1) هو جلال الدين محمد (1542–1605)، إمبراطور مغولي حكم في شمال الهند منذ 1556 بعد والده همايون. اشتهر بحكمته وتشجيعه للفن والأدب. عمل خلال فترة حكمه على توحيد الهند، ولا تزال محبته في قلوب الهنود حتى اليوم. [المترجم]

الجنوب أيضاً. في الأدب البنقالي، أيضاً، لسنا على غير معرفة بهذا كله: السبب هو أنها جزء من تراث الصور البلاغية السنسكريتية. كما أننا أيضاً لم نستطع أن نتحرر من هذه الأوهام، إلا بعد مجيء العصر الحديث والمُثُل الشعرية الحديثة.

كان لا بد من مرور مائتي عام قبل أن يصل العصر الحديث إلى الهندية. فقد كانت الإبداعات الأصيلة في أدب الهندية، محدودة في هذه المرحلة المتأخرة من الفترة القروسطية (1600–1800). وقد جرت بالفعل محاولة جادة للتجديد دون الاستمرار في الأسلوب القديم. في هذا السياق على وجه الخصوص نستذكر اثنين من الأسماء. لا يزال شعر بيهاري «سبعمائة (دوبليتة)» Satsai يثير حماسة المولعين بالأدب بلغة البراج–باخا. كان بيهاري (1626–1678) شاعر بلاط جاي سنغ الأمبري Jai Singh. أما الآخر فهو بوشان (1613–1712)، الذي يحظى باستحسان كبير. وقد تغنى بأمجاد معارك «شيفا» وتعاليمه بلغة عذبة وجميلة، وخيال مفعم بالحيوية. لا يمكن تسميتها فقط العقيدة الهندوسية، بل نعترف بها أيضاً كفداء وطني هندوسي. التضحية الهندوسية الوطنية، في أحد معانيها، قوة في خدمة القومية الهندية، وهي ضعف في معناها الثاني. كان هناك كثير غيرهما من الشعراء أيضاً: خصوصاً الشعراء المسلمين ذوي التقليد الصوفي، الذين واصلوا الكتابة بالهندية، على الرغم من توطد الأوردية آنذاك بصورة تامة. ومع هذا فقد بدأت الكتابة النثرية، وخصوصاً في كتب

التراجم للمتعبدين الفاشنافيين. في هذا الشأن فإن من يستحق الذكر كثيراً في كتابة النثر هو ناسخ دلهي سداسوخلال نياز Sadasukhlal Niyaz، الذي نشر ترجمة «الملحمة الفاشنية» Vashnu–Purana بلغة ذات طابع سنسكريتي في عام 1818، وهذه علامة بارزة في مسار تقدّم الهندية.

لكن وليام كاري واصل منذ عام 1800 تقدمه في تأسيس مركز للفترة الحديثة للغات والآداب الهندية بكلكتا، وأصبحت كلكتا منذ ذلك الحين، ملاذاً رئيسياً «للعائلة الهندية». منذ عام 1800، لقيت كل من البراج–باخا، والكاري–بولية، الدعم من الصحافة والطباعة، كنوعين من اللغة الهندية. ولد الأدب الهندي الحديث من رحم الحاجة إلى كتابة الكتب لكلية فورت ويليام. وكانت أولى هدايا الكاري–بولية في الكتابة النثرية «البريمساقار» Premsagar لصاحبها لالوجي لال Lalluji Lal (قرابة 1803–1909)، وهي قصة عن مآثر «كرشنا». وأول عمل نثري كتبه لالوجي لال بالبراج–باخا كان «الهيتوباديش» Hitopadesh. كما ألف ترينيشاران ميترا «البيتال باتشيسي» Betal Paccisi بالهندية الممزوجة بالسنسكريتية (في عام 1905). وكتب سادال ميشرا، معلم البهوجورية المخضرم، «ناسيكيتو باخيان» Nasiketo Pakhyan، وهي حكاية مأخوذة من «الكاثوبانيشاد» Kathopanishad، بالكاري–بولية للطلاب البريطانيين في كلية فورت ويليام. على هذا النحو، وجدت الكاري–

بولية، الفرصة لتصبح أيضاً لغة كبرى في الكتابة النثرية. لا يمكننا، طبعاً، أن ننسى إسهامات المثقفين البريطانيين من أمثال جيلكرست Gilchrist، لكن تعوزنا المقدرة على تقبل مثل هذه الإسهامات وتبنيها أيضاً. وأثرى الناسخ «سداسوخلال» الكاري-بولية من خلال إدخال بعض الصيغ والكلمات السنسكريتية إليها. وقدمت إلى الوجود أيضاً صحيفة «الأودانت مرتاند»: Undant Martand التي قام بتأسيسها المعلم جوقال كيشور Jugal Kishore، وظهر أول أعدادها في 30 مايو/أيار عام 1826، وقد نُشر منها ما مجموعه خمسون عدداً، وتوقفت عن الظهور منذو 4 ديسمبر/كانون الأول 1827. لاحقاً، وفي 1850، ظهرت «السوداكر» Sudhakar نتيجة لجهود أحد البنقاليين في بنارس. وفي عام 1856 صدرت في مدينة آقرا Agra مجلة «بوذي-براكاش» Buddhi Prakash للناسخ «سداسوخلال». وقد أدركت الحكومة البريطانية تأثير الفارسية، وكذلك الأوردية، وهكذا منحت أهمية للأوردية في إقليم (الهند) الغربي بأكمله. ومع ذلك، ففي المقاطعات المتحدة (أتاربرادش حالياً) تقدم راجا شيفبراساد Raja Shivprasad (1823-1895) ومعه في البنجاب بارز الذكر نابينتشاندرا راي البنقالي Nabinchandra (قرابة عام 1870)، في ترسيخ أقدام الهندية (الكاري-بولية). وخلال خمسين عاماً نهضت الكاري-بولية، واستقامت «كاريةً»[1]، خصوصاً وأنها

(1)) إن استخدام كلمة «كارية» هنا كان بغرض التورية، لأن كلمة «كاري»، كما رأينا، تعني

تأثرت بالنموذج الذي ضربه الأدب البنقالي الجديد. ومن ناحية أخرى، جاء إلى المشهد «بهاراتندرا» هاريتشاندرا Bharatendra Harichandra (1850-1888): كانت «بنارس» مكان عمله. ومن جهة ثانية، كان هناك دايانند سرسواتي Dayanand Saraswathi، مؤسس «الأريا سماج» Arya Samaj (1879) والذي نكاد نقول عنه إنه «بشر بقدوم» الهندية إلى المجتمع المدني بشمال الهند. كما لا يمكن نسيان المؤلف هاريش تشاندرا Harishchandra، الذي كان غزيراً في كتابة وترجمة النثر والشعر والمسرح، وترك لخَلَفه الأسطورة الرائعة في حب المرء للغته وحبه لأرضه. يمكن أن نذكر في هذا السياق أن عدداً من رجال البنقالية المشاهير، قد نشطوا في تعزيز ادعاء الهندية على عائلتها «السامسار»، جزئياً، بسبب الوعي الثقافي الهندي. ومن بين هؤلاء، كيشاب تشاندرا سين Keshab Sulabh Samacar)-1876)، وبوديف موكوبادياي Bhudev (المبادر بالاعتراف بالهندية في البيهار قرابة عام 1885)، وبانكيم إلى حد ما، ولاحقاً صحفيون من أمثال أمريتا لال شكرا فارتي Chakravarti، وكاليبرسانا كافيا فيشاراد Kaliprasanna Kavyavisharad، وبانشكري بانديو بادياي Panchakari Bandyopadhyay. كان هذا قبل ظهور السيد غاندي بوقت طويل. كانت الأوردية، وهي مكتوبة

«المستقيم»، وهو يقصد هنا استقامة اللغة من ناحية، ومن ناحية أخرى، وقوفها منتصبة القامة.] المترجم]

بالخط الفارسي، اللغة الوحيدة التي درسها البريطانيون المتعلمون بشمال الهند إذ إنهم لم يستطيعوا قراءة الحرف الناقري. حتى وقت قريب، في أتاربرادش (الحالية)، المقاطعات المتحدة (سابقاً)، كان يُسجّل في الوثائق الرسمية أمياً من يقرأ ويكتب بالهندية (وليس بالأوردية أو الإنجليزية). ربما تتقدم اللغة الهندية حالياً بصورة عدائية نتيجة لتلقيها الضرب المبرح في الماضي.

على أي حال، منذ عهد «بهاراتندو» رفضت الهندية أن يُكبح جماحها، واستمرت في حراكها. هناك الكثير من العناصر اللغوية التي تقبلتها من البنقالية.. سابقاً وحالياً– وهذه حقيقة طبيعية في حال بقية اللغات. وقد دأبت بالطبع على الاستعارة من الإنجليزية، تماماً كما عملت البنقالية، وجميع اللغات الهندية الأخرى. ومع أن من الصعب قليلاً الاستعارة المباشرة من الإنجليزية، فإن المهمة تصبح أسهل بكثير إذا ما تمت المعالجة القبْلِية [المسبقة] للعناصر المستعارة بواسطة التبني المسبق لها في اللغات الهندية الأخرى، في البنقالية على سبيل المثال. على هذا النحو، أصبحت الهندية واحدة من لغات القمة في آداب الهند في الستة أو السبعة عقود الماضية. ومنذ «هاريش تشاندرا»، تزايدت أعداد الأدباء بشكل كبير. لذا من المُحال أن نذكر هنا ولو بعض الكتّاب المرموقين. هناك تأثير طاغور، وشارات تشاندرا (شاتو بادياي) وغيرهما. ويسعى كثير من الكتاب في الهندية اليوم إلى تعلُّم آخر صيحات الأنواع الأدبية. يمكننا أن نذكر

القليل من الأسماء في كل نوع أدبي، مثل الشعر، الخيال القصصي، والمسرح، مع أن الناطقين بلغة طاغور لا ينسوا أن الشخص الواحد قد كتب في بعض الأحيان في أكثر من نوع أدبي.

ومع ذلك من الأشخاص الرئيسيين المعترف بهم في الشعر شاران قوبتا الميثلي (المولود في 1885) وفي الأزمنة الحديثة جاي شنكر «براساد» (صاحب مسرحية «كامايان» Kamayan)، وسوريا كانت ترياباتي «نيرالا» (1907)، وومست رانفدان بانث (من مواليد 1900)، ومهادفي فارما (مواليد 1907)، وسدرا كوماري شوهان، والراحل بال كرشنا شارما «نافين» ورامداري سنغ «دينكر» (البيهاري)، وحديثاً ساشدنند هيرنند ماتسياين «آجنيا»،..إلخ. وهناك العديد من الشعراء في الأزمنة الحديثة. وفي مجال الرواية، الأعظم هو برم تشاند Prem Chand (1880–1936، كتب بالأوردية حتى 1916): يلقى الإعجاب والتقدير في مجالات مختلفة عديدة، كما شارات تشاندرا (شاتابادياي). ومنذ ذلك الحين، يحظى بالثناء ياشبال، و«آجنيا» (ساشدنند هيرنند ماتسياين)، وجينندرا مومار، ورانقيا راقاف، وبهاقواتي شاران فارما، وإيلا شان جوشي، وأمريتالال ناقار. في المسرح، يبرز الآن المسرح الهندي ثابت الخطى. ولكن الدراما الهندية حتى قبل ذلك منذ عهد هاريش تشاندرا وما بعده: المسرحيات (البنقالية) لدوي جندرا كالي ترجمت جميعها إلى الهندية مرات ومرات. كما وجدت مسرحيات الفصل الواحد قبولاً طيباً،

وكتب جايا شانكر براساد، مسرحيات مشابهة لها أيضاً، ولكن الكتابة النثرية في الهندية الآن غنية، وخصوصاً في الكتب المعرفية اللاقصصية، والمقالات الأدبية إلى جانب الكتب التعليمية (في الترجمة والملخصات). السبّاق في هذا المجال هو هزاري براشاد دويفدي وآخرون من الأدباء الناجحين من أمثال شيف بوجان سهاي، والدكتور ناجندرا، وفاسوديف شاران أقروالي، ورام فيلاس شارما، وأمريت راي.

بكلمات قليلة، الهندية الآن آخذة في التقدم، كما أن الأدب الهندي آخذ في التقدم أيضاً. إن قراء الهندية المحتملين أعدادهم هائلة من الهنود (إن تعلّموا اللغة). لذا من المتوقع أن تجد لنفسها مكاناً كأدب، في المقدمة لا في الهند فقط، بل في العالم أيضاً. تكمن العوائق الرئيسية بهذا الشأن في داخلها.. أي جشع الحصول على الاعتراف الثقافي والمادي على أساس أفضلية الأرقام المحضة، وشغف غير ضروري باستخدام الكلمات السنسكريتية. إذا تمكنت من إحراز معنى للتوازن، يصاحبه ما نتوقعه من وعي ومسؤولية ممن هم في السلطة، فسيعترف بالهندية ككيان عظيم، لا في الهند فحسب، إنما في العالم أيضاً. بإمكاننا أن نرى بأنفسنا ماهي عليه اللهجات المتفرقة في الهندية، من خلال النظر إلى جملتنا السابقة المعروفة في هذه اللهجات المختلفة.(LLMI, p.75).

– الكاري–بولية (الهندية «الفصيحة»)

Kisi manush–ke do bete the «لرجل ما اثنان أبناء كانوا»

– الهندوستانية أو الأوردية

Kisi sakhs–ke do bete the «لرجل ما اثنان أبناء كانوا»

– البراج–باخا

Ek jane–ke do beta the «واحد لشخص اثنان أبناء كانوا»

– الهندية المنقحة (الفصيحة)

Kisi manushya–ke do putra the «لرجل ما اثنان أبناء كانوا»

– الهندية «العامية»

Ek adami–ko do beta tha «واحد لرجل أبناء ابن كان»

– الداكانية

Ek aadmi–ke do bete the «واحد لرجل اثنان أبناء كانوا»

– «البنجابية»

Ikk manukkha do putt san «واحد رجل لـ اثنان أبناء كانوا»

– الراجستانية (الجيبورية)

Ek janakai do beta tha «واحد شخص لـ اثنان ابن كان»

– الأواذية

Kaunau manaike dui betwa rahim «واحد رجل لـ اثنان أبناء كانوا»

– البيهارية، البهوجبورية

Ek adami–ka du beta brahe «واحد لرجل اثنان أبناء كانوا»

– البيهارية، الميثيلية

Kono manukhya–ke dui beta rahainthi «الرجل ما اثنان أبناء كانوا»

اللغة الأوردية

الأوردية.. هي اللغة الأم لنحو 34،941،435 نسمة في الهند (التعداد السكاني، عام 1981). نحن الآن نعرف معنى كلمة «أردو» Urdu. لا تعود الكلمة إلى أصول فارسية– عربية، لكنها أتت من التركية، وتعني «خيمة الجيش». كما أن هناك عامية أوردية «بازار» في حضرية (مدن) بنقلادش. ويُذكر أن الكلمة الإنجليزية horde «أوردي» صيغة أخرى للكلمة نفسها. مهما يكن الأمر، هذه هي اللغة، التي تشكلت في سياق أعمال، وتعاملات العسكريين الأجانب مع المحليين في دلهي والبنجاب. لقد وصلت إلى الأدب بعملية تدريجية، من خلال طريق غير عادي نوعاً ما. دعونا نتأمل «الداكانية» في هذا السياق. أخذ المسلمون هذه اللغة من شمال الهند إلى «ديكان»، وكان هذا الإقليم بلاد التيلوقو والماراثية والكنادا. وبالرغم من أن الشؤون الإدارية كانت تدار بالفارسية، إلا أن المسلمين دأبوا على تأليف الشعر، والنثر الأدبي بـ«الداكانية» منذ القرن الخامس عشر وما بعده. هذا كان المصدر الذي ولد منه الأدب الأوردي (انظر: LLMI)، وللأوردية ثلاث فترات رئيسية:

1– الفترة القديمة: القرن 15 إلى القرن 17، تاريخ الأوردية في هذه الفترة القديمة هو أساساً تاريخ «الداكانية».

2– الفترة القروسطية: 1700–1875، وهذه الفترة في الأساس تمثل عصر الأوردية الشمالية، أو أوردية دلهي.

3– الفترة الحديثة: 1875 وحتى الوقت الحاضر. المرحلة الأولى من هذه الفترة هي عصر السيد سعيد أحمد، بينما الثانية عهد إقبال.

كتب المسلمون بـ«الداكانية» منذ البدايات الأولى، وكتبوها بالخط العربي – الفارسي. لهذا السبب وحده، نعرف أن رؤيتهم وجوّهم الثقافي، سيكونان لاهنديين. إلا أنه مع مرور الزمن، تنامى عند هؤلاء الكتّاب، تقبل الجو الهندي شيئاً فشيئاً، وتم التوصل إلى التوافق، كما تطور مسرد الكلمات [المستعارة] ليصبح نابعاً من أصل اللغة (tabdhbava)، أو متسماً بهويتها. في السابق، لم يتابع المتحمسون للأوردية في الشمال، رصد المعرفة عن هؤلاء الأدباء. تنتشر أعمالهم، في هذه الأيام، من حيدر أباد، وقوجرات وبيدار، وقولكوندا، وبيجابور، وأورنق أباد، التي كانت سابقاً مركزاً لترعرع هذه اللغة. أول كاتب في الأوردية الداكانية، كان المتصوف محمد باندي نواز جيسو– دراز Gesu–Daraz (توفي 1442)، والكتاب المنشور له هو «بعث المحبين» (Miraz–ul Ashigin) [1] وهو شرح للعادة

(1) قد توحي القراءة بأن العنوان هو «ميراث العاشقين»، وهذا ممكن، لكن تشابه اللفظ لا

والفكر الصوفيين، وليس أدباً بالمعنى المعروف. ويستحق الذكر شعر شاعرين من القوجرات.. «جواهر الأسرار» (Jawahir—ul Asrar) لشاه علي محمد جان قموداني Jan Gamodhani (توفي 1575)، و«خوبترانغ» (1578) Khubtarang للشيخ خوب محمد. من بعد ذلك التاريخ مباشرة، يأتي اسم من أسرة آل قطب شاه، وهو السلطان قولكوندا محمد كولي قطب شاه (حكم 1590—1611)، الذي جعل من الراقصة الهندوسية باقي آفاتي ملكته المسلمة (begum)، ووهبها الاسم «حيدر بيقم»، وخلدّها لأجيال قادمة، بتأسيس مدينة حيدر أباد باسمها. كان كولي قطب شاه حقاً شاعراً ضليعاً. يستطيع المرء أن يرى أيضاً أن الأوردية أضحت لغة الشعر. وفي بلاطه الملكي [«دوربار» Darbar] بقولوكندا، تحمّس الشعراء إلى نظم الشعر الكلامي وهم: مولاه، وواجي Wazhi، وأخيراً غواي Ghawai (الذي كان موضوعه «توتي ناما» Tuti—nama، من غراميات «ليالي العرب»)، وابن النيشاتي Ibin—i—Nishati (ويدعى ديوانه الشعري «البهلوان» ، Phulwan1655)، والتابعي Tab>I الذي أسس نفسه على النظاميين، Hastpaikar 1670).

كان سلاطين بيجابور يشجعون «الداكانية» في ذلك الوقت، أيضاً (1590—1686). السلطان إبراهيم الثاني عادل شاه (1580—1626) كان شخصياً على دراية بالشعر والأناشيد في ذلك التقليد.

يعني تشابهاً في المعنى في كثير من الكلمات بين الأوردية والعربية. [المترجم]

خلال زمن خلفه محمد عادل شاه، كتب حسن شوقي، قصيدة روائية عن البطولة التي أظهرت في معركة «تل قوطة» Tal—Kota (1565) وسقوط فيجاي ناقارا. كتب روستامي Rustami «الخبرناما» («قصة حضرة علي» Khabarnama)، وكتب مالك خورشيد بـ«الداكانية» الغراميات الفارسية «بهرام» Bahram، و«يوسف وزليخة» Yusuf and Zuleikha. لكن خلال حكم عادل شاه.. الحاكم الذي تلاه، نظم شاعر برهمي، قصيدة تأبينية عن مآثرة بلغة داكانية خالصة باسم مستعار هو «نوسواتي» Nuswati. كما كتب قصيدة— بالاستعارة الرمزية— عن التقليد الصوفي، مستوحاة من قضية غرام «مادوملاتي» الجذابة Madhumalati. لا داعي لإطالة كشف الشعراء، ولا فائدة من الإطالة أيضاً. استمر شعر هذا المسار بالتدفق طوال حكم آل أورنق زيب Aurangzebوحتى عام 1707. ومنذ ذلك الحين أصبح الدور لدلهي.

خلال زمن «أورنق زيب»، وعندما كانت المحاولات لنشر لغة دلهي الكاري—بولية في «ديكان»، أطلق عليها «الهندوستانية» (Hindustani) لتمييزها عن «الداكانية». كانت «الهندوستانية»، لغة بقاع «هندوستان» الواسعة: كان الاسم الرسمي لها هو «زبان الأردو المؤلّه» Zaban—i—Urdu—e—Mu Allah —أي لغة الأردو السامية— التي في نهاية المطاف تم اختصارها إلى «الأوردو». الشاعر والي Wali، الذي يُعتقد أن اسمه الكامل هو شمس الدين

ولي الله (1688–1747)، من أورنق أباد بإقليم ديكان، كتب بغزارة في «الداكانية»، ومن ثم أخذ مؤخراً بالكتابة بهذه «الكاري–بولية الهندوستانية». استقر أخيراً في دلهي، وأصبح الحامل الأول للمنحى الجديد، كما أصبح مناصراً «لأوردية دلهي». هذه الأوردية لم تصبح بعد مثقلةً بالعبارات الفارسية، لقد كانت قريبة من الهندية. أحد حوارييه، «شيراز» الأورنقبادي (شيراز الدين شيركاز Shirazuddin Shirkaz)، كتب عشرة آلاف قصيدة قصيرة بهذا الأسلوب. جاء من أورنق أباد أدباء كثيرون آخرون وتجمعوا في دلهي: كانوا أول من أسس «قرانا» gharana (مدرسة) للأوردية. في هذه الأثناء، كانت الإمبراطورية المغولية في طورالأفول، وقد أخذ يبرز من حول دلهي الماراثيون، والسيخ، والراجبوتيون، والجاتيون. وفي خضم هذا كله، تقدم شعراء البلاط لتلميع الفارسية بهذا الأسلوب الجديد، وتحويلها إلى وسط لمساعي الشعر الانهزامي المصطنع [المتكلّف]. كما تولى السلطة في البلاطات الملكية، نبلاء ووزراء ذوو أصول إيرانية وتركية، وهكذا زالت الحماسة التي اكتسبتها الكاري–بولية من أوائل عهد الإمبراطور أكبر. لقد أصبحت المهمة الآن مقتصرة على تغليف الأوردية، التي نحتتها وشكلتها الداكانية. ونتيجة لذلك، لم تعد موجودة في الأوردية، شواهد على ماهو محلي المنشأ من كلمات الأزهار والفواكه، والنباتات، والأنهار، ومناظر الطبيعية، والمجتمع المحلي. وعوضاً عن ذلك، تم إدخال أسماء الأنهار والفواكه والأزهار

العربية والفارسية.. وهكذا، جلبوا إليها جواً مُتخيلاً، كله من الخارج. وأصبح أسلوب شعر الغزل وأغاني الرثاء، حالة التعبير المتميزة، ولا يمكن سرد شعراء هذا النوع الأدبي جميعاً. ورغم أن لأسلوب هذا الشعر جماله، فإن ما يفتقر إليه هو الألوان الحقيقية للحياة. شعر الأوردية لهذه الفترة، هو إسهام متقن من هذا التكلف. لكن لا مجال للنثر، لأن يكون على هذه الشاكلة. فليس بوسع النثر التملص من القضايا الحاصلة يومياً على الأرض، والتحليق عالياً في السماء بتلك الطريقة. أول الكتّاب في النثر الأوردي كان «شهار درويش» Chahar Darvesh الذي ظهر في كلكتا خلال الحقبة البريطانية. لكن إذا كانت الأوردية ستصبح لغة الإدارة، فإنها يلزمها أيضاً أن تكون لغة القوانين والقرارات ولغة الوثائق الرسمية والدوريات، وهكذا توطدت في كامل أرجاء شمال الهند. أقام النوابيون مركزاً آخر لأوردية دلهي في لكناو Lucknow (خلال فترتهم 1772–1856). وبالإضافة إلى ذلك، من الضروري أن نذكر شاعرين في الأوردية من أسماء ما قبل الفترة الحديثة: نظير Nazir (1740–1830) الكاتب الرائع الذي استلهم المُثُل الأوروبية، ولم يتجنب إطلاقاً أجواء وقضايا الأمور الهندية. الشاعر الثاني، الذي لا يزال أكثر شهرة، هو غالب Ghalib (1797–1869): كان صوفياً وشاعراً كبيراً في التقليد الصوفي، وقد أدخل النقد الأدبي والمراسلات أيضاً.

وصلت الأوردية إلى الفترة الحديثة، عندما بدأ السير سيد أحمد

يعزز «المُثل الأليقارية»(1). كان هذا التصور المثالي كما يلي: يتم القبول بالأفكار البريطانية جنباً إلى جنب مع الموروث الأوردي- العربي- الإسلامي، وكان هو المفتتح الأول لعصر نهضة المسلمين والأوردية وسيلة تلك الصحوة. هذه المُثل هي التي ألهمت الشعراء والروائيين والكتاب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وما يليه، ومن أبرز هؤلاء زكاء الله شيبلي (المؤرخ) Zakaullah Shibley، ونظير أحمد (الروائي)، والشاعر «هالي» (محمد ألطاف حسين 1837–1917). هالي لا مثيل له.. إلهامه مستمد من الهندوس والمسلمين، ومن غيرهم أيضاً. كما قدّم الإلهام، أيضاً، لصحوة جديدة. كان من الطبيعي أن ينضم الأدباء الهندوس إلى مثل هذا الإبداع الأدبي بالأوردية. الأوردية هي اللغة التي يقرأ ويكتب بها المتعلمون، وعلى الرغم من هذا، كان جوها مبتكراً، وهو الجو الذي أمكن للأدباء تنفسّه. لذا كان في وسع المتعلمين الهندوس أيضاً أن يصبحوا من كتّاب الأوردية، لو كانت لديهم المعرفة اللازمة بالكتابة [بالخط الأوردي]. مثال ذلك، «فيسانس أزاد» Fisance Azad (قصة غرامية مبنية على الحياة في لكناو) للمعلم رامنات شارما Ramanath Sharma، وقصائد الشاعر بريج نارين شاكفاستBrig Narain Chakvast. وإلى جانب هذا الإنتاج، هناك الكثير من المقالات والكتابات الاستطرادية المتنوّعة

(1) نسبة إلى اليقار Aligarh، وهي مدينة بشمال الهند، تضم حالياً واحدة من أكبر الجامعات في العالم. [المترجم]

بالأردية للمؤلفين الهندوس، وخاصة من أتاربرادش والبنجاب، ولا يزال راقوباتي ساهي «فيراق» Firag «Raghupati Sahay» شاعراً كبيراً في الأوردية بقوراخ بور Gorakhpur.

نحو 1920، برز تأثير الشاعر محمد إقبال في الأوردية. كان إقبال محباً للهند ذات يوم، لكنه أظهر ميلاً في ذلك الوقت إلى «عالم مسلم». كانت لغته نافذة بشكل غير عادي، لكن يمكن القول إنها فارسية أو عربية، بدلاً من كونها أوردية. في الحقيقة، لقد كتب إقبال بالفارسية أيضاً. بعد ذلك، عندما تعزّز مفهوم الانفصال، أصبح إقبال ملهم أحلام المسلمين الهنود في باكستان. رسالته كانت معصومة أيضاً، لأنها كانت بالشعر، الذي لا يلتفت إلى المجادلة. ومنذ ذلك الحين، طرأ التحوّل الرئيسي في الكتابة الأوردية الحديثة.

بيد أن ذلك لم يكن الاتجاه الأوحد، فقد أصبحت الأوردية الحديثة في ذات الفترة، لغة النثر الصافية بالغة الوضوح. يعود الفضل في هذا لعبد الكلام آزاد Abdul Kalam Azad ولثُلّة أخرى من الكتاب المهذبين والموهوبين. في حقيقة الأمر، الناس الذين تلقوا تعليمهم بالأوردية، نجحوا في نشر أفكار ورؤى العصر الجديد بسهولة أكثر بالأوردية منها بالهندية. وهكذا، منذ 1936 وما بعدها، ظهرت في الأوردية بشكل طبيعي، موجة الأحلام والمثل الحديثة. كان حاملو هذه الموجة، كثيري العدد، وكانوا- إذا جاز القول- أنسباء بريماتشاند: لقد سمعنا بأسماء مثل مليح أبادي Maliabadi وفايز أحمد فايز،

وكريشن شاندر، وموهان سنغ، وأحمد علي، وأبندرانات أشك، وسردار علي جفري، وبرويز شاهدي، وخوذه أحمد عباس، وكيفي عزمي. ومع ذلك، فقد أصبحت باكستان الآن المركز الرئيسي للأوردية، ويحتمل أن تصبح دلهي ومعها ممباي Mumbai مركزين لنوع هندي آخر من الأوردية. على أي حال، الأوردية لغة هندية بغض النظر عن كونها مغلفة بصبغة الفارسية أو العربية. إنها لغة ناقلة لكلام وأفئدة ومعرفة وفطنة أناس كثيرين جداً.. يجب أن يعترف بمكانتها المتساوية مع جميع اللغات الأخرى خصوصاً وأن الأوردية، اللغة الأدبية الهندية الكبرى.

اللغة البنجابية

البنجابية، هي اللغة الأم لنحو 19،699،199 نسمة في الهند [1]. للغة البنجابية لهجتان متمايزتان: إحداهما تسمى «اللاهندا» Lahanda أو «الهنديكية» Hindiki في غرب البنجاب، والآن تدعى الأخرى ببساطة البنجابية في شرق البنجاب. اللغة في غرب البنجاب ظلت لهجة، ولم تتم بها أية كتابات. هذا الإقليم الآن في باكستان، ويحتمل أن الأوردية هي اللغة الأدبية والمكتوبة بإقليم البنجاب الغربية. ومع ذلك، لم تتوقف ممارسة استخدام البنجابية. في البنجاب الشرقية أيضاً، مرت فترة طويلة لم يكن ممكناً خلالها الاهتمام بالبنجابية كثيراً.

(1) هذا الرقم وفقاً للتعداد السكاني الهندي لعام 1981، ولا يدخل ضمن هذا الرقم متكلمو البنجابية في باكستان. انقسم إقليم البنجاب إلى جزءين في تقسيم 1947: البنجاب الشرقية إلى الهند، والبنجاب الغربية إلى باكستان. [المترجم]

بسبب الهجمات الكاسحة للفاتحين الأفغان، والمغول، والأتراك على البنجاب منذ تاريخ ولادة اللغات الهندية الحديثة، لم يسهل تهذيب البنجابية بصيغة اللغة الأدبية. وبدلاً من ذلك تم تهذيب الفارسية، أو البراج-باخا، أو الكاري-بولية. منذ 1600 وما يليها، أصبح للبنجابية تدريجياً أدب حي. عند إقامة ولايتي البنجاب وهريانا Haryana، يبدو أن البنجابية ستتمكن من تحقيق مكانة لا تنافس عليها كلغة ولاية هندية: طريقها للصعود خالية من العراقيل. يفترض أن تكون تقسيمات مراحل البنجابية الزمنية كما يلي:

1- عصر البنجابية القديمة: حتى 1600 ميلادية.

2- بنجابية الفترة القروسطية: 1600—1850 ميلادية.

3- بنجابية الفترة الحديثة: 1850 ميلادية وما فوق.

يقال: إن الدليل على البنجابية القديمة، يوجد في «القرانث صاحب» Granth Sahib، ولكن ترانيم القورو السيخ Sikh Gurus [1] الموجودة به، جميعها منظومة بالهندية القديمة، وليس بالبنجابية. هناك بعض الكتابات مما هو أقدم منه: وتلك باللاهاندا، وهي أقرب إلى السندية القديمة. وهناك أمر تجب الإشارة إليه هنا: اعتاد السيخ نسخ «القورو-قرانث»[2] بحرف معين من الأقاليم الهندية (كان

(1) Gurus في البنجابية تعني المعلمين الأسياد، وهم علماء دين في مرتبة القديسين عند السيخ. [المترجم]

(2) اسم الكتاب الكامل هو: Guru Granth Sahib ويمكن أن يعني «المعلم الأكبر العظيم» وهو الكتاب المقدس في الديانة السيخية، ويوجد في معبد السيخ الذهبي (البنجاب) بأمريستار Amristar. يضم حوالي 6000 ترنيمة، ويحرسه خمسة من السيخ الخالصين

خليطاً من السردا Sarada والناقري) وقد أطلق على هذا الحرف الكتابي اسم «القورموخي» Gurmukhi، وهو اسم للخط وليس للغة. كما أن البنجابية، كتبت على الدوام بهذا الحرف، ويحتمل أنها كتبت بالخط الفارسي، لكنها في تلك الحالة يمكن أن يطلق عليها مسمى «الأوردية»، ولو كتبت بالحرف الناقري، لدعيت «بالهندية». وهكذا فاللغة المكتوبة بالحرف القورموخي ظلت معروفه باسم البنجابية. فهي وعلى الرغم من أنها مكتوبة بالحرف القورموخي، إلا أن معظم ترانيم «القرانث صاحب» متجانسة لغوياً مع الهندية القديمة. ولعل المثال الواضح الوحيد من صلب متن البنجابية هو (تعاليم) القورو قوفيند سنق Govind في «تشاندي دي بار» Candi di Bar. لكن يبدو أنها مؤرخة بعد عام 1650، وعلى ما يبدو أن هناك نصاً عن حياة القورو ناناك بعنوان «جانام ساثي» Janam–Sathi، وهو نص مكتوب قديم: كتبه شيفا سنغ (1558). كما أن هناك ترجمة أقدم منه عن حياة ناناك بقلم بالا Bala، بيد أنها باللاهندا. وثمة نص ثالث بقلم مان سنغ Man Singh، المتوفى عام 1737، وعليه فمن المحتمل أنها كتبت قبل عام 1650 لكنها بالبنجابية الصرفة.

كتب دامودار الجهنقي Damodar of Jhang الأسطورة الشعبية البنجابية «هيرورانجا» Hir and Ranja في ألف دوبليتة (زوج

الأتقياء. من تعاليمه الإيمان بوحدانية الرب ورفض الرهبنة والاعتقاد بتجسد الآلهة والبعث، ويحرم تعاطي المواد السامة كالتدخين وشرب الخمور. [المترجم]

شعري) بالبنجابية القروسطية، وكانت هذه الكتابة عادية نوعاً ما، لكنها مع ذلك أول نص مكتوب في تلك الفترة. ومن المؤلفات الأخرى للصوفيين: «الكافيات» Kafis، أو القوافي القصيرة، لبوليه شاه Bulleh Shah، وهناك قصائد كثيرة، من ثلاثين دوبليتة في القصيدة الواحدة منها، تعرف بـ «شي–هارفي» Shi–Harfis لعلي حيدر. هذه القصائد بالخط الفارسي، ولكنها بنجابية المحتوى واللغة. بغض النظر عن هؤلاء، فقد كتبت في هذه الفترة، أيضاً، «الجانقاناما» Janganama وقصة حرب «كوش ولاف» Kush and Lav من «الرامايانا». وهكذا فقد كتب المسلمون، والهندوس على السواء. ما يستحق الذكر فعلاً، هو الحكايات الشعبية في هذه الفترة: حكايات «هير ورانجا»، و«سوهيني وماهيبال» Sohini and Mohibal، و«شاشي وبانو» Shashi and Panho، التي رواها الهندوس والمسلمون، والتي لا يزال يتحمس إليها كل بنجابي حتى اليوم. وتتسم بالجودة من بين هذه المؤلفات مغنّاة «هير ورانجا» لواريش شاه Waris ورواية «شاشي وبانو» لفضل شاه Fazal. وإلى جانب كل ذلك، هناك «الباره» Bar، أو القصيدة الطويلة، عن المواضيع التاريخية (مثل غزو نادر شاه). كما يوجد في البنجابية أيضاً، عدد من قصائد الحب الدنيوي.

احتل البريطانيون، البنجاب في عام 1846. ولهذا السبب تأخرت «الفترة الحديثة»، مع أنها كان من المفترض أن تبدأ في عام 1850.

ويرجع ذلك إلى أن أحداً لم يأبه بالبنجابية خلال هذا التاريخ، باستثناء السيخ الذين كتبوا بالحرف القورموخي: شغلوا أنفسهم بالأوردية والهندية. تم اعتماد اللغة البنجابية في جامعة البنجاب عام 1915: وعليه، منذ نصف القرن الثاني أو حواليه، أثريت كثيراً بجهود المتعلمين السيخ. الشاعر السيخي الجدير بالذكر أولاً هو بهاي فير سنغ Bhai Vir Singh (1872–1957)، حيث إن نصه الشعري المطول «صورة سنغ» Surat Singh (1905) يمكن القول عنه إنه ينطوي على أطروحات الاستعارة الصوفية. إلى جانب ذلك، كتب الروايات، وسيرة حياة القورو ناناك. يمكن وصفه بأنه هو من ثبّت اللغة البنجابية، ومعه السيخ. يوصف بوران سنغ (1882–1932) بأنه «طاغور البنجابية». ليس بالقليل الهين عدد قصائده المترجمة إلى الإنجليزية. تُظهر كتاباته تأثره بطاغور، وتحمل نزعة إنسانية حقيقية. كما كتب مقداراً غير كبير في مجال النثر.

من بين الكتاب المعاصرين، يأتي موهان سنغ Mohan في الصدارة من جميع الأوجه.. رؤيته خصبة وواسعة أيضاً. السيدة أمريتا بريتام Shrimati Amrita Pritam يهلل لها أيضاً على جمال تعبيرها وفضيلته وتقدميته. البنجابية متقدمة حالياً في القصة القصيرة، والرواية، والمسرح، والمقالات، وليس فيها شح في الأدباء. سوريندر سنغ ناريولا، ناناك سنغ، قورباكش، سانت سنغ سيخوني، جميعهم كتّاب مهذبون ونشطون.

جملة، كمثال على اللغة البنجابية:

«واحد لرجل اثنان أبناء Ikk manukkh–de do putt san كانوا»

إذا نجحت اللغة البنجابية في تحمل الضغوط الصادرة من آداب اللغة الهندية واللغة الأوردية القويتين، فيمكنها أن تستمد ثراءها منهما.

اللغة القوجراتية

القوجراتية.. هي اللغة الأم لنحو 30،363،267 نسمة (التعداد السكاني لعام 1981). وللقوجراتية أهمية تقابل نظيراتها في اللغات الهندية الرئيسية الأخرى، ومرد ذلك إلى سببين: لم يحمل التجار القوجراتيون وأصحاب المال، اللغة إلى أماكن متفرقة في الهند فقط، بل إلى شرق أفريقيا أيضاً. وكانت القوجراتية، ناضجة في أدبها وثقافتها على الدوام، وهي الآن بصحة وعافية، نتيجة لاهتمام الأثرياء. في يوم من الأيام، كانت القوجراتية والماروورية Marwari (أي الراجستانية الغربية) غير متمايزتين تقريباً، ويمكن المقارنة بين المثالين التاليين: «رجل كان له ولدان»

(القوجراتية):

«واحد لرجل اثنان أبناء ek manas– ne be chikra hata كانوا»

(الراجستانية):

ek janairai doy daora he «واحد لرجل اثنان أبناء كانوا»

تدريجياً، تقاربت المارورية مع البراج – باخا، تحت تأثير الأخيرة.

وفي قوجرات أيضاً، كان الاهتمام بالسنسكريتية، والأبابرامشا السوراشنية ملموساً بشدة في البداية (1000–1200)، على الرغم من أن الكتابة بالقوجراتية كانت قائمة إلى جانبهما أيضاً. وفي وقت لاحق، تأسس كيان القوجراتية بصورة واعية في الفترة القروسطية، وهذا يعلل الافتراض بوجود ثلاث مراحل للأدب القوجراتي، وهي كما يلي:

1– الفترة القديمة: حتى قرابة 1450

2– الفترة القروسطية: قرابة 1450–1800

3– الفترة الحديثة: 1800 ميلادية وما فوق.

لعل اللغة التي وجدت بها بعض «الشلوكات» slokas (بيتان من الشعر أو مقاطع شعرية قصيرة) للقديسين اليانيين، من أمثال هيماشندرا سوري (1089–1173) Hemachandra، يمكن تسميتها ماروورية–قوجراتية، أو يانية–هندية. على أي حال، يمكن للمرء أن يتبين أن القوجراتية قد أصبحت وطيدة مترسخة، من خلال «القصائد المطولة» rasas، و«الأساطير» kathus، و«أناشيد عن قضايا الحب والطبيعة» phagus، وأناشيد مثل «البرامسيات» Baramasis «والراسكات» Raskas (عرفت أخيراً «بالابتهالات»

Garbas)، التي تغنيها جميعاً النساء في القرن العشرين الميلادي. ومع ذلك، فقد عانت من نكبة عندما فتح علاء الدين خيلجي Alanddin Khilijee) قوجرات (1299). لهذا السبب، لاذ الشعراء القوجراتيون بالأرياف، وانهمكوا بحياة وحكايات أصحاب القرى. إلا أن اليانيين والهندوس والبارسيين Parsis، ألفوا معاً الشعر والنثر بالقوجراتية القديمة، وهو تقليد استمر حتى القرن السابع.

بدأ الأدب البهكتي، وكذلك فترة القوجراتية القروسطية، قبل ذلك بقليل. يعود الفضل في ذلك إلى إسهامات نرسنيمها مهتا (سانت نارسي مهتا 1425–1481 Sant Narsi Mehta)، الذي يعد أحد النجوم البهية واللامعة في التقليد السانتي Sant في الفترة القروسطية. فقد كان نرسنيمها معلماً عظيماً (قورو) في الأدب القوجراتي. كانت ميراباي من معاصريه (بحسب الرأي القوجراتي)، و«ترانيم» ميراباي التعبدية، (التي هي أصلاً بالمارورية) يرحب بها في قوجرات، وعليه فقد دُمغت بختم القوجراتية مؤخراً، تماماً كما مُهرت بختم الهندية. إن «البهاقافاتا»، وأسطورة كرشنا موضوعان رئيسيان للمعتقد البهكتي في قوجرات. وقوجرات هي منبع فلا باشاريا Vallabacharya (1479–1531) ومذهبه: أسهم هذا المذهب كثيراً في الشعر القوجراتي. وهكذا هناك طغيان طبيعي للحكايات، والأناشيد التعبدية في الشعر القوجراتي في الفترة القروسطية (على غرار أناشيد «الترانيم» وحكايات «الشعر الروائي المرتّل في البنقال).

وقد سعت إلى حد ما لتحرير الشعب من المعتقدات المتعصبة في الدين والطبقة الاجتماعية. من بين أعمال هؤلاء الشعراء المتعبدين، القصائد الروائية (المرويّات narrative poems) لسواروكور أكور Svarukur Akhor (1615–1675) ولبريمننْد بهات Premanand Bhatt (1636–1675)، والأساطير الملحمية لسامل بهات Samal Bhat (القرن الثاني عشر)، وجميعها أعمال بارزة. مع نهاية هذه الفترة، وبسبب حسه الحقيقي للشعر وكياسته المتعقّلة، تم الاعتراف بديارام Dayaram (1767–1852) التابع لمذهب الفالابها شاريا Vallabhacharya، كأفضل شاعر في الفترة القروسطية.

بدأت الفترة الحديثة في قوجرات بعد 1850، وقبل ذلك توافد الغربيون إلى قوجرات طيلة قرنين ونصف القرن. وقد استولى البريطانيون على قوجرات من الماراثيين Marathas في 1819، وكان المبشرون أول من نشط في نشر التعليم بقوجرات أيضاً. تأسست جمعية الأدب العامي القوجراتي في عام 1848. وكان دلبات رام Dalpat Ram (1810–1898) ونارمادا شانكر (1833–1886) Narmada shankar طليعة هذا العصر (الفترة الحديثة). فقد حوّل دالبات رام بحسه المرهف وفكره الجديد، مجرى الشعر القوجراتي في اتجاه جديد. كما استمد نارمادا شانكر، في نثره وشعره، الإلهام من مواضيع الطبيعة والوطنية والقيم الإنسانية. شجّع الرجلان، القوجراتيين أيضاً على النمط الاشتراكي الاجتماعي، مستنبطاً من

ميراث الأساطير القوجراتية القديمة. فقد نفخ قوفار دانداس ترياتي Govardhandas (1855–1955) الحياة في الرواية القوجراتية في روايته الملحمية الضخمة «سارسافتي تشاندرا» Sarasavati Candra [آلهة العلم]. إن شراعها المنسوج شراع عريض بحق وحقيقة، فهذه الرواية الملحمية يبلغ طولها قرابة 2000 صفحة. الرواية التاريخية كُتبت، وظهرت التنوّعات الجديدة، في محتواها وأسلوبها علاوة على أن أعداد المؤلفين استمرت في الازدياد أيضاً. كان البارسيون من كتّاب القوجراتية الجيدين، من أمثال بيهرام مالاباري، وأردريشار فرامجي خبر دار. أما ابن الشاعر دالبات رام، نانا لال Nana Lal (1877)، فقد تغلب على الجميع بإبداعاته الأدبية المتنوّعة في الشعر، والرواية، والمسرح، و«الابتهالات».. أصبح يعرف بشاعر قواجرات الملكي Rajakavi [1]. لقد جعل وزملاؤه المؤلفون، الأدب القوجراتي غنياً بإبداعاته في الجزء الأول من القرن العشرين.

في هذه الأثناء، قام الموقّرون من أمثال رامان باي نيلكانث Ramanbhai Nilkanth، ومانيلال ناثباي دويفيدي (Manila Nathbhai Dwivedi) بتوسيع حركة الإصلاح الاجتماعي في قواجرات أيضاً. مع حلول ذلك التاريخ، حل بقوجرات يوم مجيد عظيم تمثل في ظهور المهاتما غاندي في السياسة، وتقدم طبقة المقاولين في الصناعة بالهند وفي عالم التجارة، وقد حدثا في نفس الفترة. كما

(1) حرفياً تعني «ملك القوافي». [المترجم]

استمر رجال الأعمال القوجراتيون في تشجيع التربية والثقافة. وعندما أصبح الأدب، مفعماً بالإبداع بنفس الدرجة، استطاع عبر الترجمة أن يستوعب الآداب الأخرى (مثل البنقالية)، بما في ذلك الأرصدة الأدبية. لهذا فإنه لا يمكن بكلمات قليلة تلخيص الأدب القوجراتي المعاصر. بيد أن الذين استقوا متعتهم حتى من الكتابات بالإنجليزية لغانديجي، ومهاديف ديساي، وأندولال ياقنيك Indulal Yagnik، بوسعهم تخيل تدفق الكتابات الرائعة التي أسهموا فيها إلى لغتهم الأم. لذا نعمت القوجراتية بمقالات نقدية أدبية ذات مُثل عليا. «الفيديابيث القوجراتية» Gujarati Vidyapith، على وجه الخصوص، أصبحت مركزاً لمثل هذه المساعي. ومن ناحية أخرى، ظهرت محاولات شبيهة بها في الشعر، والمسرح، والقصص، والروايات. أوما شانكر جوشي مشهور وكاتب ضليع في هذا النوع من الأدب. كما أن من المشهورين أيضاً، بلوانتراي ثاكور، وجايانت دلال وآخرين.

لكن لكي نذكر اسماً شهيراً في الأدب القوجراتي، يجب أن يكون مانيكلال كنهيلال منشي Maniklal Kanhaialal Munshi أشهر اسم في السياسة، والنشاط الثقافي، والإبداع الأدبي. إنه في الأساس مؤلف قصص الحب التاريخية المستوحاة من تاريخ قوجرات. ولهذه الكتابات باللغة القوجراتية، على ما يبدو، صدى متردد لروايات الرومانسية والبطولة في عصر بانكيم، أو هذا ما

يقال، على الرغم من أنه ليس من السهل محاكاة عقلية بانكيم ووعيه الشعري. لعب السيد منشي دوراً توجيهياً، أيضاً، في الأنشطة الثقافية وفي مشروع النشر. نعرف من خلال هذه الكتابات المنشورة أنه يشار إلى هذه الفترة من الأدب القوجراتي بعصر كنهيلال منشي.

أما زوجته، السيدة ليلافاتي منشي Shrimati Leelavati Munshi، فتمتلك، بلا منازع، مقدرة من نوع مختلف. برواية المرأة الفاحصة للحياة، تحمل كتابتها صبغة حقيقية للعامية. من الكاتبات الشهيرات من نساء قوجرات، فينوديني نيلكانث Vinodini Nilkanth وحمسا ميهتا Hamsa Mehta. باختصار، كما هو ممكن في المجتمعات الثرية في الأقطار الأخرى، فقد استطاع فوجراتيو القواجرات أن يضعوا آلهة العلم «سارسفاتي» Sarasvati إلى جانب آلهة الثراء «لاكشمي» Lakshmi. لاكشمي، ومعها متكلمو هذه اللغة يصادفون حظاً طيباً. ونتيجة لذلك فإن السارسفاتي تنعم بالحظ الطيب أيضاً.

اللغة الماراثية

الماراثية.. هي اللغة الأم لنحو 49،452،922 نسمة (التعداد السكاني لعام 1981). وتحتل من حيث العدد، موقعاً مباشراً بعد الهندية والتيلوقو والبنقالية. من حيث عدد المتكلمين والنفوذ والقيمة المعنوية والمبادرة والجهد، فإن الماراثية لغة هندية عالية المرتبة وتمتلك أدباً متميزاً وكبيراً. وسواءً اشتملت على الكونكانية أم لم تشتمل، فلدى الماراثية الماضي

العظيم والمستقبل الواعد[1]. ظهرت الماراثية عام 1000 ميلادية. وفي مسار توسعها، لزمها أن تنتشر في مناطق القوندين في بهيلس Bhils وفي مناطق اللغات الدراويدية، وهكذا أَلِفت الاحتكاك مع تلك اللغات. في ما يلي مثال من الماراثية «العامية» (ببونه Pune) لا يزال مختلفاً إلى حدٍ ما عن نظرائه في القوجراتية والهندية:

kone eka mamas as dam petra note «كان أبناء اثنان لرجل واحد ما».

برزت الحيوية في الماراثية عند بلوغها القرن الثالث عشر. وبطبيعة الحال كانت الماراثية آنذاك تكتب بحرفها الأصلي «الماري» Mari، واتخذت الحرف الناقري في القرن الثامن عشر، كما لا يزال الحرف الناقري حرفاً كتابياً للماراثية. تقسيمات الأدب الماراثي بحسب العصورهي كالتالي:

1– الفترة القديمة: حتى 1350 ميلادية.

2– الفترة القروسطية: 1350–1800 وهذه تشمل ثلاث مراحل:

أ– عصر المرحلة الانتقالية: 1350–1550 ميلادية (فترة تأسيس حكم المسلمين).

ب– مرحلة عصر المسلمين، (زمن ممالك البراريين Berar، والبيجابوريين Bijapur والأحمديين في أحمدنقر

(1) منذ زمن وضع هذا الكتاب، تم اعتماد اللغة والأدب الكونكانيين رسمياً في الملحق الثامن من الدستور الهندي من قبل «المجمع الأدبي».

Ahmednagar): 1550–1700 ميلادية.

ج– عصر حكم الشيفاجيين Shivaji، والبشويين Peshwas: 1700–1800 ميلادية.

3– الفترة الحديثة: 1800 ميلادية وما يليها.

يؤخذ جنانيشوار Gnaneshvar باعتباره أول مؤلف في الأدب الماراثي. ليس ذلك من دون مبرر، ولكن الأدب الماراثي بدأ من قبله. كما هي الحال في بقية اللغات، كان الدين مصدر الإلهام لذلك الأدب:على وجه الخصوص، شكلت قاعدته اللاثنوية [أي التوحيد] في الفيشنافية، والشيفية والناثبنتية، مساهمة لمذهبين اثنين موجودين في الأدب المارثي المعمر العتيق: مساهمة المذهب التجريدي «المانبافا» الموحِّد Manabhava وهي مساهمة ضئيلة إلى حدٍ ما، ولكن المساهمات الغزيرة هي لدعاة المذهب الفيتثالي (الفيشني) Vitthal في «التوحيد الفاراكري» Varakari Panth، الذين كانوا من مناصري البهكتية من خلال المعرفة. كانت بندربر Pandharpur قبلتهم المحددة، ومركز حجهم. لكن ما يتفوق على جميع المساهمات، هو التقوى التعبدية اللاثنوية لجنانيشوار. تعليقه على «البهاقافاد–قيتا» Bhagavad-Gita في تسعة الآف «اوبيته» obi، أو مقاطع بالنثر الموزون، يعرف هذا التعليق لدى الجميع باسم «الدنانشوارية» Dnaneshvari، وانتهى منه في عام 1290. لم يعش جنانيشوار سوى اثنين وعشرين عاماً. كما ألّف مأثرة فلسفية

أخرى، وبعض الأناشيد الدينية. لكن «الدنانشورية» هي منجزه الأسمى، ولا يزال تأثيرها متواصلاً في فضاءات مختلفة عديدة. هناك مؤلفون وقديسون غيره في الماراثية القديمة ينتمون إلى مذهب الإقناع الجنانيشواري، وكثير منهم ينتمون نسبياً إلى الطبقات الاجتماعية الدنيا. هناك أيضاً واحدة أو اثنتان من النساء، من أمثال جسبال Jasbal. لكن من المتعذّر أن نذكر اسم ناثاديفا Nathadeva، وقد كان خياطاً بحكم طبقته ومهنته.

بدأ «عصر المرحلة الانتقالية» في الفترة القروسطية (1350–2550) بغزو علاء الدين خيلجي، وانتهى بتأسيس حكم المسلمين في إقليم ماراثا. هناك كتابات للمذاهب الدينية حتى في عصر المعارك والحروب. ومع ذلك، فقد كان عصراً مظلماً للأدب الماراثي. القرنان التاليان يشكلان المرحلة الوسطى.. فترة طلوع القوة السياسية للماراثيين والشيفاجيين Shivaji. كانت هذه الفترة أكثر إشراقاً في جوانب عديدة. في مستهلّها، ظهر أيكانات سوامي (1548–1599) Ekanath Svami. وقد كتب المجلد السادس عشر من «البهاقافاتا» شعراً بالماراثية، وأتبعه «الرامايانا» ونصوصاً أخرى. كما حرّر إيكانات سوامي النصوص، «الأيكاناثا–البهاقافاتا»، والأيكاناثا–الرامايانا»، و«ركميني–سوايام فارا» Rukmini–Svayamvara، و«الدنانشورية» ونظرته التحررية الليبرالية تجاه الطبقية والمعتقد الديني. كل هذا يضع معلماً للازدهار في التقليد الدنانشوري كما

يطبع حالة الانتعاش الماراثية. واستمر المتعبدون، من أمثال موكتي شيفار Mukteshivar، في توسيع ذلك التقليد.

ظهر اتجاه آخر، خلال زمن ناثاديفا نفسه، ومن المحتمل أن معاصريه لم يلحظوه. كان أيستبان (توماس ستيفنز) Esteban أول إنجليزي يأتي إلى الهند، وهو بريطاني الجنسية، وراهب كاثوليكي بالقناعة الدينية. قدمَ إلى ولاية «قوا» ليدعو إلى الدين. بعد أن عاش في هذا البلد أربعين عاماً، كتب بالماراثية «كريشتا–بوران» –Krishta Puran بوزن «الأوبيته» النثري (نشرت لأول مرة عام 1616)، شارحاً بها المسيحية الكاثوليكية. وعلى الرغم من أن البريطانيين، قبل ذلك بقليل، كانوا قد أسسوا «الدار التجارية» (Kuthi) في سورات، إلا أنه يتوجب الاعتراف به كمحاولة قديمة شيئاً ما. في هذه الأثناء (في القرن السابع عشر) كان توكارام Tukaram (1588–1649)، ومن بعده رامداس Ramdas.. المعلم الشيفاجي الناصح (1608–1682)— كانا يصعدان في عالم الماثراتية. كان توكارام يدين بالمذهب الفيتثالي، وكرس فؤاده للتقوى الوجدانية. كانت «أبهانجاته» (قصائده abhangs)، الخمسمائة أو حواليها، ستجد من يثمنها في الآداب التعبدية لأي لغة. فلسفة رامداس في «الداسابودا» Dasabodha، اشتملت على تدريس التضحية، وحماية العقيدة إلى جانب تكريس عبادة الرب: كانت قوى الماراثا والشيفاجية الملهمة لمتابعة هذا الأنموذج المثالي. في هذه الأثناء، ظهرت «البوادا» في الأدب الشعبي

(pawada «القصص الحربية»): بداية كانت روائيات عن الحروب، غنية ببساطتها ومواضيعها المباشرة. كانت الشؤون الإدارية الملكية في إقليم الماراثا تدار بالفارسية، ولكن التقارير السنوية المتفرقة كانت تؤلف أيضاً بالماراثية في ذلك التاريخ. وتعتبر تلك «البوخرات» Bukhas، أي السجلات الزمنية، أرصدة للنثر الماراثي في عهد البشويين. وكان ملهار راو Malhar Rao آخر مؤلف «للبوخارات» [أحد التقارير] في زمن البشويين الشتنيين Chitnis.

شكل عصر البشويين (1700–1800) المرحلة الأخيرة من الماراثية القروسطية. على تقاليد إيكناث، وشريدار Shridhar (1678–1728)، نظم مدهف مافي Madhav Muni (توفي 1753) وآخرون، الشعر الروائي في مواضيع ملحمية من «الرامايانا» و«المهابهاراتا». في هذا التاريخ كانت ولادة المعلم مورو بانت Moro Pant (1729–1794)، الذي أثرى هذا التقليد الملحمي بعلمه المعرفي في السنسكريتية أيضاً. كانت قدراته متعددة الأوجه، وكان يجد لها التعبير في مؤلفاته العديدة. في هذا الوقت، ظهر توجه آخر في الغناء الشعبي، مواضيعه هي أغاني الحب عن «رادا وكرشنا»، وكان يسمى «لافني» lavni. أعيدت صياغة هذا النوع من الغناء، ليناسب الأذواق الشعبية، والرقص، والإنشاد وشيئاً من قلة الحشمة، وصار أقرب إلى «الطماشا» tamasha (أي الفجور)، حتى إنه يمكن تسميته بالخليع.

الفترة الحديثة (1800 وما يليها)، أصبحت يقيناً لا يُطمس بعد

الاحتلال البريطاني (عام 1818). في الحقيقة، أصبحت الحياة الماراثية من بعد ذلك مملوءة بالنشاط والحيوية. بدأ (ويليام) كاري، والبعثة البابوية في كلكتا، بطباعة الكتب الماراثية. كما أن سارفو المعظم Sarfo-ji، ملك طنجور (المهاراجا)، ترجم الكتب أيضاً إلى الماراثية وطبعها بها. وبدأت مرحلة الترجمة من الإنجليزية والسنسكريتية إلى الماراثية في ممباي [بومباي]، كما تواصلت كتابة وتأليف الكتب المدرسية. كان نصف القرن هذا، أيضاً، فترة الإعداد للماراثية. في غضون ذلك، بدأت كتابة المسرحيات: في عام 1841 تم تمثيل أول مسرحية بالماراثية، «السيتا سواينفار» Sita Svayanvar لفشينو أمريتا آبتي Amrita Apte Vishnu. كان هناك كتّاب مسرحيون لاحقون، من أمثال كيرلوسكار Kirloskar (1843–1885)، ومن بعده خيري Khare (1858–1924). وباتباع التقليد نفسه، الذي تواصل حتى القرن العشرين، اتخذ خاديكار Kadikar، وكيلكار Kelkar، وأتري Atre، وماما فاريركار Mama Varerkar، من المشاكل الاجتماعية المعاصرة، مواضيع لمسرحياتهم. وهكذا دخلت المشاكل المعيشة لعصر حي إلى مسرحيات الماراثية. ومع ذلك فإن تأثير السنسكريتية، وكذلك الدين الرشيد كانا بارزين إلى درجة كبيرة في الأدب الماراثي. كما أن كثيراً من المؤلفين كانوا علماء رائعين. أسماء مثل كونثيKunthe، وتيلانغ Tailang، وغيرهما ليست لأناس عاديين. وبالإضافة إلى ذلك، يبجّل الجميع في الهند الحديثة (مهاديف قوفيند)

رنادي Ranade و(راماكرشنا قوبال) بنداركر Bhandarkar. ومع ذلك، لم يسمحوا إطلاقاً للغة الماراثية بأن تحيد عن تقليدها القديم. في التعليقات الأدبية يُعّد «النيفاندا مالادارش» Nivandhamaladarsh لـ(فيشنو شاستري كرشا) شيبلنكار Chiplunkar دراسة ممتازة. وبالمثل، فإن (قوبال قانيش) أخركر Akharkar مميز في حقل الصحافة. كان محرر صحيفة «الكيشاري» Kesari. وبدأ لوكامنيا (بال قانقادار) تيلاك Tilak، من بعده كمحرر «للكيشاري»، حقبة جديدة في السياسة الهندية. كان تيلاك، في ذات الوقت، عالماً بالفيدا والرياضيات ومفسراً للدين. ولا يبارى كتابه «قيتا رهاسيا» Gita Rahasya. لقد فسر «القيتا» كمبحث عن «الكارما- يوقا» karma–yoga (الرياضة العملية) وليس كواحدة من نكران الذات في «الكارما» (العمل). كانت وطنية تيلاك القومية، ميالة إلى التراث القديم.

بدأت كتابة الروايات الماراثية أيضاً عام 1860، وأحرز (هاري نارايان) آبتي، (1864–1919) Hary Narayan Apte، لقباً ملكياً في الأدب الماراثي، عبر كتابته الروايات الرومانسية التاريخية القروسطية، ويُقدّر أن نحو نصف الخمسين كتاباً التي أعدها هي من هذا النوع من الروايات. في غضون ذلك، كانت أعمال بانكيم تترجم إلى الماراثية. إضافة إلى ذلك، لاقى الأدباء البنقاليون المحدثون، من أمثال شارت تشاندرا (شاتوباديا) وبرابات كومار موكرجي، ترحيباً في

الترجمات الماراثية، بالقدر نفسه الذي حازوه في بقية اللغات. من جانب آخر، شكل ساتني درانات ورابندرانات طاغور، مصدر إلهام للأغاني الشعبية الماراثية والحكايات البطولية. من بين الروائيين الكبار في الفترة الحديثة نجد أسماء مثل (نارايان سيتارام) بادكي Phadke، و(ج. ت) مودلكار Mudholkar، و(بوروشوتان ياشوفانت) ديشباندي Deshpande، وساني قوروجي Sane Guruji، وآخرين. من الواضح أن بعضهم لا ينفر من الطلاقة والتحرّر السائدين في الوقت الحاضر. على أي حال، إنهم يملكون الجرأة وكذلك مميزون. هناك أيضاً النساء الروائيات، وأخريات اشتهرت أسماؤهن في كتابة القصص القصيرة أيضاً. تعد نارايان هاري أبتي، روائية متحفظة إلى حد بعيد. في مجال الشعر، في القرن العشرين، ظهر بات فردان Patvardhan. وقد أدخل كانيتكار Kanetkar وآخرون من أصحاب «الرافيكران ماندال» Ravikiran Mandal، و(ب.س) مارديكار Mardhekar (1907–1956) في مرحلة بل حقبة جديدة من الشعر من حيث وجهات النظر والصيغة الشعرية. كما أن عدد الشعراء ليس ضئيلاً: قلة منهم معروفة خارج محيطها وتحظى بالتقدير أيضاً، مثل (ي.د) بافي Bhave، وماقنيش بادقا أونكار Magnesh Padgaonkar، وفيسانت بابات Vasant Bapat، ودشباندي Deshpande (ومنهم اثنان).

الماراثية الآن هي لغة ولاية مهاراشترا، ومهاراشترا ولاية موحدة

أيضاً. ومن المحتم أن يكون مستقبل هذه اللغة وهذا الأدب مشرقين.

اللغة الكشميرية

الكشميرية هي اللغة الأم لنحو 3،176،975 نسمة (التعداد السكاني لعام 1981). ويحتمل أن لديها أقل المتكلمين عدداً بين اللغات الكبرى في الأمة الهندية[1]. لكنها مع ذلك ذات أهمية كبرى في جوانب معينة. بادئ ذي بدء، إن لها جذورها كلغة في المجموعة الداردية Dardic في اللغات الهندية-الإيرانية، ومع ذلك فقد تلقت تغذيتها من الهندية-الآرية، والإيرانية على السواء، ومن السنسكريتية ذات يوم — على الأقل حتى 1000 ميلادية— ومن الفارسية منذ بداية فترة المسلمين. ليست لها صلة قرابة حصرية بأي لغة محددة. ويمكننا قول ذلك من خلال فحص الصيغة الكشميرية لجملتنا السابقة الأكثر اقتباساً:

akis mahan ibis wes (i) zhe necibci «أولاد اثنان كان ل رجل واحد».

هذه لغة من المجموعة الداردية. أما الأدب فقد جاء في وقت متأخّر. وهكذا، فإن تقسيمات الأدب، واللغة الكشميريين، بحسب المراحل التاريخية كما يلي:

(1) قد لا يكون ذلك صحيحاً بعد اليوم، لاسيما بعد الاعتراف الرسمي بعدد قليل إضافي من اللغات كلغات هندية كبرى.

1- الكشميرية القديمة:1200—1500— ميلادية.

2- الكشميرية القروسطية : 1500—1800 ميلادية.

3- الكشميرية الحديثة: 1800 ميلادية وما فوق.

يقال: إن أقدم دليل على الكشميرية يرجع تاريخه إلى ما قبل القرن الثالث عشر الميلادي. وقد تم العثور حديثاً على نصين: أحدهما بطول 94 «شلوكة» (مقطع شعري أو دبليته)، والآخر بطول 74 « شلوكة». يصعب فك رموزهما، كما هي الحال مع «التشاريابادا» البنقالية. أول رموز الفخر في الكشميرية القديمة هي، بلا ريب، صاحبة المذهب الشيفي القديسة لالا ديدي (لال دد) (Lalla Didi Lal Ded) التي تم نشر ما لا يقل عن مائة وعشرة مجلدات من قصائدها. تتآلف في تصوّفها مع نهج المعتقدات الصوفية، وتدعى عند المسلمين «لالا يوقيشفاري» Yogishvari. كان المتصوّف شاه نور الدين (1377—1440) من معاصريها الأقربين. يدعوه الهندوس باسم «ناندا ريشي» Nanda Rishi، الذي جُمعت مؤلفاته الشعرية الدينية في «الريشي— ناماه» Rshi—namah أو «النور— ناماه» Nur—namah، والتي يحتمل أن يكون عدد منها إدخالات ملحقة بها[1]. لكن يعتبر ريشي بمثابة معلم كشمير الأعظم (القورو). كانت في حدود هذا التاريخ

(1) كلمة «ناما» في السنسكريتية تعني «قصة» أو «سيرة»، وكلمة «ناماه» هنا قد تعني «أقاصيص». إجمالاً، معظم كتب التراث الهندي المذكورة في هذا الكتاب تقدم تعاليم الدين والفضيلة والأخلاق والبطولة والمثل والتقاليد الاجتماعية، من خلال الحكايات المروية شعراً ونثراً. [المترجم]

تقريباً، فترة حكم الملك زين العابدين Zainal Abedin في كشمير (1420–1470)، وكان كما لو أنه أول بعث تجسُّدي للإمبراطور أكبر: لقد كان مولعاً بكل من السنسكريتية والفارسية، وراعياً لكل من الهندوسية والإسلام. منحه الشعراء الهندوس الإسم «يِنلا» Jainla، وكتبوا عنه الكثير من التراجم والمراثي. من ناحية أخرى وخلال فترة حكمه، تمت ترجمة «المهابهاراتا»، وملحمة الشاعر كلهانا Kalhana «الراجاتارانجيني» Rajatarangini، وترجمت أشعار جامي Jami إلى السنسكريتية. ومع حدوث كل هذا، طورت الكشميرية كيانها إلى لغة جميلة في أجواء معتقد الصوفية، ومن خلالها، أوجدت الكشميرية التناغم الاجتماعي والتناغم الديني.

خلال الفترة القروسطية في كشمير (1500–1800)، تنامى بالتدريج تأثير الفارسية، بينما تلاشى تأثير السنسكريتية. في شأن العقيدة أيضاً، ترسخت هيمنة الإسلام النافذة، ولكن الجو الصوفي ظل قائماً، وهكذا صارت بعض أساطير الأدب الفارسي، متطبعة في كشمير. في عام 1586، هزم الإمبراطور أكبر الملك يوسف شاه، وهو من سلالة شاك الحاكمة Chak، وأسس الحكم المغولي. كان هذا عصر المرأة الشاعرة الثانية في كشمير، هبة خاتون Habba Khatun، التي منحت عند ميلادها الاسم «يون» Jun (من jyotsna السنسكريتية «ضوء القمر»). كانت هبة فتاه قروية، وفي ما بعد أصبحت ربة بيت قروية. في المرحلة الأولى من حياتها الزوجية، استُغلت وعُذبت ولم

تواتها الفرصة لتلقي التعليم الملائم. وعلى الرغم من ذلك، لم يكن لها نظير في إنجازاتها، وجمالها الطبيعي الفطري. سحرت الجميع بلا استثناء بـ «لولاتها» — lolls أي قصائد الحب والمعاناة. وقع يوسف شاه في حبها وتزوجها، وبما أنها الآن أصبحت ملكة، فقد أطلق عليها «هبة خاتون». لكن الملك يوسف شاه خسر مملكته ولم يتمكن قط من العودة إلى كشمير. أمضت هبة خاتون بقية حياتها كحياة الراهبة. توفيت عن عمر ناهز الخامسة والخمسين، بعد أن قدمت للأدب الكشميري، الغنائيات الثرية عن الحب والحياة. الشخصية التالية، التي تستحق ذكراً خاصاً بها، هي أراني–مال Arani–Mal، شاعرة كشمير الثالثة (وهي شاعرة تنتمي إلى فترة ما بعد 1750). كانت زوجة لأحد البراهمة، ولكن حياتها المنزلية كانت مشروخة أيضاً. فقد كان زوجها ناسخاً بالفارسية، وكاتباً جيداً أيضاً، لكنه كرّس اهتمامه لعشق النساء الأخريات. بعدما هجرها زوجها، دفنت أراني– مال، آلامها بوصف الحب والطبيعة، في قصائد قصيرة مستغيثة. طبعاً، طوال تلك الفترة، تواصل الشعر الروائي، كما تواصل الشعراء الرجال من الهندوس والمسلمين ولا يمكن إغفال هؤلاء أيضاً.

بدأت الفترة الجديدة للكشميرية بالفتح السيخي على يد رانجيت سنغ Ranjit Singh (1819). ونتيجة لذلك، تم إلحاق كشمير بلاهور Lahore، ومن ثم ازداد تعارف الكشميرية بالأوردية والإنجليزية.

ومن بعد ذلك، آلت البنجاب وكشمير معاً إلى أيدي البريطانيين عام 1848 ولم يكن في مقدور مملكة «الدوقرا» Dogra مقاومة العصر الحديث. ينقسم الأدب في هذه الفترة إلى ثلاث مراحل. في المرحلة الأولى (1819-1913)، منح الشاعران محمود غازي Ghazi وبرماننده- شراكةً- الكشميرية الحديثة صيغةً مستقرةً. في المرحلة الثانية (1880-1913)، استحقت الكشميرية، من خلال البحث الحديث، مقاماً خاصاً. وكانت هذه المرحلة فترة الشاعر عبد الوهاب باري Pare، الذي ترجم «شاه ناماه» Shah namah، وكتب عدداً من «الغزليات» ghazals. أما المرحلة الثالثة من الكشميرية الحديثة فقد بدأت بعد عام 1913. في هذا الوقت ظهر بيرزادا غلام أحمد محظور Pir-zada Mahzur كشاعر للصحوة الوطنية، والبطولة والفداء، والإنسانية. لقد كانت شعبيته غير عادية. وإلى جانبه، نستطيع ذكر أسماء من أمثال «الأستاذ الموقر» زيندا كول Zinda Koul الذي كرمه المجمع الأدبي بجائزة «الساهيتيا أكاديمي» (عام 1956)، وننددالال كول Nandalal، بالإضافة الى أدباء معاصرين من أمثال رحمن راهي Rahi، ودينانات نديم Dinanath، ومير كامل Mir Kamil وآخرين. حالما تحصل الكشميرية على بعض الاستقرار في الاتحاد الهندي، فإنها سترى، بشكل سريع، أياماً أفضل من أيامها الماضية.

اللغة الميثيلية

الميثيلية.. هي اللغة الأم لنحو 6،121،922 نسمة في الهند. الميثيلية غير معترف بها سياسياً في الدستور، ولكنها لغة معتمدة في جامعات بيهار. حرفها الكتابي الخاص بها يتشابه كثيراً مع حرف البنقالية، ولكن كتب الميثيلية، ودورياتها تطبع، في هذه الأيام، بالحرف الناقري. الميثيلية لغة قديمة وذات عمر عتيق عريق، وقد تمت دراسة أدبها، أيضاً، منذ 1325ميلادية. أول نص بالميثيلية هو «فرنارا ثناكر» Varnarathnakar لجوتي ريشفار ثاكور Jyotirishvar، وجاء زمن الشاعر فيدياباتي بعد ذلك مباشرة، مع منقلب القرن الرابع عشر. بالنسبة لنا إن شهرته تنطلق من قصائد «البادابالي» الفاشنافية، وجذور لغتنا «البراجبولية» تنبع من طابعه في اللغة الميثيلية[1]. لكن تغيرت كثيراً ميثيلية فيدياباتي. ظهرت في العامية الميثيلية اليوم، علامات الأسماء في صيغ الفعل المنصرفة، وزاد من التعقيد ظهور لواحق التبجيل أيضاً، وبالإمكان استذكار المثال السابق:

kono manukkya-ke dui deta rahainthi كان أبناء اثنان لـرجل ما

ومع هذا، فالشعر هو ما دُرِسَ في الماضي، وفي ذلك التدريس

(1) Brajabuli لغة أدبية مصطنعة، تتشابه مع ميثيلية فيديابادي، ومع الأبابرامشا والبنقالية التي استخدمها شعراء الفاشنافا في البنقال لنظم أشعار الحب التعبدية. كتب رابندرانات طاغور مجموعة من القصائد الغنائية بالبراجبولية باسم مستعار هو بهاني سيمها ثاكور Bhanysimha Thakur.

استعملت اللغة الميثيلية في صيغتها القديمة وحدها فقط. أيضاً، يوجد في الميثيلية شاعر آخر يدعى قوفيندا داس Govinda Das. لكن في القرن الثامن عشر، كان شاعر الميثيلية الرئيسي هو تشاندا جها Chanda Jha، الذي أضفى على الميثيلية في حياته ثراءً خاصاً. منذ ذلك التاريخ، لم يأت أي شاعر عظيم بمعنى الكلمة. تواصلت دراسة الميثيلية، ويتابع متعلمون كثيرون دراستها حتى اليوم. لكن يمكن القول: إنهم مشدودون إلى اتجاهين مختلفين. فمن جانب، هناك الانجذاب الطبيعي للكتابة بلغة عشرات الملايين لأعضاء «العائلة-الهندية». بينما من ناحية أخرى، هناك الروابط العاطفية العميقة للفرد مع لغته الأم الخاصة به. قد تظل قوتا الجذب هاتان فترة طويلة نوعاً ما. ويبقى أن نرى بعد ذلك أيهما هي الأقوى في الفوز.

اللغة السندية

هي اللغة الأم لنحو 2،044،389 نسمة في الهند (التعداد السكاني لعام 1981)، كما أنه معترف بالسندية أيضاً في الدستور. وقد كانت قبل ذلك، معتمدة لدى «المجمع الأدبي» من أجل آدابها. يمكن مقارنة السندية بالمولتانية الهنديكية Multani. مثال على السندية:

hikide manhaakhe ba put hua «واحد لرجل اثنان أبناء كانوا»

نفس المثال في المولتانية الهنديكية كما يلي:

hikk munas–de du puttar hai «واحد لرجل اثنانابناء كانوا»

كتبت السندية في ما مضى بالحرف العربي– الخط الفارسي. لكن ما دام معظم هندوس السند قد أتوا إلى الهند، فعلى ما يبدو أنهم سيتبنون تدريجياً الحرف الناقري. السند كانت أول مقاطعة احتلها المسلمون، وفي هذه المقاطعة ازداد تدريجياً تأثير الفارسية والعربية. ونتيجة لذلك، اكتسبت اللغة كلمات جديدة كثيرة، ومصطلحات التعابير الفارسية أيضاً. دمج الكتّاب القدامى، الروحانية الهندية مع المعتقد الصوفي في كتاباتهم بالسندية، كما أضاف مؤلفو الفترة الحديثة، من التعليم الأدبي الإنجليزي، ألواناً أكثر حداثة إلى مؤسستي الأوردية والفارسية. شاه عبد اللطيف، صاحب الفترة القديمة، شخصية عظيمة في أعين كل أهل السند.. هندوساً كانوا أم مسلمين ويعتبر من أعظم رجال الأدب السندي.

لقد توسعت دراسة السندية في الهند منذ عام 1947، ولا تزال تكتب بها الروايات والمسرحيات..إلخ. وبالإضافة إلى ذلك، يكتب المؤلفون الشباب كثيراً هذه الأيام، وهناك ظهور أيضاً للكاتبات من النساء. يميل السنديون اليوم إلى الترجمة بصفة خاصة من الآداب الأجنبية والهندية الأخرى. كما أنهم يطبعون الصحف وينشرون الدوريات بلغتهم. وقد تسلم تيرثا-فيزانت Tirtha–Vasant جائزة من «المجمع الأدبي»، ويأتي في الصدارة في النقد الأدبي Vasant–sar، 1960)). السمة الإيجابية هي المجلدات المحتوية على المجموعة

الكاملة للحكايات الشعبية السندية، التي قام بتوليفها نارايان بهاراتي Narayan Bharati. ومن بين المؤلفين المتفرقين الكُثر، الكاتب المسرحي (م. يو. مالكاني Malkani)، و (هـ. آي. سادار أنقاني Sadarangani)، وغيرهما الكثير، وهي أسماء معروفة خارج مجتمعاتهم أيضاً.

خاتمة

في حديثنا عن لغات الهند، تناولنا بإيجاز، لغات الهند الحديثة وآدابها أيضاً. طبعاً، تعرفنا في الأساس على اللغات والآداب المكتوبة لتلك اللغات. ومع ذلك، فغيرها من اللغات تمتلك الأدب أيضاً، ولكن الفرق يكمن في كونه غير مكتوب، ويتم تداوله شفاهةً، كالأدب الشعبي. لا داعي إلى القول إنه في بعض الأوجه لا يقل قيمة عن الأدب المكتوب. لكن، ما دامت اللغة تكتسب شخصية دائمة ومستقرة، عندما تُدوَّن، فإنها تزداد أهمية وثراء، عندما يؤلَّف بها الأدب المكتوب. لذا في سياق اللغة أيضاً، لا يمكن تجاهل أمر هذه الآداب. ومن ثم فقد حاولت التعرض لهذا الأمر قدر المستطاع وضمن الحدود.

لا نحتاج إلى القول: إن الأدب المكتوب موجود أساساً في اللغات الكبرى. أعطيت الأهمية للغات الرئيسية لأسباب متفرقة: الامتياز الأدبي في ذروة ذلك الاهتمام. لكن أياً كانت أهمية تلك اللغات، يجب ألاّ نستخف بلغة أي مجتمع إنساني مهما كانت غير مهمة، فما بالكم باللغات الصغرى نسبياً؟ أن نزدريها بوعي ليس جريمة فحسب، بل علامة على جهل من ينظر إليها بازدراء ولو من دون قصد. وعموماً إن ذلك يسيء إلى الحياة المجتمعية في الهند. لا شك أنه لو اختفت معظم اللغات ولم تبقَ إلا لغة أو لغتان كبريان، فإن

ذلك سيلائم الجموع الهائلة في المجتمع الهندي، وحكامنا أيضاً. لكن لا يمكن تحقيق هذه الملاءمة بالقوة العمياء، ولا يمكن السماح بتحقيقها على هذه الشاكلة. لدينا الإيضاح الجلي على هذا وهو اللغة الهندية. تتألف المنطقة الناطقة بالهندية، إجمالاً، من أتاربرادش وماديابرادش. لكن من حيث الممارسة، ولدوافع تجارية، فإن أبناء بيهار وراجستان ومهاراشترا وقوجرات والبنجاب وهريانا، يعتبرون الهندية لغتهم الخاصة أيضاً، متى وكيفما احتاجوا إلى ذلك. آمن العالم الهندي البارز راهول سامكريتيان تريبيتا كاتشاريا Rahul Samkrityan Tripitakacharya، بأن الهندية هي اللغة الحقيقية الوحيدة للهند، إلى درجة يمكن للمرء معها أن يجد في كتاباته إمكانية كتابة الأوردية بالحرف الناقري. الأقاليم القليلة التي ذكرتها للتو غير ناطقة فعلياً بالهندية بشكل تام، وتلك الأقاليم تمتلك اللغات الراسخة والتواريخ الأدبية. المقائية والميثيلية والبهوجبورية — وهي لغات منطوقة في بيهار— متحدّرة بالفعل من اللغة البراكريتية الشرقية (البراسيا) أو المقاذية. ومن جانب آخر، تتحدر الهندية من البراكريتية الشوراسنية (الهنديفية أو الهنديكية)، أو الصيغة الإقليمية الغربية لبراكريتية الجنوب الغربي. المهاراشترية والكونكاية انحدرتا من الصيغة الجنوبية لهذه البراكريتية. صيغتا الهندية، أي الكاري-بولية والبراج-باخا، منطوقتان على التوالي في إقليم دلهي-ميروت Meerut وفي إقليم آخر إلى الشرق من دلهي. إن اللغات المنطوقة

في جهات أخرى من أتاربرادش والمتحدرة من الأرذا-مقاذية أو البراكريتية الشرقية-الوسطى (Pracya-Madhya)، هي لهجات فرعية من الباغلية، والبندلية، والشاتيسغرية، والأواذية[1]. أضف إلى ذلك أن هذه اللغات لا يمكن لأحد أن يتجاهلها. مجدداً، كما هي الحال مع المقائية والميثيلية والبهوجبورية، فإن البنقالية والأسامية والأوردية لغات متحدّرة من البراكريتية الشرقية. لقد كان ملحوظاً لبعض الوقت، السعي الى الادعاء بأن اللغات المقائية والميثيلية والبهوجبورية جزء من الهندية الغربية واستيعابها بها، بناء على رأي يفتقر إلى التجانس وغير علمي. وعلى الرغم من أن بيهار، ومعها لغاتها الثريات الثلاث (وخصوصاً الميثيلية)، تملك حق التصويت في «الهندية- سامسار» أو العائلة الهندية، فإنها غير مقبولة على الدوام في «العائلة». ولكل من اللغات الأوردية والآسامية والبنقالية تاريخ، وتمتلك تاريخاً لأدب غني مكتوب. بالنسبة إلى كل فرد أو جماعة، اللغة شيء نفيس وهي الدعامة المركزية التي يتوحدون حولها. هذه حقيقة لا نزاع فيها، كما هي الحال في البنقال والبنجاب المقسّمتين. لغات العائلة الدراويدية الأربع، المنطوقة في جنوب الهند، نبعت نشأتها من اللغة التاميلية البدائية. يميل العلماء المنهمكون بالبحث إلى الرأي بأن هذه اللغة وحرفها مبنيان على الحرف البراهمي للهندية-البدائية، الموجود في نقوش موهنجو- دارو وهاربانا. كان نحو

(1) بعض هذه اللهجات (مثلاً البندلية والشاتيسغرية) منطوقة في ماديابرادش أيضاً.

التاميلية-البدائية الأولى بمثابة العمود الفقري للغات الهندية-الآرية في شمال الهند أيضاً. وقد عملت هذه القوى اللغوية المتشابكة على ربط لغات الهند وتفريقها في آنٍ. كل من اللغات الدراويدية الأربع —التاميلية، والتيلوقو، والكنادا، والماليالام— لها صيغتها الأساسية ولها أدبها المتطور. كلمات سنسكريتية، أو محرفة من السنسكريتية، لم تعد تتم استعارتها إلى كل من هذه اللغات. مثلاً:

Tirupati = Sripati — Tirumallavaram = Srimallapuram

Madura Kruttman = Krsna

ومع ذلك، فقد باشرت هذه اللغات، في الوقت الحاضر، المهمة الصعبة للبحث في ماضي تواريخها اللغوية الخاصة بها لإيجاد كلماتها الأصلية الخاصة، من أجل إحلالها محل الكلمات السنسكريتية. والغرض من ذلك هو حفظ اللغات. يرى الملاحظ أن جنوب الهند (وخصوصاً التامل) في مقدمة مقاومة اللغة الهندية. يجب أن نتذكر، أيضاً، أنه يتمازج مع هذه اللغات الأربع عدد من لهجات القبائل التي تنطق بها أعداد هائلة من البشر.

لن يفيدنا نسيان لغاتنا المنطوقة في ما كان يسمى بهوميبوترا القديمة Bhumiputra أو أقاليم القبائل الأديفاسية، وقد ذكرنا ذلك سابقاً في «المقدمة». هنا، أيضاً، أريد إيضاح نقطة واحدة، من دون خوض في التفاصيل: توجد مجموعات من الأديفاسيين في كل ولاية هندية تقريباً. تعيش قبائل الكول والبيل، والهو، والموندا، والأورون،

والقوند، والبوميج Bhumij، والكاريا Kharia، والكوروا Korwa، والمالطو، والتارو Tharu (بإقليم تيراي Terai)، والكورخا Gurkha (في دارجيلينغ وحولها) وقبائل صينية-تيبتية متفرقة حول أسام، وتعيش هذه القبائل كأصحاب لغات متباينة. يجب الاعتراف، بشيء من الأسى، أن هاتين الجماعتين البشريتين — أي مجتمع الأوستريين أو الجماعة الأسترالية، ومجتمع الكيريتيين Kirata أو الجماعة الصينية-التيبتية— قد دأبتا على العيش ومعهما لغاتهما تحت حياة التجاهل والإهمال. في مثل هذه الظروف احتكوا بالمبشرين المسيحيين، ونتيجة لذلك، تغيرت أديان وأحوال التعليم والعادات لكثير منهم. لذلك ظهرت في أوساطهم حياة صحوة مجتمعية جديدة ومجتمع جديد. إن طرق حياتهم القديمة والجديدة، وكذلك لغاتهم، تتعرّض للتهديد — بالرغم من أن أصحاب المجموعة الثانية (أي الشعوب الصينية-التيبتية) قد تكون لديهم وسيلة للعيش، بسبب معرفتهم باللغة الإنجليزية واتخاذهم المسيحية ديناً. ومع ذلك فإنهم تقريباً معزولون عن مسارهم الأصلي، أي طريقتهم الخاصة في الحياة وطريقة الحياة الهندية. وجودهم مهدد، بسبب القضاء على الغابات، وبسبب اجتثاث حياة ولغات جماعات غفيرة من البشر المحبين للسلام، ونتيجة لأنواع متفرقة من التجريب الصناعي الجاري في الهند بعد الاستقلال خلال الأربعين سنة الماضية. إنهم بلا مأوى، ويتناثرون تقريباً في كل مكان، وينخرطون في كسب ما يسد رمقهم

فقط، من خلال العمل في مناطق التعدين أو كأيد عاملة. ثقافتهم وموسيقاهم منقرضتان تقريباً. إن التقدم الواعي لحركة الجرنكد Jharkhand الظاهر في الوقت الحاضر، هو من تبعات ذلك. ومن ناحية أخرى، كل الجماعات (الصينية-التيبتية) والكيريتية انسحبت الآن من ولاية أسام، التي حكمها البريطانيون سابقاً. وتستطيع الآن شعوب كل هذه الأقاليم (ولايات الأورونشال برادش، وميقاليا، وميزورام، ونقلاند، ومانيبور، وتريبورا)، المطالبة بانفصال كامل في تعليمهم وحكمهم الذاتي.

بغض النظر عن شعوب الجماعات الأسترالية والكيريتية، هناك نسبة معتبرة من الهنود تدين بالإسلام، وتنطق بالأوردية. وقد ظلت هذه الجماعة، أي المجموعة السامية- الحامية، حاضرة كجماعة حاكمة في الهند لفترة طويلة تقارب الألف عام. ونتيجة لذلك أصبح تطورها وثراؤها اللغوي مصهورين، ليس في حياتهم وحسب، إنما في ما يعرف بطريقة الهندوس في الحياة بالهند أيضاً. حتى وإن قُوبل ذلك بالإنكار.. أي ما يتعلق بالممارسات الغذائية، ونواهي الطعام، والكلمات المستخدمة المعتادة، والثقافة والتقاليد والعادات، فإن هناك الموسيقي والفن والثقافة وأفكاراً لا حصر لها، قد رسخت ذاتها في كل من شمال الهند وجنوبه، ولا يمكن إنكار وجودها. هذه المجموعة محترسة دوماً من العيش المتجاور مع «الهندية»، و«الهندوس» و«الهندوستان»، بسبب مركزها المهدد، والوعي

الحاد بذاتها. بالرغم من أن صراع مسجد بابري-راماجان مابومي[1] Ramajanmabhumi–Babari masjid قد اتخذ حجم فاجعة كبيرة تهدّد الحياة في الأزمنة الحديثة، فإن بدايات التعقل غير ظاهرة في هذا الصراع. رام هو بطل لملحمة عظيمة، ولم يُقر بشكل قاطع بأنه عاش في زمن معلوم. كما أن المجادلات العقلانية لم تثبت أنه كان «تجسيداً للإله» Avatar. على ضوء ذلك، فإن وجهة النظر القائلة إن موضع ولادته هو في القاعدة التحتية لمسجد معمّر منذ أربعمائة وخمسين عاماً، لا تصرّح تماماً بعظمة شخصية السيد رام أو نسبه الملكي. ما يهمنا في هذا الأمر هو أن نكسب ثقة بعضنا بعضاً. اللغة الأوردية، تحديداً، هي أيضاً لغة هندية، وتحتوي على خليط من الهنديفية، أو الهنديكية، والكلمات العربية والفارسية.. قواعدها قواعد فصيحة. ومن ناحية أخرى، كل من السنسكريتية وبعض الانعكاسات البعيدة لقواعد العربية والفارسية، تظل مدمجة في ثنايا قواعد الهندية بطريقة غير متناسقة. إن معرفة مثل هذا ضرورية لتقدم اللغة الهندية. لغة راهولجي صافية، لأنه اتبع أساساً القواعد السنسكريتية، وهذا طبيعي بالنسبة للهندية. ونتيجة للاحتكاك مع الجنسيات الأوروبية منذ القرن الخامس عشر، اندمجت مع اللغات والحياة الهندية تلك العناصر المتفرقة، المأخوذة من التجار البرتغاليين والفرنسيين والهولنديين

(1) نزاع بين المسلمين والهندوس حول موقع المسجد الذي يقدر عمره بأكثر من 400 سنة، ادى إلى مقتل المئات مطلع تسعينيات القرن الماضي، ولا تزال قضيته منظورة في المحكمة. [المترجم]

والدنماركيين، ومن ثم البريطانيين. لم تمتد تلك العناصر إلى التجارة والمتاجرة فقط، بل أيضاً إلى حياتنا الاجتماعية واليومية. لا يمكن تجاهل المجتمعات الإنجليزية–الهندية، والأوروبية–الآسيوية. وما دام الحكم الأجنبي قد وجد، فقد تلقت تلك المجتمعات فوائد معينة في مجال التوظيف والعمل، وهم اليوم أقلية، كما أن تجاهل الغير لهم لن يفيد. لهذا، لكي تكون «الهندية» اليوم اللغة الهندية الحقيقية الوحيدة، هناك حاجة إلى الفهم والتعاون المتبادل بهذا الشأن. لا حاجة إلى القول إن الحديث عن الهندية كلغة قومية أو إدارية مركزية («محل الإنجليزية»)، هو حديث غير عقلاني. على الهندية أن تحرز هذه الحالة بجدارتها، وليس عبر حظوتها لدى القوى الحاكمة. ثانياً، نظراً إلى الطريقة التي تدرس بها «الهندية» في كل محيط الهند، فإن الطلاب الناطقين بغير «الهندية» لا يمكن نجاحهم إطلاقاً في منافسة غير عادلة (في حلبة متحانات عموم الهند) مع المختبرين الناطقين بالهندية. هذا النظام يتطلب المعالجة. وإلى جانب ذلك، يلاحظ المرء في كل مكان أن شعار «محل الإنجليزية» لم يعمل على البدء بمدرسة، بل بعشر مدارس تدرس بالإنجليزية، ويتلقى الناطقون بالهندية وغير الناطقين بالهندية التعليم بتلك اللغة بسهولة، وبدؤوا ينجحون في كل محيط الهند والعالم أيضاً.. هذه حقيقة ناصعة. اللغة الإنجليزية (سواء كانت لغة هيئة الإذاعة البريطانية BBC أو نوع لغة صوت

أمريكا VOA)[1] حاضرة في كل الأوقات.. ليس في الهند وحدها، بل في العالم أجمع. القوة التعبيرية لهذه اللغة، والكتب الصادرة بها، واستخدامها في البحث، واستعمالها في التدريب التكنولوجي، جميعها بارزة ومقبولة اليوم لكونها الأكثر فائدة في العالم. إذا أهملت هذه اللغة في الهند اليوم، فإن الهند ستحل خلف العالم. الطلاب في مدارس القرى لا يتلقون، ولن يتلقوا، أي تعليم بالإنجليزية حتى وإن كان يسيراً كما كان في الماضي. في بلد لم تتمكن إدارته المنقوصة من أن تطبّق، بصورة مثلى، حتى المهارات الأساسية للقراءة والكتابة، فإن الجدل حول الهندية مقابل الإنجليزية يبدو جدلاً سخيفاً. الشيء المؤسف هو مسألة الانفصال المنتشرة حتى بين اللغات الواقعة معاً في بعض الولايات. الصراع اللغوي الحالي بين القوركالية والنيبالية مثال مُحَدَد لمثل هذه الحملات المسيئة، ولا نفع من ضرب العديد من الأمثلة أبعد من ذلك. إذا لم تكن لدى الناس الثقة ببعضهم بعضاً، وإذا لم يتعاونوا، بل قبعوا حيث هم واستمروا في التناحر للدفاع عن حقوقهم، فإن هذا كفيل بفشل مؤلم.

وعلى الرغم من ذلك، نعتقد أن «الهندية» وحدها تحمل إمكانية أن تكون اللغة الرئيسية، أو «لغة الاتحاد». لغة هندية كهذه لن تكون لغة مفروضة بالقوة، أو عبر نظام امتحانات الأقسام العلمية. إنها موجودة حيث الناس في أقاليم كثيرة ومن مجتمعات كثيرة يتكسبون

(1) VOA هي الحروف الأولى لعبارة Voice of America.

معاشهم في الأسواق، وفي المكاتب وفي المجتمعات الصناعية. يعمل معاً في هذه المحلات، موظفو المكاتب الأساميون، ومركبو المعدات الأوريون، والحرفيون المسلمون، ومشرفو العمال الهندوس، والمحاسبون الهنود الجنوبيون والشرطة أو الإداريون الناطقون بالهندية. مثل هذه التنظيمات تقع في أماكن متفرقة من الهند اليوم: مؤسسات علمية، وأماكن العمل في المؤسسات كمؤسسة «دامودار فالي» Damodar Valley، وشركات الأدوية التي تدار بشراكة الهنود والأجانب، ومراكز الأبحاث، وغير ذلك الكثير. اللهجات المختلطة، تنمو بيسر في أماكن كهذه، حيث يكون الهدف أن يعبر المرء ببساطة عن أفكاره بلغة تعطي المفعول. «لغة الاتحاد» المذكورة أعلاه، يمكن إيجادها على أساس مثل هذه اللهجة ذات المفردات المختلطة، من خلال حساب الكلمات الدلالية لكل اللغات الهندية. هذا لن يحرزه مشروع بقيمة عشرة ملايين روبية لمعجم الدكتور راقوفير Raghuvir، ولن يكون فعالاً لإخراجه إلى الوجود. لذلك، يجب توظيف العاملين اللغويين العقلانيين وغير المتحيزين. يجب تدريس اللغة الأم والإنجليزية والهندية جميعاً في المدارس. وفقاً لنتائج الأبحاث في علم النفس، فإن بالإمكان تعلم القليل من اللغات معاً بسهولة. هذا لا يخلق توتراً غير ضروري. كما أننا قد لاحظنا في أماكن أخرى من العالم أن الأطفال يلتقطون الكلمات الجديدة من اللغات بسهولة. يجب أن تكون هناك كليات لتعليم اللغات

للمتخصصين في المستويات (التعليمية) العليا، ولن تصعب الترجمة من لغة إلى أخرى. لن تكون مجرد جائزة «المجمع» الأدبي فحسب، فذلك يعتبر مكافأة بعينه، ما لم تمتزج بوطنية معقولة مقبولة وتوشب بحب الفرد للغته وحب الإنسانية، فإن مثل هذه الجهود جميعاً ستفشل. نأمل أن يحفظ الله بلادنا من هدر كهذا للقوت والطاقة. لقد رأينا أن تقسيم الأمم على أساس لغوي لم ينجح، سواء كان تحت الحكم البريطاني أو في الهند المستقِلّة. بالطريقة نفسها، سيتمكن شعب الهند من الاطلاع على لغات بعضهم بعضاً، عندما يتمكنون من التعليم بلغاتهم الخاصة بهم فقط. إنها ليست مسألة لكسب الأصوات، أو تحريفاً محضاً لديمقراطية الشعب. «الحقيقة وحدها تفوز» satymeva jayate.

الملحق (1)

أنظمة الكتابة في اللغات الهندية

في أي بلد، لا مناص من إثارة السؤال عن حرف الكتابة، على الرغم من أنه غير موصول بالتوازي تماماً مع اللغة. ديمومة أي لغة تعتمد على حرفها الكتابي، ومن المؤكد تقريباً أن الكتابة ظهرت فقط بعد نشوء اللغة واستقرار شخصيتها. مصطلحات «السابدا» sabda (بنية الكلمة = الصوت + المعنى)، «البادا» pada (الكلمة المنصرفة)، و«البهاشا» bhasha (اللغة)، و«الليبي» lipi (الحرف)، أصبحت مترابطة بكل وضوح وكذلك «مشروطة». نترجم مصطلح «مشروط» conditioned (في البنقالية) مثل Sartadhin Parabarta (وتعني «التتابع التكراري الخاضع للشروط»). حسب تخميني، فإن هذا المصطلح وتعريفه هما في نهاية المطاف غير معروفين في البنقالية. للإسهاب عنه أكثر، نأخذ للمساعدة التشبيه أو التماثل، وهو المفهوم الدلالي الذي يشرح «السمسكارا» المستخدمة في الفلسفة البوذية (Abhidhammakosa 2)[1]. مصطلح «السمسكارا» يحدد معنى «مشروطاً» إلى حدٍ بعيدٍ. على سبيل المثال، الشكل المتحرك لصفٍ من

(1) كلمة Samskara تدل تقريباً على «عادة، طقوس، ممارسة». وتجدر الإشارة في هذا الخصوص إلى ملاحظة أ.ك. راما ناجان الاستهلالية عن هذا المصطلح، في ترجمته لرواية «سمسكارا» للكاتب آنانتا مورتي Ananthamurthy.

النمل لا يذّكر المرء بكل بساطة بصف أو خط متقاطر. وعلى خلاف ذلك، يبدو كصورة (ذهنية) متحركة لمجموعٍ متجمّع. لكن كل نملة منفصلة وغير متصلة بالأخريات. وشبيه بهذا، اختيار الكلمات في اللغة. إن تركيب الكلمات من أصوات الكلام، وإرفاق المعاني بها، وصياغة الحروف الهجائية، وربط هذه الحروف ببعضها بعضاً، رغم أنها منفصلة في الشكل، إلا أنها صورياً متصلة. الحرف هو في الأساس الصيغة الصورية، أو الهيروغليفية، لأشياء مستخدمة باستمرار. من وجهة النظر هذه، فإن الكتابة الهيرية والهيروغليفية المصرية (الفرعونية)، وتمثيل الأفكار بالصور (الإيديوغرافية)، والحروف الهجائية للأصوات والحروف الهجائية للمقاطع (الصوتية)، تشكل جميعاً مراحل مختلفة للكتابة[1]. الهيروغليفية الصينية تختلف عن

(1) (أ) «الهيروغليفية» كلمة إغريقية تعني «الكتابة المنحوتة المقدسة»، وأشهرها نظام الكتابة المصرية القديمة في الألفية الرابعة ق.م.، وتتشكل من الصور والرموز الدالة على المعاني والحروف، وتكتب من اليمين إلى اليسار. (ب) «المسمارية» وتعني حرفياً «الشكل الإسفيني» ورموزها تشبه وتد الخشب الصغير مدبب الرأس وواسع القاعدة. أول من استعملها هم السومريون في منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد، ومن بعدهم الآشوريون والبابليون والحيثيون وغيرهم، وانتهى العمل بها في القرن الخامس ق.م. (ج) «الألفبائية» وهي كلمة مركبة من الحرفين الأولين في الكتابة الاغريقية أي «الفا-بيتا»، وهي نظام كتابي متقدم، حيث تستخدم رموز هجائية لتمثيل الرموز الصوتية، ويبدو أن ظهورها الأول كان في فلسطين، منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد. هذه هي التقسيمات الثلاثة الرئيسية لنظام كتابة اللغة، أما مصطلحات مثل «إيدوغرافي» أو «هجائي»، فهي وصف لتصنيف نوعية النظام، و«الحرف الكتابي» هو الرمز الهجائي المكتوب وهو الأكثر استخداماً اليوم، و«طريقة الكتابة» تدل على اتجاه الخط (يمين-يسار، يسار-يمين، أعلى-أسفل، أو «بطرفه» أي «يمين- يسار-يمين»، وهلم جراً). الحرف هو الرمز الكتابي، أما الخط فهو الشكل المختلف في تمثيل ذلك الحرف، كما نعلمه في العربية، خط الرقعة،

الأشكال المصرية، لأن صياغتها إيديوغرافية. المنحنى المغلق يشير إلى «امرأة»، ومنحنيان مثله معاً يعنيان «النضال». في الهيروغليفية المصرية، في البداية دل رسم الأسد على القوة، وتدريجياً تم إظهار الصورة كمخطط عام فقط بخطين حتى أخذ في نهاية الأمر شكل «L». الهيروغليفية المكسيكية، و«حرف» الخيط، في الإنكاس Incas، والكتابة بالفتل أو الحبال بين القبائل المتفرقة، وربط العقدة، والكتابة المسمارية cuneiform (الشكل الإسفيني) في ميسوبوتاميا، جميعها استخدمت في الكتابة. دعونا نضع هذا الموجز التاريخي جانباً، ولنصل إلى الهند.

لم يتم القبول تماماً بتشفير الكتابة، التي وجدت منحوتةً في موهنجو-دارو في الإقليم الشمالي الغربي بالهند. كان يعتقد أن صيغته مشتقة من نظام كتابي ما، تم أخذه من التجار الفينيقيين، والذي كان المقصود منه أو به حفظ سجلات حساباتهم، وهذا لا يبدو صحيحاً بعد اليوم. حروف الكتابة الفينيقية، أو الحروف التي أصبحت مستخدمة في الجزء الأفريقي العربي من شمال-غرب آسيا، كانت تكتب بداية بالتناوب من اليسار إلى اليمين، ومن ثم من اليمين إلى اليسار. [1] بعد الاستعمال المطول لهذا الأسلوب، تم تعديله بطرق مختلفة في أقاليم مختلفة. استمر استعمال نظام الكتابة من اليمين إلى

والنسخ، والثلث، والفارسي، على سبيل المثال. [المترجم]

(1) هذا النمط من الكتابة يعرف «بالبطرفة» BOUSTROPHEDONIC.

اليسار في البلدان المأهولة بالشعوب السامية–الحامية. ومن ناحية أخرى، تواصلت الكتابة من اليسار إلى اليمين في كل أنحاء أوروبا، وجنوب (شرق) آسيا، والهند (إقليم موهنجو– دارو). الكتابة في الصين كانت «من الأعلى إلى الأسفل»، وشكل الكتابة الجورجية مختلف تماماً. عادةً ما تستمر الكتابة بالحرف الخروصطي من اليمين إلى اليسار، وتكون الكتابة بالحرف البراهمي الهندي من اليسار إلى اليمين. الصيغ المكتوبة في كل اللغات بالهند، موجودة بأي نوع من هذين النظامين. حروف الأوردية والسندية تجري من اليمين إلى اليسار. أما الصيغ المكتوبة لبقية اللغات المعتمدة بالدستور فتجري من اليسار إلى اليمين. لا يمكن أن نقول هنا أكثر من ذلك في هذا الملخص المختصر. ننصح القارئ المهتم بمراجعة المراجع المتخصصة حول هذا الموضوع.

وعلى الرغم من أن شفرة كتابة حرف موهنجو–دارو لم تُفَكّ، إلا أن هناك تَوَجُّهاً في العالم اليوم، باعتبار هذا الحرف «دراويدياً بدائياً»، وهذا مقبول كفرضية، لكنه لم يثبت بعد. الرموز المستخدمة في هذه الكتابة استمرت في التطور والتنقل في إطار الأنظمة الكتابية القديمة والحديثة الموجودة في الهند. يلاحظ المرء أن لغات الأقاليم تتغير تدريجياً، ولكن حرف الكتابة على الرغم من ذلك ظل براهمياً هندياً، ويمكننا أن نجد «الدليل الصخري» الأقدم عليه (مصطلح استخدمه المحترم سونيتي كومار شترجي) في قرارات الملك آشوكا

المنقوشة على الصخر. وعلى الرغم من أن لغة المراسيم الصخرية لشاه بازقري ومانسيرا هي بالبراكريتية الشمالية–الغربية، والنقوش الحجرية الموجودة في مناطق دلهي وممباي بالبراكريتية الجنوبية–الغربية، والمراسيم الصخرية الموجودة في مناطق ذاولي Dhauli بالبراكريتية الشرقية–الوسطى، والمراسيم الصخرية الموجودة في إقليم الهند الشرقي بالبراكريتية–الشرقية، فإن حرف الكتابة هو نفسه — ويسمى البراهمي الأشوكي Ashokan Brahmi. يجب أن نذكر هنا أن المراسيم الأشوكية قد عُثر عليها أيضاً في آسيا الصغرى (انظر مرجع السيد نالين أكشا داتا Nalina Ksha Datta، والدكتور براتين درانات موكورجي (Bratindranath Mukherjee). اللغة المكتوبة بالآرامية على أحد الوجهين، وبالحرف الإغريقي على الوجه الآخر، هي لغة هذه المراسيم وهي الصيغة المُعدَلة لذات البراكريتية الشمالية–الغربية. ثمة مسألة مدهشة أخرى هي أن بعض الرموز الكتابية في الكتابة المُبهَمَة بموهنجو– دارو تحمل التشابه مع رموز أحرف جزيرة إيستر Easter Island [1]. لا يمكن بالطبع استخلاص النتائج القاطعة من ذلك.

إن شكل الحرف البراهمي الأشوكي المذكور أعلاه، والموجود

(1) تقع جزيرة إيستر في جنوب–غرب المحيط الهادئ، على الساحل الغربي من أمريكا الجنوبية.

في الهند في القرن الثالث قبل الميلاد، استقر أكثر في حالة متحوّلة قصوى في تنوّعات إقليمية متعددة محتملة للحرف البراهمي في فترة حكم القوبتا بعد القرن السادس الميلادي. الكتابة الموجودة في منطقة كشمير في الشمال الغربي (من الهند) تسمى «الشريهارشا» Shriharsha، والكتابة الموجودة في منطقة مهارشترا بالجنوب الغربي تسمى بحرف «الشاردا» أو ساردا Sharda / Sarda، وأخيراً، كان إيجاد الحرف القورموخي في البنجاب، وظهر الحرف الناقري في الجزء الشرقي من الإقليم الشمالي (الحرف الديفناقري) وأصبحت الكتابة الموجودة في الإقليم الشرقي تعرف بحرف «الكوتيلا» Kutila. أصبح الحرف «الكيثي» Kaithi مستخدماً في إقليم المقاذا. حروف الكتابة في اللغات الميثيلية والأسامية والأورية والبنقالية القديمة، هي حروف متحدرة من عائلة حرف «الكوتيلا». والملاحظ في الحروف الكيثية أنها مزيج من بعض حروف «الكوتيلا»، وبعض الحروف الناقرية. ومن جانب آخر، فإن للحروف الكتابية القديمة في الميثيلية والأسامية والبنقالية الصيغة الشكلية نفسها، وليس كما في البنقالية، حيث يُكتب رمز الحرف r مثل x (بنقطة تحت x) (بعلامة قطع وترية). وأترك تفاصيل النطق وعلاقتها بالكتابة.

كلمة «ليبي» — أي حرف — مشتقة من جذر الفعل السنسكريتي lip أي «يلطّخ أو ينتشر»، وهذا أمر يجب أن نتذكره. لهذا نحتاج إلى الحبر السائل، وكذلك إلى أداة كالقلم. كان إعداده يتم في البداية من

الأرز المحروق والصبغة، إضافة إلى القليل من المواد الكيميائية. وكان الحصول على الثاني (أي القلم) يتم بوساطة بري العيدان المأخوذة من نبات القصباء لجعلها نحيلة ومرهفة. يبقى شكل الحرف مرهوناً بطبيعة إجراء الكتابة. كانت الكتابة تتم على سعف النخيل الجاف، أو أوراق أشجار الموز. وتواصلت هذه الممارسات في مدارس القرى التقليدية (pathsalas «الكتاتيب»). الآن، ما دامت الكتابة على ورقة الموز، أو سعف النخيل بالحبر وبقلم مصنوع بتشذيب رأس القصباء، فقد كان من السهل جعل نهايات الحروف مدببة. بهذه الطريقة تمت كتابة الحروف الميثيلية القديمة (يكتبونها الآن بالحرف الناقري)، والحروف الأسامية وحروف الكتابة البنقالية، وعلى هذه الطريقة أضحت الحروف المُرَمَّزة ذات زوايا مدببة. من ناحية أخرى، وعلى الرغم من أن الكتابة في الأورية كانت تتم عموماً على سعف النخيل، فإن التغيير طرأ على نوع القلم المستخدم. يجب أن نبقي في أذهاننا أنه من المحتمل أن تكون اللغة الأورية الأقدم في الظهور من بين لغات الإقليم الشرقي. أصبح الأوريون واعين تماماً بلغتهم وبكتابتها. تشكل مخطوطاتهم، وأغلفة المخطوطات الخشبية، والصور، وأوراق اللعب، أعمالاً متقنة في الفن أيضاً. لقد تخلوا عن استعمال ما يعرف بأقلام القصباء، واعتمدوا أقلاماً من الحديد. رؤوس هذه الأقلام، التي تشبه محراك النار، كانت في شكلها قريبة من رؤوس أقلام الحبر المعروفة اليوم. إذاً، ولكي يكتب المرء بهذه الأقلام الحديدية مستديرة

الأطراف، لا بد له من أن يجعل الحروف، إلى حدٍ ما، منعطفة أفقياً، بخلاف ذلك فإنه يخاطر بثقب ورقة الشجر. نتيجة لذلك، أخذت الكتابة، شكلاً مستديراً، وتشهد على ذلك أعالي الأسطر المستقيمة للأحرف الملفوفة في الكتابة الأورية. وبما أن الحروف متماثلة جداً في نواحٍ أخرى(مُقابل الأحرف البنقالية) فإن البنقالي لا يواجه صعوبة في التعرف على أحرف الأورية. بعد هذه الصيغة الأصلية للحرف، يجد المرء التشكيلات الخطية المُحَسَّنة والجميلة لكل حروف الكتابة. تشكل كتابة طاغور باليد، نقلة فنية رائعة في تاريخ خط الكتابة البنقالية، وهنا، سيكون من الملائم الحديث عن الأوردية أيضاً. لاحظنا سابقاً أن كتابة الأوردية والسندية تتم من اليمين إلى اليسار. بدأ تأسيس الحضارة العربية في شمال الهند، ومع مرور الزمن امتدت إلى جميع أنحاء الهند. التشكيل الجميل، والزخرفة البديعة في هذه الكتابة يأخذان أشكالاً غاية في الروعة والجاذبية. واليوم فإن الانتظام الكتابي في أشكال هذه الكتابة الجميلة، معروف في الأسلوب العلمي لفن الخط. الأمثلة عليه لا تحصى، فمنه ما هو على هيئة مطبوعات ومنحوتات وأقوال وأختام منقوشة، وهي ما يستولي على اهتمامنا، ويستحوذ على أفئدتنا، إذا جاز التعبير.

كما نجد في الجنوب أربعة نظم كتابية أخرى من الأنظمة الكتابية الدارجة في الهند. وقد نشأت هذه الأنظمة من حرف «البالافا» Pallava بمفرده والذي وجد في الكتابة الدراويدية البدائية القديمة.

إذا ما افترضنا أن هذه النُظُم جاءت من حروف الكتابة الموجودة في موهنجو- دارو، طبقاً لفرضيتنا المذكورة أعلاه (كما هي الحالة مع اللغات)، فإن كتابة البالافا، ستكون كتابة عتيقة. هناك أيضاً من يقول: إن مصطلحي «البالافا» و «بهلوي–علم» Phalvi–Ilm (أي «الفارسية القديمة») مرتبطان بطريقة ما. سنحت لي الفرصة لقراءة كتابين عن هذا الرأي. ولسوء الحظ لا أستطيع تذكر اسم المؤلف اليوم (ي. مها ديفان—المترجم Mahadevan). أظهر هذا الكاتب التاميلي، مستخدماً التخطيط البياني، أن أحرف الكتابة الموجودة في بلاد العرب وموهنجو- دارو، وأحرف الكتابة التاميلية اليوم التي نشأت من الأخيرة [التاميلية القديمة]، تظهر التشابهات نفسها تقريباً. وبالنظر إلى الحروف المكتوبة، بعد إعادة إنتاجها، ووضعها جنباً إلى جنب، لا يمكن للمرء، إجمالاً، استبعاد مثل هذا الاحتمال كأقل تقدير. كما أننا لهذا السبب، نتذكر الصلة بنظام الكتابة الفينيقية التي ذكرتها سابقاً. ومع ذلك، لا نستطيع الوصول إلى نتائج قاطعة حول هذا الأمر أيضاً.

الحروف التاميلية والتيلوقوية والكنادية والماليالامية، تطورت نشأتها كاستمرارية لحرف «البالافا» القديم على طول الطريق المذكور أعلاه. لفظ الأصوات متنٍ، والحروف هي نفسها أيضاً، لكن الملاحظ هو تشعبات الخطوط. يستعملون في قواعد النطق، كما في العربية أو الأوردية، نطق الحروف، كما تحددها وظائفها.

حتى وإن كان هناك، صوتان صائتان، وصوتان صامتان، وصوتان ملفوظان، وصوتان مهموسان، فإنها تلفظ وفقاً لموقعها في الكلمة. إذا كانت الصيغة المكتوبة مثل saubhagyavathi فالنطق سيكون «سوبهاقيافاتي». وهذا الأمر صحيح في الأوردية أيضاً. (في الأسامية، أيضاً، الصوامت النطعية المكتوبة «ت، ث، د، ذ»، تلفظ كأصوات سنخية منثنية). هذا الانثناء (برفع اللسان إلى مقدمة الحنك) سمة مميزة لحروف، ولغات الجنوب الهندي، وهو يبدأ مع الأورية. الأودريون Audras والدراويديون عبروا البحر في موجات طوال التاريخ إلى سريلانكا، خلال عهد حكم الشيلندرا Sailendra، وقاموا بتأسيس مستعمرات في سيام (تايلند حالياً)، وبورما (ميانمار حالياً)، وشبه جزيرة المالايو، والأرخبيل الهندي. لا يزال الهنود موجودين بهويتهم المتميزة، في أقاليم مجاورة متفرقة. وقد أضيفت إلى هذا، الحروف الأصلية أو المنقولة لنظم الكتابة في تلك اللغات، والمشتقة من حرف «البالافا». هذا يعلل لماذا لا تكون الكتابة في نصوص التيرافادا البوذية Theravada بحرف ثابت واحد. وعلى الرغم من أن اللغة هي «البالي»، إلا أنها مكتوبة ومقروءة بحروف كتابية مختلفة في أقطار مختلفة. هذا انعكاس مزجي للتقدم المنتصر للثقافة البوذية وللهندية الجنوبية. كان علي أن أقول ذلك، لأنه لا يزال ظاهراً حتى اليوم. وقد وصلت بأسلوب مشابه، نُسَخ الحرف الناقري المستخدمة في الأقاليم الموجودة بشمال الهند، إلى النيبال (في كتابة النيوارية)،

والتيبت وإلى كتابة ولغة اللاودين Lauds بمنغوليا. الأدب البوذي الموجود في هذه البلدان تم تدوينه بنوع أو بآخر من الحروف الكتابية الهندية. لا يمكن تجاهل هذا النصر المتقدم للحروف الهندية من دون أن يقابله نصر للغات الهندية.

1- في نهاية النقاش أعلاه، تظهر ثلاث قضايا تستحق الذكر. إحداها استعمال الحرف «الأولشيكي»، ويعتبر الإبداع الواعي لأصحاب بهوميبوترا أو القبائل الأديفاسية في الوقت الحاضر. وبفضل الجهود الحثيثة للمبشرين المسيحيين المحليين، فقد امتلكوا قدراً معيناً من التعليم بالإنجليزية، وهكذا أصبحوا على دراية بالحرف الروماني. ونلاحظ هذا على وجه الخصوص في (شمال) شرق الهند وفي أقاليم البنقال وبيهار وأوريسا. ومنذ الاستقلال (الهندي عام 1947) بدؤوا يتكلمون الهندية في الأقاليم التي تطغى عليها الهندية. أولئك الذين يعيشون حول البنقال وأوريسا يتكلمون البنقالية والأورية على التوالي. وقد دخلت العناصر الدينية الهندوسية والمسيحية في مُثُلهم الدينية أيضاً إلى حد بعيد. ما على المرء الآن سوى الانتظار ليرى كم سيكون ناجحاً، ومقبولاً الحرف الأولشيكي في هذه المساعي المقصودة. من نافلة القول إن قوة اللغة تكمن في حرفها الكتابي. الحرف الناقري دعامة رئيسية في مساندة اللغة الهندية. وقد تم إيجاد الحرف

الأولشيكي سعياً وراء التوحيد الشامل للحياة القبائلية في هذه البلاد[1]، وعائلات اللغات، والمجموعات المختلفة، التي في أوساطهم، والتي أتينا على وصفها سابقاً. يجب أن نلاحظ كل ما له صلة بذلك، وخصوصاً لغة الاسبرانتو Esperanto المقدَّمَة إلى أوروبا واللغة اليدية Yiddish المعروفة في المجتمع اليهودي. كثيرون منا يعرفون أن الغجر، الذين هاجروا من الهند والموجودين في أقطار مختلفة بأوروبا كرحالة دائمين، لا يزالون محافظين على ثقافتهم ولغتهم الخاصتين. وفي كل عام يقيمون معرضاً بمدينة أورلي Orly في فرنسا. الأغنياء والفقراء، والمتعلمون والأميون، جميعهم يتطلعون إلى التجمع هناك، وترتيب الزيجات أيضاً. يعبدون آلهة ذات سحنة سمراء على هيئة صورة ممتعة، تشبه مريم العذراء. إذا ما أُدخل نظام كتابة موحد كهذا النوع (الأولشيكي) إلى الحياة الأديفاسية، فمن المؤمّل أن ينجح ذلك في الحفاظ على أساس لغتهم، وثقافتهم الغنائية الجميلة.

2- قضيتنا الثانية هي: هل يمكن اعتماد الحرف الروماني لجميع اللغات الهندية؟ خلال عهد حكومة نهرو، تم تقطيع بعض الولايات، تبعاً لنظم خرقاء وغير علمية بعذر تثبيت الحدود المبنية على اللغات. في الحقيقة، لم يكن ذلك فعلياً مؤسساً على

(1) كان تطوير الحرف الأولشيكي للغة السنتالية تحديداً.

الحدود اللغوية، وقد سبب، هذا التقسيم، ألماً كبيراً وزاد من أعداد المشرّدين. قدم الموقر سونيتي كومار شترجي في ذلك الوقت، عرضاً للغات الهندية لتتبنى الحرف الكتابي الروماني، ولهذا أساسه الموضوعي. لم يتم قبوله، لسبب غير علمي محض، بل على العكس، هناك بعض التفكير الجاري حول اتخاذ الحرف الناقري استراتيجية للحكومة. كان العالم الفطن راهول سامكرتيايان Samkrtyayan على رأس هذا المقترح. ومع ذلك، رأينا سابقاً أن نسبة كبيرة من الشعوب القبائلية على دراية بالحرف الروماني. بما أن انتشار التعليم أوسع في جنوب الهند، فالحرف الروماني هناك معروف جيداً. (الكثير منهم مستمرون في معارضتهم القوية للغة الهندية والحرف الناقري). في أقاليم أخرى وحتى في حزام اللغة الهندية، يُدخل الميسورون أبناءهم للدراسة في مدارس تدرس باللغة الإنجليزية. تظل دراسة الهندية والحرف الناقري مقتصرة على المناطق الريفية في البنقال وبيهار وأوريسا، أو في المؤسسات التعليمية للقطاعات الأكثر فقراً في المجتمع. مهما يكن التعليم بالإنجليزية ممكناً، فإن ذلك مُهمل في المدارس الحكومية وفي القرى. ومن جانب آخر، لا يلتفت مناصرو الهندية إلى الترتيبات الملائمة في مجال التعليم بالهندية أيضاً. نتيجة لذلك، فإن المحرومين من كل هذا هم الأطفال المؤهلون من عائلات

غير النخبة محدودة الدخل. في مجال امتحانات عموم الهند التنافسية، لا يستطيع الطلاب غير الناطقين بالهندية، أداءها جيداً عبر الهندية أو الإنجليزية. عليهم المنافسة مع الطلاب الناطقين بالهندية، وحتى في الأخيرة مع أولئك الذين واتتهم الفرصة في تعلم الإنجليزية. وعلى الرغم من ذلك، ما لم يعرف الشخص الهندية، والكتابة الناقرية على الورق في الإدارة، فإن ترقيته ستتوقف. من دون أن نحلّل هذا، لن يكون من الصعب تخمين الدافع من ورائه. في هذه الحالة، إذا تم تطبيق هذا الدافع بحكمة، فليس من المستحيل تحويل التعليم باللغة الأم بالتوازي مع تدابير الهندية والحرف الناقري، بينما نبقي على الإنجليزية والحرف الروماني على مستوى عموم الهند. اللغة الإنجليزية هي اليوم اللغة الأولى للمعارف والعلوم. ليس من المستحيل إدخال أو تبني الحرف الروماني في هذا البلد. ربما أدى نجاحه وملاءمته إلى تسهيل ضمان الهندية أو الحرف الناقري. مع مرور الزمن، قد يصبح الرابط المِوَحِّد في حياة الشعب الهندي.

3– قضيتنا الثالثة هي دور بعض الفروع المتقدمة في العلوم مثل علوم الحاسوب والسبيرنيات وزراعة الأعضاء الصناعية أو البيولوجيا الإلكترونية[1]. من المستحيل إثارة مثل هذه

(1) السبيرنيات: استخدام التكنولوجيا في صناعة نسخ طبيعية للأعضاء البشرية. [المترجم]

المواضيع في السياق العام في هذا البلد في الوقت الحاضر. لكن ما دام الأمر قد دخل الآن محيط التفكير والفكر والحياة العالمية، فإننا نعتقد أن ذلك سيترك أثراً على حياة الشعب الهندي، حتى وإن كان في المستقبل البعيد. تحدثنا سابقاً عن العادات المكتسبة أو «الاشتراط» في سياق نقاش الموضوع الرئيسي. «الاشتراط» مطلوب في مجالي اللغة، والحرف على السواء. بينما كنت أعمل على اللغويات المعملية مع الطلاب في الخارج، لاحظت أنه يمكن أن تلتقط الآلة ترددات الاهتزاز النسبية للطرق التي تلفظ بها الأصوات في لغات مختلفة مثل a أو k، كما يتم رصد فوارق (تلك الاهتزازات)[1]. الموسيقى الأوروبية مبنية على القياسات الدقيقة للاهتزازات في الفيزياء «الصوتية»، ومدفوعة أيضاً بالمبادئ العلمية، وتقدم علم الحاسوب الحالي على طول هذا المسار[2]. آلة التصوير جاء تصميمها على العين البشرية. أجهزة الهاتف وآلات البيانو وضعت على نموذج الأذن البشرية. على غرار ذلك، تشكلت نماذج السبيرنيات اليوم على ما هو معلوم حالياً حول أقسام المخ المختلفة. نتيجة لذلك، يبدو أن هناك تحولاً كبيراً ووشيكاً

(1) (الحديث هنا عن) التجهيزات المستخدمة في أبحاث الصوتيات السمعية، حيث تدرس فيزياء أصوات اللغة.

(2) فرع الفيزياء الذي يدرس ظاهرة الأصوات يعرف في الواقع بـ «علم الصوت السمعي» acoustics.

في مجالات اللغة ونظام كتابتها. القوة الكامنة للعلوم في مجملها، ستعتمد على الرياضيات. حاول فيثاغورس أن يحدد قواعد هذا الاكتشاف منذ أمد بعيد. الكتابة واللغة الحاليتان قد تأخذان تدريجياً سلاسل من العلامات والرموز في أرجاء الهند والعالم. وحتى الآن لا نعرف شكل اللغة أو الكتابة التي تحدد معالم شخصيتها هذه العلاقات المستقبلية. لكن يبدو من المحتمل أن يكون أساسها نوع من الرياضيات في صيغ لغوية، أو لغة في صيغة رياضية. سواءً كان التعبير بهذه اللغة، والتفاعل المتبادل بها بواسطة خلايا المخ أو عبر الآلة، فإن ذلك يظل غير معروف.

الملحق (2)

الاندماج القومي ومشاكل اللغة في الهند

في حديثنا عن الاندماج القومي، ومشاكل اللغة في الهند، ماذا نعني حقاً بمصطلح «القومي»؟ كما أن إشكالات اللغة يجب أن تؤخذ في الاعتبار، تبعاً لهذا المعنى. هل الهند «قومية»، أم «قومية كبرى» أم «اتحاد من القوميات»؟ «الاتحاد الهندي»، أو الهند التي هي «بهارات» Bharat، ليس مجتمعاً صرفاً، كما يُعرّف في مصطلحات علم الإنسان الأنثروبولوجية، ولا هو «أمة»، كما يوصف في المصطلحات السياسية. الكل يعلم أن شبه قارة جنوب آسيا (أي «البهاراتافارشا») بلاد لمجتمعات عديدة ولشعوب كثيرة، على الرغم من أن الاتحاد الهندي لا يشمل جغرافياً كامل «الجنوب الآسيوي». الاتحاد الهندي أيضاً دولة من ولايات كثيرة ولغات عديدة.. دولة مركبة من ولايات تملك صلاحيات الحكم في جوانب معينة، ولكنها دون «الحكم الذاتي»، ومع ذلك فالدولة الهندية لا تمنحها الصلاحيات الكاملة تماماً على كامل السلطات، وتصف نفسها بـ «الفيدرالية». تعتبر نفسها اتحاداً مؤلفاً من ولايات مختلفة عديدة. بتجاهل كل هذا الجدل، نود القبول باندماج الهند والدمج الداخلي لكل ولاية في قوام الدولة الهندية، كلا الاندماجين

كوحدة قومية تامة. لذا سنأخذ الهند على أنها قومية كبرى، وسنقبل بالولايات التي تشملها ككيانات فردية أشبه بالدولة القومية.

لا يملك طلاب العلوم السياسية سوى الحيرة في التعرف على كامل الاتحاد الهندي، ومرد ذلك أن أمتنا الهندية لم تتطور بحسب مفهوم الدولة. إذا ما دعينا الهند بالأمة، فماذا سنطلق على ما فيها من الولايات الصغيرة والكبيرة، أو على الجماعات المختلفة، صغيرها وكبيرها، الموجودة داخلها؟ ليست جميعها بالتأكيد أمماً، بحسب مبادئ العلوم السياسية الغربية. بالتأمل في هذه الحقيقة، رأى كثيرون أن كل خصائص الأمة تقريباً موجودة في كل الولايات الهندية المتمايزة، وأطلقوا عليها «القوميات»، كما لو أن كل واحدة منها تستحق الاعتراف بها كدولة مغايرة. مجدداً، هناك مجموعات متميزة صغيرة، ضمن كل من هذه الولايات، كما أنها مجموعات متمايزة في جوانب عدة. يمكننا أن نسميها «المجموعات القومية»، بمعنى أنها ليست قوميات، ولكنها تمتلك هوية متميزة بفضل صلات قربى (داخلية) معينة، ولا يرغبون في دمج تلك الهويات بهويات الولايات. لكن تلك الهويات وعلى الرغم من ذلك، في بعض الحالات، تندمج بشكل عفوي وطبيعي في هويات القومية الأكبر. مرة أخرى، في بعض الحالات، بعض هذه المجموعات عازمة على ألاّ تُضَحّي بهوياتها الخاصة بأي ثمن. ولهذا السبب فإنها تقريباً في حالة تمرّد ضد الدولة بالولاية. كل مجموعة تأمل أن تشكل هوية سياسية

منفصلة، قائمة على حياتها الثقافية– الاجتماعية الخاصة. مثل هذه المجموعات الصغيرة، بكل تأكيد، تعد عوائق في طريق الاندماج الموحد للولايات الموجودة اليوم. اللغة المغايرة (إن وجدت في أي مجتمع) هي أيضاً أحد الأسباب وراء تفكير المجموعات بخصوص الانفصال عن الولايات ذات العلاقة. بطبيعة الحال، توجد أسباب أخرى أيضاً. سنناقش هذه الأسباب باختصار في سياقاتها المُستحقة. في الوقت الحاضر، نرغب في أن نتفكَّر في اندماج الأمة الهندية عموماً، وفي إحدى مشكلاتها، وتحديداً مشكلتها اللغوية.

رغم أن الهند أمة أحادية في حجمها وفي سكانها، إلا أنها بلد للغات عديدة ولأعراق كثيرة. يقال: إن حجمها يقارن بحجم القارة الأوروبية. إذا ما تذكر المرء كم عدد الأقطار هناك، وكم عدد اللغات المنطوقة، وكم عدد الدول التي قامت، وكم عدد الاختلافات والمعارك والحروب التي حدثت في أزمنة متفرقة بينهم على الأراضي الأوروبية، فإن تعقيدات الاندماج القومي في الهند لا تبدو مستغربة البتة. بدلاً من ذلك، وعلى وجه الخصوص، مدى الوحدة التي ترعرعت بها هي حقيقة تاريخية مثيرة للاستغراب. وعلى الرغم من ذلك، ما على المرء سوى أن يتذكر أن منعطف التاريخ هذا، وإن واصل مسيرته ببطء حتى الآن، فإنه لم يصل بعد إلى حد الكمال.

أثناء صراع أبناء الشعب الهندي ضد الكثير من المفارقات، اكتشفوا تدريجياً في طريقة حياتهم الخاصة بهم مبدأ حقيقياً،

وسامياً أيضاً. هذا المبدأ مألوف لدينا بشدة، وهو المبدأ الذي يوصف بـ «الوحدة في التنوع».. توحد الكل لكن بمنح اعتراف خاص باختلافاتهم، سواءً كانوا صغاراً أم كباراً، ليس بالقوة إنما بتطبيق هذا المبدأ بأسلوب طبيعي وإنساني عطوف، وفق موازين الهند الاجتماعية- الثقافية الخاصة التي تمارسها في طريقتها للحياة. لم يكن الشعب الهندي على الإطلاق متحمساً للأمور السياسية. لقد تعود على متابعة الأمور الاجتماعية والثقافية، ومزاولة حياة اقتصادية بسيطة نسبياً. سيحكمهم الملك، وفي الغالب، سيمارس قدراً معيناً من الاستبداد.. الناس لن تزعج نفسها حتى بالتفكير في ذلك. جاء الملوك ورحلوا، وحياة الهنود الاجتماعية- الثقافية تستمر بوتيرة ثابتة، لا يُعَكِّر صفوها. الملك الجديد يجيء، وتدريجياً يندمج في أجواء هذا المسار. لا نحتاج إلى تكرار بيت الشعر الشهير من قصيدة طاغور «بيتهارات-تيرثا» («الهند:قِبلة الحجاج» Bharat-Tirtha): «واندمجوا لحمةً واحدة، عشائر الهون والساكا، ومعهم المنغول والبتان». حتى قبل ذلك، بفضل طريقتهم الفريدة في الحياة، كان الهنود في الأيام الخوالي منهمكين في العمل في بناء مجتمعهم وحضارتهم، وفقاً لهذا المبدأ الإنساني، حتى من دون أن يدركوه.

في أصولهم أيضاً، لم ينتمِ جميع مستوطني الهند إلى مجموعة عرقية واحدة، وبحسب علماء الأنثروبولوجيا، على الأقل خمس مجموعات بشرية متمايزة قَدِمَت إلى الهند، خلال الفترات الغابرة.

لنلخص ذلك وبعبارات عامة. بتنزيل كل التفريقات الاصطلاحية التي يضعها علماء دراسة الإنسان، يمكن للمرء أن يقول في البداية: كان الشعب الزنجاني في الهند، الذين كانت لديهم لغة أو أكثر خاصة بهم أيضاً. ومع ذلك، لا يعيش اليوم الكثير من هذا الشعب الزنجاني في الهند، وربما لم نورث منهم سوى كلمة واحدة من لغتهم هي «بادور» («الخفاش»)، ذلك الحيوان المعروف). في المرحلتين الثانية والثالثة، حوالي نفس الحقبة تقريباً، جاء شعب المجموعة الدراويدية البدائية أو القديمة الأولى عبر الساحل الغربي، وأبناء شعب المجموعة الثالثة أتوا بالقوارب وعبر الميانمار (بورما) من اتجاه شرق الهند إلى جميع الأقاليم بشمال الهند. يعرف هؤلاء البشر بالأسترو-آسيويين. نعرف عن اللغات الوطنية الأصلية للدراويديين طبعاً، وقد وجد الدليل الوافر على لغات وجوانب أخرى لأنماط حياة الشعب الأسترو-آسيوي. باختصار، يمكن القول: إن جميع اللغات والمجموعات العرقية الأربع في جنوب الهند في الوقت الحاضر، (خصوصاً التاميل، والتيلوقو، والكناديين، والكيرلايتيين أو الماليالام) هي من العائلة الدراويدية أصلاً. كما أننا نعرف أنهم كانوا متقدمين إلى حد بعيد في حضارتهم، وحتى متقدمين في العصور القديمة. من دون أن نخوض في الجدل، بإمكاننا أن نقول: كانوا مجتمعات متقدمة بالنسبة لزمانهم. لم يوجد لهم نظير في مجتمعات جنوب آسيا.. تعايشوا إلى جانب الشعب الأسترو- آسيوي المتزامن لعصرهم، وربما اختلطوا

بهم. أبناء المجموعة الأوسترية هم الأسلاف الأوائل لشعب أقاليم البنقال وبيهار وأوريسا. نحن أبناء الفترة الحديثة، أخذنا بعض عناصر نمط حياتهم وعاداتهم منذ زمن طويل، دون أن ندرك ذلك، على الرغم من أننا أخذنا أكثر إسهامات الدراويديين بصيغتها الأصلية، في الأقاليم من أوريسا إلى غرب البنقال، وحتى إلى حد بعيد في أقاليم بوسط الهند وراج بوتانا Rajputana.

مع ذلك، يمكننا الاستنتاج أنه ليست كل الفروع الدراويدية شعوباً متقدمة بالتساوي. بإمكانك أن تجد مجموعات دراويدية منبوذة في مناطق كثيرة بماديابرادش، وتعرف هذه المجموعات بالأديفاسيين أو القبائليين الجَبَالِيَة. إن الفروع المنبوذة من الشعب الأسترو- آسيوي والتي عاشت أيضاً في غرب البنقال، وفي شوتانغبر Chotanagpur (في البيهار)، وفي ماديابرادش تتحدر من سلالتها قبائل من أمثال الكوليين والموندا. ويجب أن نتذكر أيضاً أنه على الرغم من امتزاجهم بالمجتمعات المجاورة لهم، فإن كثيراً من هذه المجموعات القبائلية تعيش، هي ولغاتها، في ولايتنا أو على حدودها [البنقال]. لا نستطيع أن ندعي بأننا نحصل منهم على الكثير اليوم وبصورة مباشرة. مع هذا، وفي فترة زمنية ماضية، البشر منهم الذين انتموا إلى فروع تمتلك طريقة للحياة أكثر تقدماً، شكلوا العمود الفقري لمجتمعات من أمثال البنقاليين، ولا تزال عاداتهم وطقوسهم باقية مخلوطة، دون أن نشعر بها، في أسلوب حياتنا.

بعد ذلك أتت المجموعة الرابعة.. المجموعة التي تدعى الهندية- الآرية. يمكننا بكل بساطة أن نسميهم الآريين الفيديين. لا داعي لبحثهم مرة أخرى. هؤلاء هم الذين انتشروا في جميع أرجاء جنوب آسيا عبر لغاتهم، وعاداتهم وطرقهم الثقافية. الدراويديون، في الجنوب فقط، هم الذين حافظوا على هوياتهم وحضارتهم. ومع هذا، فقد تنامت قوة الآريين تدريجياً، ونتيجة لتقدم حضارتهم انتشروا في أوساط الدراويديين في الجنوب ومعهم لغاتهم «الآرية». واصلت اللغات الدراويدية والمجتمعات الدراويدية نشأتها تحت التأثير الآري القوي. منذ ما يقارب الثلاثين عاماً، بدأ التاميل وشعب المجموعة الدراويدية عموماً (الذين اضطهدهم الآريون بدافع البراهمية) الجهود في تنشيط حركة معادية للبراهمية ضد كل ما هو آري، وأخيراً القضاء على جميع الكلمات الآرية من اللغات الدراويدية، وبدؤوا في الحد من السلطات السياسية والاجتماعية للبراهمية الجنوبية المتحدّرة من الآريين (الذين قد أصبحوا ناطقين باللغات الدراويدية منذ فترة طويلة)، وقد أصبحوا أنفسهم (أي الدراويديين) هم المهيمنين.

بطبيعة الحال، وبغض النظر عن هذه المجموعات الأربع الأصلية، دأبت الفروع المختلفة من المجموعة المنغولية على القدوم إلى شرق الهند. جاؤوا عبر جبال الهملايا أيضاً، وانتشروا شرقاً عبر ميزورام الحالية، وتريبورا، ومانيبور، ونقلاند، ووديان ميانمار (بورما)،

وحتى شرق بيهار عبوراً إلى شمال البنقال. يتناثرون أيضاً فوق مناطق كثيرة بلهجاتهم الخاصة أو لغات من فصيلة العائلة التيبتية-البورمية. ومن ناحية أخرى، تركت لغاتهم بالغ الأثر على لغة أصحاب مناطق مثل سيلهيت، وكاشار، وتريبورا، وميمنسنغ (في بنقلادش)،..إلخ. وعلى الرغم من أن اللغة الأسامية في أصلها من العائلة الهندية-الآرية، إلا أنها أصبحت طبعاً تحت تأثير كبير من المجموعة التيبتية-البورمية.

وبناء على ذلك، ظلت شبه قارة جنوب آسيا لقرون عديدة، بلاداً للمجتمعات المتعددة، وبلاداً للكثير من اللغات. منذ ذلك الحين جاءت، ولا تزال تأتي، مجموعات بشرية متعددة مثل الساكا، والهون، والبتان، والمغول، وهذه حقيقة قل ما نحتاج إلى ذكرها. ما يهمنا هو أن تدرك بأن الهند كانت دائماً بلاداً للمجتمعات المتعددة، والأعراق المتعددة، واللغات المتعددة، واللهجات الكثيرة، وأن أبناء مجتمعات الهند ربما بسبب اضطرارهم إلى العيش في أوساط أنواع بشرية كثيرة جداً، قد تعلموا بواسطة حواسهم المباشرة أن «يعيشوا ويعَيِّشوا»، وقد تعلموا بفضل إدراكهم العقلي ووعيهم الإنساني أن مبدأ «الوحدة في التنوع» هو غايتهم الرئيسية telas أو أنه الغرض من التاريخ.

يمكننا الاعتقاد الآن بأن التاريخ لم يتدفّق إطلاقاً في طريق خال من العوائق. وبالمثل في الوقت الحاضر، لا توجد ندرة في العوائق تجاه تطبيق مبدأ «الوحدة في التنوع»، ومن ذلك على سبيل المثال: (ا)

صراعات طائفية، (ب) صراعات مناطقية، (ج) كل أنماط الاقتتال النابعة من التمييزات الفئوية والطبقية الاجتماعية، (د) الحقد على اللغة (بمعنى الصراع على قضية اللغة القومية وتباينات في الجهود من جهة اللغات الصغرى في تأسيس كياناتها)، وأخيراً (هـ) أنواع من حرمان الحقوق لبقية الطبقات الأخرى في البلد بأكمله جراء المصلحة المعهودة للطبقة الظالمة. في هذه اللحظة نود أن نناقش واحداً فقط من بين هذه العوائق، وتحديداً مشاكل اللغة. في بداية القرن العشرين، سجل فقهاء اللغة أن هناك ما يقارب 740 لغة في شبه القارة (جنوب آسيا). لاحقاً، حذفوا اللهجات الفرعية، واستنتجوا أن لغات جنوب آسيا سيكون عددها 170 لغة، العديد منها مدرجة الآن في باكستان وبنقلادش). في فترة سابقة، قال المتخصصون في الإحصاء ببلادنا إن عدد اللغات الكبرى في الهند هو ثلاثون لغة. لم يؤيد سونيتي كومار شترجي إطلاقاً اضطهاد أية لغة بواسطة إصدار القوانين أو من خلال القوة. ومع هذا، خلال مناقشة شفهية مع مؤلف هذا الكتاب قال: إننا نستطيع أن نجعل التعامل بنحو 20 لغة لأغراض الحياة اليومية، ويمكن للناطقين بغيرها من اللغات التقاط إحدى هذه اللغات لكي يتابعوا أنشطتهم المعتادة. إذاً، دعوني أذكركم، مرة أخرى، بالأرض الأوروبية. بالمقارنة بها، هل الهند فعلاً غابة من اللغات؟ كما أن هذا النمو عبر العصور التاريخية لشبه قارة جنوب آسيا كان ممكناً بسبب المبدأ الإنساني الهندي نفسه «الوحدة في التنوع»، على الرغم من أن

ذلك لم يتحقق تماماً، فقد استمرت العوائق وتواصلت في الظهور.

في سياق مشاكل اللغة، يتكرر سؤال محدد: ما هي لغتنا القومية ؟ هل هي الهندية (أم الهندوستانية)، أم هل يجب علينا في الوقت الحالي القبول بالهندية «الفصيحة» كلغة رسمية للهند عامة، إلى جانب الاستعانة بالإنجليزية؟

النقطة الأولى هي أن من غير الواقعي ولو بالخيال أن تكون هناك لغة رسمية واحدة فقط في بلد واسع، ومكتظ بالسكان. في الحقيقة سيكون من الملائم لأي أمة أن تكون لديها لغة رسمية فردية. لكن هذا ممكن فقط إذا كان السكان جميعاً يملكون لغة واحدة، ولم تكن هذه حال شبه قارة جنوب آسيا إطلاقاً. من بين اللغات التي تطورت من خلال الأخذ والعطاء، وفقاً للقوانين الطبيعية، هناك واحدة أو اثنتان عمّرتا أكثر من ألفي عام، وبعضها تحمل الكثير من مساهمات الفكر الإنساني، وتقدم آدابها وثقافتها الشهادة على ثراء العقل الهندي. لا يمكن لمحب الثقافة، أو مناصرة نشأة البشر الديمقراطية الطبيعية، أن يتمنى انقراض أو طمس أي من هذه اللغات. في الواقع، إن مثل هذه المساعي تعمل ضد المسار الهندي الطبيعي. بدلاً من ذلك، إن ما يشكل السياسة الديمقراطية حقاً هو تقديم الفرص لنمو كل نوع، بما فيها لغات الأقلية، أو ما يسمى الجماعات العرقية المتخلفة (من أمثال السنتالية). من حسن الطالع، أن هذا بعينه هو هدف التاريخ الهندي. على هذا النهج فقط..بمنح الحقوق لكل الجماعات العرقية،

والمجتمعات واللغات.. صغيرها وكبيرها، لتنمو بالتساوي، يمكن تأكيد اندماج الأمة الهندية أبعد مما هي عليه الآن. وبالمثل، تستطيع كل ولاية التأكيد على وحدتها الداخلية بمنح الاعتراف للغات المهمشة، حيثما وجدت ضمن حدودها. لا يمكن لوحدة أي ولاية أن تدوم بواسطة القرارات الحكومية فقط. بالطبع، يمكن أن ينجم هذا عن ارتفاع عدد الولايات، كما هو قائم الآن (ميزورام، آرانشال برادش، هريانا، ..إلخ)، لكن هذا لا يعني وجوب استحداث ولاية جديدة (مثلاً، خالصتان Khalistan)، ولو لم تكن هناك اختلافات في اللغة أو في أي شيء آخر. إن اختلاق العوائق هو ما يضر حقاً بالنمو على الدوام. لا نرغب في مناقشة قضية أسام هنا، لأنها ليست مسألة لغة فحسب. لكن مثلما يحق لأسام تطوير لغتها الخاصة بها، فإنه يحقّ للجماعات الأقلية والمتخلفة الأخرى الموجودة في أسام الحصول على حقوقها اللغوية والثقافية لتنمية اجتماعية واقتصادية كاملة.

ثمة قضية وهي أنه حتى لو قبلنا بتنمية جميع اللغات، فالسؤال عن لغتنا القومية يظل قائماً. لكن هذا المسار التفكيري مضلّل. لا يوجد قانون ثابت عن وجوب اتخاذ لغة واحدة فقط كلغة رسمية. في سويسرا الصغيرة هناك أربع لغات رسمية. في السويد، هناك اثنتان، وأقرب من ذلك إلى وطننا، هناك في أفغانستان أكثر من لغة. إذا ما افترضنا وجود ما يكفي من التسامح والنية الحسنة، فإن

الضرورة القصوى هي الاعتراف بكل لغات الهند كلغات تحتاج إليها الأمة. بعد ذلك، سيحكم الشعب بمنطقه الخاص، على أربع لغات على الأقل، دون مجال للتساؤل، كلغات مناسبة أكثر من غيرها في الأعمال الرسمية. إذا تمكن المرء من منح الجميع حق النمو الطبيعي والمضي قدماً، فإن الاندماج بالنسبة إلى اللغة سيصبح سهلاً في المسار الطبيعي. إلى جانب هذا، رأينا بأم أعيننا أن الاتحاد السوفييتي السابق كان قادراً على بناء اتحاد موحد من ست عشرة قومية وأكثر من مائة لغة، بوضع هذا المبدأ اللغوي قيد الممارسة. نعلم أن هذا المثال لا ينطبق تماماً. الروسية كانت المستخدمة كلغة لثلثي الاتحاد السوفييتي. كانت لدى ناطقي اللغات الأخرى الصلاحيات لتنمية لغاتهم الخاصة تنمية كاملة، وكانوا مخولين أيضاً بالاتصال مع حكومة الاتحاد السوفييتي المركزية عبر لغاتهم. لم تكن لديهم شكاوى في هذا الأمر. من حيث الممارسة، على الرغم من هذا، كانوا يحتاجون الى الاستعانة باللغة الروسية برضاهم في أمور التعليم والتواصل المتبادل. في المكاتب الرسمية، كانت الروسية، اللغة الرسمية الكبرى، على الرغم من أن كل لغة كانت أيضاً لغة رسمية. وكان من غير الضروري فرض استعمال الروسية كلغة رسمية بإصدار القوانين.

إننا في شبه قارة جنوب آسيا أيضاً قد أمضينا أيامنا مع اللغات الكثيرة طوال فترة زمنية مديدة. لماذا لا نطبق فعلاً، مبدأنا الخاص «الوحدة في التنوع» مرة أخرى، ونرى بأنفسنا أية لغة —أو أياً من لغاتنا—

تكتسب مكانة اللغة (أو اللغات) الرسمية عبر العملية الطبيعية؟ هذه هي الطريقة الطبيعية. نعلم أن العوائق موجودة على الطريق، ولكننا نحتاج إلى أن نرى مجدداً، أي لغة مستخدمة في مناطقنا الصناعية (مثلاً في كلكتا، ممباي، وجامشيدبور (Jamshedpur)، وإلى أن نرى كيف نتصرف في الأسواق، وفي القطارات، وفي الحافلات، خصوصاً في شمال الهند. مهما تكن لغة المرء، شكراً للأفلام السينمائية.. الجميع بوعي أو بغير وعي يتعلمون اللغة المستخدمة في الأفلام. من الواضح تماماً، من كل هذا، أن لغتنا للتواصل بادية في المسار الطبيعي، وفق قوانين الزمن، وأن الحاجز اللغوي هو في الغالب حركة مستنبطة تدفعها مصالح مجموعة من البشر. وعلى الرغم من الاختلافات، فإن هناك التقاربات العميقة المتبادلة بين لغاتنا. هل نطلب منكم التفكير لمرة واحدة في كيفية اختلافاتها الفعلية مع اللغات غير الهندية؟ هل نعرف، من حيث النطق، أن ثني اللسان مع الصوامت (كما في حالة ت، ث، د، ذ، ن، ص) والمهيمن في اللغات الدراويدية، يمكّننا من التعرف على هذه اللغات بسهولة، وأنه أسلوب مميز في مخارج الأصوات لكل لغات شبه قارة جنوب آسيا، وأن هذا النطق لمسلسلة–t غير موجود في أي مكان من العالم؟ يمكن ملاحظة الكثير من هذه الأشياء. في قواعدنا اللغوية نرى الكثير من التشابهات في لغاتنا مع قواعد الدراويدية. لا داعي لضرب الأمثلة أكثر من ذلك، ولكن هناك شيئاً يتوجب أن نتذكره. في أحد معانيه، يعتبر النحو من

الخصائص الكبرى للغة. إذا ما أجرى المرء المقارنة بين اللغات الهندية في النحو، فسيرى كم هي متشابهة. لذا فإن مسألة الفروق لا تشكل الكلمة الأخيرة في الموضوع، ولكن الأهم هو التشابهات المتأصلة بين لغاتنا. التشابهات في النحو تنطوي على تشابهات ناطقي اللغات المعنية، في تركيبتهم العقلية، وأفكارهم، ومخيلاتهم. التأمل البسيط في هذا الأمر، يكشف عن أن الذي يصلح ليس ما يطرح حالياً للوحدة الهندية، بوعي أو بغير وعي.. لغتنا تتوافق وتتماشى مع وحدتنا نفسها.

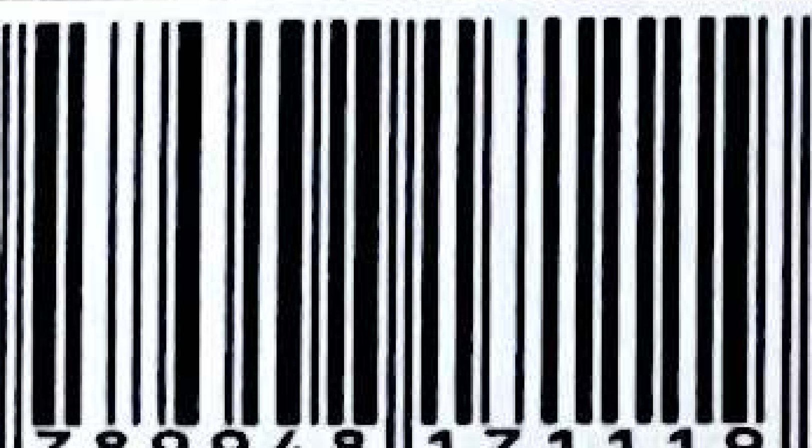
عند التفكير بعمق في بقية العوائق الواقفة في طريق الاندماج، نرى أن عملية التركيب التاريخية نفسها تضع أمامنا كل هذه الاختلافات البينة، ولكي نؤمن بالتاريخ ونتغلب على هذه الاختلافات، ستكون هذه دعاوى المستقبل في تاريخ الهند.

لكن ما دامت الطبقات الظالمة تحكم مجتمعنا، فإنها ستواصل الجهود للإبقاء على هذه الاختلافات. هذه هي حقيقة الخاصية المؤكدة للاضطهاد. الاندماج القومي الكامل، مرهون بالاندماج الاجتماعي. وبتطبيق مبدأ «الوحدة في التنوّع»، يمكننا تدريجياً أن نقترب من تحقيق ذلك.

لغات الهند

يعتبر كتاب «لغات الهند»، واحداً من أهم الكتب المقدمة لدراسة التاريخ الثقافي الحديث لشبه قارة جنوب آسيا، وخصوصاً جمهورية الهند. يقدم المؤلف غوبال هالدر عرضاً عاماً للوضع اللغوي القائم في شبه القارة الهندية، ويتبعه بموجز تاريخي يمتد من الألفية الثانية قبل الميلاد حتى اليوم عن نشأة وتطور اللغات الهندية. يحدد في هذا السياق، مسارات اللغات الحديثة، وخصوصاً تلك المعتمدة في الدستور الهندي، وتبلغ نحو عشرين لغة.

إنه مرجع للتراث الثقافي واللغوي في شبه القارة الهندية، كما أنه صمم ليلائم المتخصص والمهتم والقارئ العادي.





هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة
ABU DHABI TOURISM & CULTURE AUTHORITY



كلمة
KALIMA